العلاقات بين العرب
ودول وسط وجنوب آسيا عبر العصور

حصاد ٢٢

مؤتمر عقده
اتحاد المؤرخين العرب
بمقره بالقاهرة

٥ – ٦ محرم ١٤٣٦هـ
٢٩–٣٠ أكتوبر ٢٠١٤ م

هـــذا العـــدد

١ . هذا العدد خاص بالمؤتمر السنوي لاتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.

٢ . يستهدف العدد إظهار الحقيقة التاريخية لموضوع محدد صافية نقية، بعيدة عن أي تيارات سياسية أو عقائدية.

٣ . البحوث التي تنشر فيها محكمة، تعبر عن وجهة نظر أصحابها، وهيئة التحرير غير مسئولة عما يرد من آراء علمية.

٤ . تصدر مؤقتاً سنوياً في أكتوبر من كل عام، على أن تصلها البحوث المقدمة للنشر في كل عدد في موعد غايته نهاية شهر فبراير من نفس العام.

٥ . لا يزيد البحث المقدم للنشر عن خمسة وعشرون صفحة، مكتوب على الكمبيوتر ويقدم من نسختين ورقيتين ونسخة أخرى على الاسطوانة CD.

٦ . تعد الخرائط والرسوم وغيرها من الإيضاحات بالحبر الصيني على ورق الرسم، قابلة للاستنساخ المباشر.

٧ . بشرط ألا يكون العمل المقدم قد سبق نشره، أو قدم للنشر في أية جهة أخرى، ويكتب الباحث تعهداً يحدد تقديمه للنشر في أي جهة أخرى بعد قبوله للنشر بالمجلة.

٨ . لا ترد أصول الأعمال المقدمة سواء قبلت للنشر أو لم تقبل.

٩ . يرد عنوان البحث في رأس الصفحة الأولى، متبوعاً باسم المؤلف مقروناً بوظيفته وجهة عمله.

١٠. ترتب الهوامش والتعقيبات التفصيلية بترقيم موحد في نهاية العمل.

١١. يراعي في إعداد قائمة المراجع ما يلي :

(أ) تسجيل أسماء المؤلفين أو المحققين أو المترجمين أو المراجعين، متبوعة بعنوان الكتاب ثم مكان النشر ثم اسم الناشر، ثم تاريخ النشر، مع بيان الطبعة.

(ب) مقالات الدوريات تبدأ باسم صاحب المقال، ثم عنوان المقال، ثم اسم الدورية، ثم رقم المجلد والعدد والمجلة وتاريخه، ثم أرقام الصفحات التي يقع فيها المقال.

(جـ) الرسائل الجامعية يتم تسجيل اسم صاحب الرسالة، وعنوانها، والجامعة التي أجازتها، واسم المشرف، وتاريخ الإجازة.

لقطات سريعة من المؤتمر

المحتويات

كلمة الافتتاح ٩

برنامج المؤتمر ١١

الرواد المكرمون ١٣

أ.د. مسعود محمود علي عبادي

موانئ سواحل الهند ودورها في إزدهار حركة التبادل التجاري العربي الهندي في العصر الإسلامي ١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م. ١٥

د. سيد محمود محمد عبد العال

الصلات الثقافية بين بلاد الهند الإسلامية ومصر والشام والحجاز في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م). ٥٣

د. أشرف سمير توفيق

موانئ السواحل الغربية والجنوبية لآسيا الصغرى في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي. ٩٩

أ.د. صلاح سليم طليع

الإهداءات المتبادلة بين الخلفاء العباسيين وخلفاء الأقاليم (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) ١٤٩

أ.د. آمال سليمان عبد الحميد الروبي

تنشاط التجاري للإمبراطورية المغولية وأثاره على الشرق الإسلامي. ١٧٩

د. عفاف السيد عبد المجيد العلي

التأثير والتأثر بين المرأة العمانية والمرأة الهندية حتى منتصف القرن العشرين الملابس والزينة أنموذجاً. ١٩٩

د. محمد عبد العظيم الدولي

العلاقات التجارية بين سلطنة مقديشو الإسلامية وشبه الجزيرة العربية. ٢٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الافتتاح

بتوفيق من الله ورعايته عقد اتحاد المؤرخين العرب ندوته السنوية خلال الفترة من الخامس إلى السادس من شهر المحرم سنة ١٤٣٦هـ الموافق التاسع والعشرين والثلاثين من شهر أكتوبر سنة ٢٠١٤م. وقد تناول المؤتمر بالبحث والدراسة موضوعا جديداً محدداً بعنوان:

العلاقات بين العرب ودول وسط وجنوب آسيا عبر العصور

ومن بين الذين شاركوا في المؤتمر نخبة من الباحثين والباحثات من مصر ومن المملكة العربية السعودية، ومن اليمن، ومن الإمارات العربية المتحدة، ومن دولة الكويت، ومن العراق، ومن سوريا، ومن ليبيا، ومن الجزائر ومن السودان.

وشمل الحصاد العديد من البحوث والدراسات تناولت العلاقات بين بعض البلاد العربية والهند، وإندونيسيا، وماليزيا، سواء من الناحية التجارية أو العلمية والثقافية، بما في ذلك ما يتصل بنشاط بعض الدول والفرق الإسلامية، في نشر دعواتهم، مثل العلويين، والفاطميين.

كما تناولت البحوث بعض تراجم الأعلام ونشاطهم العلمي وجهودهم في تنمية العلاقات بين هذه الأقطار، أو دورهم في التجديد، ومنهم على سبيل المثال: ابن النفيس الأذربيجاني، وجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والشاعر محمد إقبال.

وتناولت بعض الدراسات دور موانئ الهند في ازدهار حركة التبادل التجاري في العصر الإسلامي، كما شملت العلاقات مع بعض القوى الأوربية، مثل دولة البرتغال.

ولم تهمل البحوث وجود الجاليات ونشاطها ودورها في بعض البلاد العربية، وفي مكة المكرمة بخاصة. وذلك إلى جانب كثير من النشاطات والعلاقات الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية والثقافية، بين الدول العربية وتلك البلاد.

ويلاحظ أن كل بحث من هذه البحوث، قد التزم بالجدية، والمنهجية الواضحة، إلى جانب الجدة كعلامة من علامات التميز التي يعني اتحاد المؤرخين العرب بأن

تكون أصلا من الأصول التي يلتزم بها في نشر البحوث والدراسات التي تقدم من خلال المؤتمرات السنوية التي يُعنى بعقدها، ومن خلال البحوث التي تنشر في المجلة التي يصدرها.

وبفضل من الله وجده، وبجهود من السادة المؤرخين والباحثين العرب في التاريخ، سيظل هذا الاتحاد – إن شاء الله – منارة علمية تشع أضواءها لتنير الطريق لكل الباحثين.

وفقنا الله جميعا لرفع شأن الدراسات التاريخية في الوطن العربي، والله من وراء القصد إنه نعم المولى ونعم النصير.

أ.د. حسنين محمد ربيع
رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة
أستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة
عضو مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي المصري

برنامج مؤتمر العلاقات بين العرب ودول وسط وجنوب آسيا عبر العصور

اليوم الأول الأربعاء ٥ محرم ١٤٣٦هـ الموافق ٢٩ أكتوبر ٢٠١٤م

الجلسة الأولى : ٩ر٠٠ صباحاً – ١٢ر٠٠ ظهراً

- كلمة أ.د. حسنين محمد ربيع — رئيس الاتحاد ورئيس المؤتمر
- كلمة أ.د. عبد الله بن يوسف الشبل — نائب رئيس الاتحاد
- تكريم نخبة من نوابغ المؤرخين العرب

استراحة وتناول الغداء ١٢ر٠٠ – ١٢ر٣٠ ظهراً

الجلسة الثانية: ١٢ر٣٠ – ٢ر٠٠ ظهراً — رئيس الجلسة : أ.د. أحمد بن عمر الزيلعي

أ.د. عبده ناصر العيسي	سلطنة المماليك وإسبانيا الدور في العقد الاجتماعية (دراسة مقارنة)
د. سيد محمود محمد عبدالعال	العلاقات المتبادلة بين الهند وجزيرة سلاطين المالديف (٩٤٢-١٣٥٠هـ/١٥٣٦-١٩٣٢م)
د. أمال هاشم زين الدين	ابن تيمية الأزهري ودوره العلمي والسياسي في مصر وبلاد سلاطين المماليك
د. باسيا عبد الهادي طلبه	الدعوة النظامية في الهند
د. أمال سليمان عبد الحميد	النشاط التجاري للإمبراطورية المغولية وأثره على الشرق الإسلامي

دعوة الغداء ٢ر٠٠ – ٣ر٠٠ عصراً

الجلسة الثالثة ٣ر٠٠ – ٥ر٠٠ عصراً — رئيس الجلسة : أ.د. زبيدة محمد عطا

د. أميرة السعيد الطنطاوي	موقف مصر من المرام الهندي البرتغالي حول المستعمرات البرتغالية في الهند
د. سعيد بن مشيب القحطاني	العلاقة بين حكومة الإدريسي والحكومة الإيطالية في الصومال (١٩٠٩-١٩٢٣م)
د. محمد عبد الرحمن مريدا	الجذور التاريخية للعلاقات الثقافية المصرية- الهندية محمد عبده ومحمد إقبال دعاة الإصلاح والتجديد
د. عفة الله يحيى يوسف الأحمدي	الآثار المستفيضة للعلاقات الإسلامية الهندية
د. رمضان سعيد علي عبد الرحيم	العرب والأفغان " السيد جمال الدين الأفغاني " نموذجا

اليوم الثاني الخميس ٦ محرم ١٤٣٦هـ الموافق ٣٠ أكتوبر ٢٠١٤م

الجلسة الرابعة : ١١ر٠٠ صباحا – ١٢ر٣٠ ظهراً رئيس الجلسة: أ.د. حياة ناصر الحجيلي

د. صلاح سليم عليوة	الإمدادات للمجاعة بين الخلفاء العباسيين وعامل الطاعون
د. أشرف سمير توفيل محمد	تاريخ مواسم الصوامع الجنوبية للدولة المملوكية لمدينة الإسكندرية في القرن الثامن الهجري
أ.د. فيصل بن علي بن جريس	دور الدعاة الحاليين في نشر الإسلام في إندونيسيا وما جاورها (١٩٠٠-٢٠١٢م)
أ.د. المصطفى النصري محمد	العلاقات المغاربية بين الحرب وسياسة بروتاي

استراحة وتناول الشاي ١٢ر٣٠ – ١ر١٠ ظهراً

الجلسة الخامسة : ١ر٠٠ – ٣ر٠٠ بعد الظهر رئيس الجلسة: أ.د. محمد عيسى الحريري

أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين	الخلافات العربية الإسلامية مع ماليزيا في العصر الوسيط
أ.د. محمود محمد متولي	ماليزيا والعالم العربي
د. هزا بنت عبدالرحيم شاهين	الجاليات الآسيوية في مكة المكرمة وجهودها في الحملات الخارجية خلال العصر العثماني
د. مسعود محمود علي عبادي	مواسم الحج وأثرها في ازدهار حركة التفاعل الحضاري العربي - الصيني من خلال رحلة ابن بطوطة
د. محمد رفعت الإمام	الضياء العربي للإسلام في آسيا الوسطى وأفغانستان بعد سقوط الاتحاد السوفيتي

دعوة الغداء ٣ر٠٠ – ٤ر٠٠ عصراً

الجلسة السادسة الختامية: ٤ر٠٠ – ٦ر٠٠ مساء رئيس الجلسة: أ.د. حسين محمد ربيع

- توصيات المؤتمر
- اقتراح موضوع المؤتمر القادم
- مقترحات أعضاء الاتحاد
- اجتماع مجلس الإدارة

الرواد المكرمون من نوابغ المؤرخين
في احتفالية اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة
يوم الأربعاء ٥ محرم ١٤٣٦هـ الموافق ٢٩ أكتوبر ٢٠١٤م

م	الاسم	الجنسية	الوظيفة
١	أ.د. حامد زيان غانم	مصري	أستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة
٢	أ.د. عبدالمحسن مدعج المدعج	كويتي	نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير التجارة والصناعة بدولة الكويت – وأستاذ بكلية الآداب جامعة الكويت
٣	أ.د. مجاهد توفيق الجندي	مكرونيزي	أستاذ بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر
٤	أ.د. سليمان عبد الغني مالكي	سعودي	أستاذ بكلية التربية جامعة الطائف
٥	أ.د. حسن علي حسن	مصري	أستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

موانئ سواحل الهند ودورها في ازدهار حركة التبادل التجاري العربي الهندي في العصر الإسلامي
(١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م)

د. مسعود محمود علي عبادي
مدرس بكلية دار العلوم جامعة المنيا

حبا الله تعالى بلاد الهند بموقع جغرافي متميز، فهي تقع في الركن الجنوبي من القارة الآسيوية، مطلة على المحيط الهندي، والبحر العربي وخليج البنغال، فضلا عن أن مياه المحيط الهندي سهلت اتصالها بالقارة الإفريقية.

كما أن شكل شبه جزيرة الهند من الأشكال النموذجية للسواحل العالمية، لما تميزت به من امتداد شطآنها لمسافات طويلة داخل المحيط الهندي ، فضلا عن عمق مياه المحيط عندها، وقد كان للهند واجهتان وفرت لها الحماية البحرية، وحركة رياحه وإمكانات مناطقه الداخلية الزراعية والصناعية.

كل تلك العوامل والمميزات أسهمت بصورة جلية في إنشاء سلسلة من الموانئ التجارية الساحلية المهمة، لعبت دورًا عالميًا، لا يمكن إغفاله، في مجال التبادل التجاري مع موانئ البلدان الأخرى، وأصبحت مركزًا تجاريًا وسوقًا للبضائع بنوعيها المحلية والمستوردة، وموانئ فعالة لتجارة العبور (الترانزيت) بين عالم الشرق الأقصى وعالم الغرب. ونتيجة لهذه المكانة المرموقة، وللدور العظيم الذي لعبته موانئ الهند، في ازدهار التجارة الداخلية والخارجية، جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ :(موانئ الهند، ودورها في ازدهار حركة التبادل التجاري العربي الهندي في العصر الإسلامي).

وتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بأشهر موانئ سواحل الهند، وإبراز أهميتها التجارية محليًا ودوليًا، وتوضيح دورها في ازدهار حركة التبادل التجاري العربي الهندي في العصر الإسلامي.

تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث رئيسة :أما المبحث الأول فتناولت فيه الموقع الجغرافي لبلاد الهند –بصورة موجزة ومركزة – وأثره في إنشاء الموانئ الساحلية. بينما كان المبحث الثاني للتعريف بموانئ سواحل الهند في العصر الإسلامي. وأما المبحث الثالث فخصصته للحديث عن دور موانئ الهند في ازدهار حركة التبادل التجاري العربي الهندي في العصر الإسلامي. ثم أنهيت هذه الدراسة بخاتمة مختصرة أوجزت فيها أهم النتائج وأخيرا أوردت قائمة حوت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هذه الدراسة. ومن خلال مباحث الدراسة حاول الباحث قدر الإمكان، معالجة محاور الدراسة بأسلوب علمي يعتمد المنهج التحليلي .

أولا: موقع بلاد الهند وأثره في إنشاء الموانئ الساحلية:

احتلت الهند أهمية بالغة في الجغرافيا، وتكمن هذه الأهمية في بروز الموقع الجغرافي لبلاد الهند، منذ اللحظة الأولى التي تقع فيها العين على الخريطة العالمية، فهي تقع في منتصف المسافة بين الصين وجزر جنوب شرق آسيا، وغيرها من بلدان الشرق الأقصى، وبين دول وإمارات غرب المحيط الهندي العربية والفارسية [1]، وتطل على مذافذ بحرية في غاية الأهمية هي : البحر العربي، وخليج البنغال ، والخليج العربي[2]، فضلًا عن إحاطة المسطحات المائية بها، والمتمثلة في المحيط الهندي الذي يحيط بها من الشرق والغرب والجنوب[3]، زد على ذلك الأنهار الواقعة في شمال الهند، كنهر ميران(الهندوس)[4] (Indus) ونهر جنجس (الغانج)[5](Cange).

أما حدود بلاد الهند الجغرافية، تاريخيًا، فقد قسمها الجغرافيون الأوائل إلى: السند(باكستان) والهند. تقع السند في الركن الشمالي الغربي من الهند، ويحدها من الشرق والجنوب الهند، وبحر فارس، ومن الغرب كرمان[6] ومن الشمال سجستان[7]

وكابل[8]، أما الهند فقد أحاط بها المحيط الهندي من الشرق والغرب والجنوب، أما من الشمال فأحاطت بها الصين وكابل والسند[9].

وأصبح لبلاد الهند، بفضل هذا الموقع الممتاز، شخصيتها الجغرافية المتميزة، فقد جمعت طبيعتها، في جانبها التضاريسي[10]، بين السهول الساحلية(كمدينتي المنصورة[11] وملتان[12])، والجبال، والأودية، والصحراء[13]، وفي شقها المناخي[14] بين عدة ألوان من المناخات الموسمية والمدارية، والصحراوية[15]، ولهذا كان تنوع أقاليمها الجغرافية تنوعًا مفيدًا، أدى إلى إثرائها وتكاملها.

كما تميزت الطبيعة الجغرافية للهند بالخصوصية، سواء في المسطحات المائية التي جعلت منها شبه جزيرة من الصعب غزوها، أو في الغطاء الجبلي الذي انتشر في أنحائها[16]. حيث كان لامتداد رقعة سواحل الهند على الممرات المائية التي تحيط بها من الجهات الشرقية، والغربية والجنوبية[17]، أثر واضح في التواجد الإسلامي هناك، وظهور العديد من الوسطاء التجاريين من أجناس شتى، صاحبه انتعاش في العلاقات التجارية بين الدولة العباسية والهند[18].

ومن نافلة القول، أن شكل السواحل الهندية من الأشكال النموذجية للسواحل العالمية، حيث تميزت بامتداد شطآنها لمسافات طويلة داخل المحيط الهندي، زد على ذلك تعددها بكثرة التعاريج، والأخوار والخلجان (خاصةً تلك التي وجدت على السواحل الغربي للهند عند سيمور ، وكذلك بالقرب من سواحل سرنديب)[19] فضلًا عن إحاطة معظم شواطئه بسلاسل من الجبال التي تحميه من الرياح والعواصف البحرية القوية، وبعد سواحله عن الصراعات والاضطرابات التي كانت تحدث في بلدان غيره، وحرص حكامه وأهله على تأمين الملاحة والتجارة البحرية، وحمايتها من أخطار القراصنة[20].

كل هذه العوامل والمميزات كانت فرصة سانحة لإنشاء سلسلة من الموانئ التجارية النشطة على امتداد تلك السواحل، لتسبحت لها علاقات تجارية بارزة في شبكة الملاحة الدولية، طيلة العصور القديمة والوسطى.

ويفضل نشاط هذه الموانئ؛ أصبح للهند مكانة مرموقة في عالم التجارة، وبخاصة التجارة البحرية، ولعبت دورًا في حركة التبادل التجاري بينها وبين الموانئ العربية الإسلامية، حيث أشار العمري إلى ذلك فقال[٥٥]: "وحسبك بلاد الهند، ففي بحرها الدر، وفي برها الذهب، وفي جبالها الياقوت والماس، وفي شعابها العود والكافور، ومن حديدها سيوفها، وبها معادن الحديد والزئبق والرصاص، ومن بعض نباتها الزعفران، وفي بعض أوديتها البلور، وخيراتها مرفورة، وأسعارها رخيصة".

ثانيا: موانئ سواحل الهند:

الموانئ عبارة عن قنوات يتم خلالها الاتصال والاحتكاك بالكثير من الثقافات، فضلا عن أنها تمثل عصب الاقتصاد والثراء، المعبر خير تعبير، عن مدى ازدهار النشاط التجاري لهذا البلد أو ذاك، وعليه يمكن اعتبار الموانئ أهم أضلاع[٥٦] مربع النشاط التجاري الذي من دونه يختل هذا النشاط.

ومن أهم النماذج التي تبين القول الآنف الذكر؛ موانئ سواحل الهند في العصر الإسلامي، حيث مثلت عصب الاقتصاد الهندي، والقناة التي من خلالها اتصل الهنود بالكثير من الثقافات والحضارات شرقًا وغربًا، وأثروا وتأثروا بالعديد من المجالات الحضارية الدينية واللغوية والاجتماعية.

ولما كان نشاط موانئ سواحل الهند ودورها في حركة التبادل التجاري العربي الهندي، في العصر الإسلامي، هو محور هذه الدراسة وعمودها، فقد تطلبت طبيعة البحث التعريف بأشهر موانئ سواحل الهند، مع بيان أهميتها التجارية، في محاولة للكشف عن حجم الدور الذي لعبته في ازدهار حركة التجارة مع بلدان العالم عامة، و مع بلاد العرب على وجه الخصوص، وأثر ذلك النشاط في ثراء المجتمع الهندي، ومن أشهر موانئ سواحل الهند:

أ- موانئ ساحل بلاد اللاروي[٥٧]:

١- كمباي (كنبايه):

من المدن الساحلية الواقعة على الساحل الغربي للهند بجوار مدينة أوتكين[٥٨] اشتهرت بصناعة الغال الكنبانية الصوارة[٥٩] التي كان لها رواج كبير في البلاد العربية[٦٠]. أهم ما يميز ميناء كمباي أنه ميناء تجاري ضخم، يقع على مجموعة من الجزر، كان عليه إقبال كبير من السفن من شتى البقاع، كما تخرج سفنه إلى كل الجهات، لذلك توجد فيها جاليات من كل أنحاء العالم آنذاك[٦١] وقد كان النشاط التجاري لميناء كنبايه، كما سماها ابن بطوطة، هو السبب الرئيس لازدهار وثراء مدينة كمباية وأهلها، زد على ذلك أن معظم سكانها من التجار الأجانب[٦٢] ولكثرة التجار بهذا الميناء كان لهم رئيس يطلق عليه "ملك التجار". وقد كانت السفن العربية الإسلامية تحمل إليها الخيول والنبل والقطن، ثم تعود السفن محملة بالبضائع المكونة من التوابل والأحجار الكريمة والحرير والعقيق، وزيت السمسم والأخشاب والمسك والأصباغ والحبوب، وكان التجار يدفعون ١% بغرض تعمير المدينة[٦٣].

٢- سوبارة (سفالة):

جنوب كمباية وتقع تحت نفوذ مملكة البلهرا[٦٤] وكانت أيضا تتمتع بنشاط تجاري كبير، وخاصة تجارة الأحجار الكريمة، وجوز الهند والخشب القسط[٦٥]. ويعتقد بعض الدارسين[٦٦] أنها من الموانئ التي اندثرت بفعل تحول النشاط التجاري صوبها إلى مواقع أخرى، وأنه من الصعب تحديد موقعها حاليا على الخريطة.

٣- تهانسة:

من موانئ ساحل اللاروي، ويطل على جزيرة سالسيت في نواحي سوبارة، وقد كان لموقعه، على الخط الساحلي التجاري، دور في النشاط الاقتصادي الواسع الذي عرف به[٦٧]. كما كان التجار المسلمون[٦٨] يتوافدون على موانئ هندية أخرى في هذا الساحل مثل: صومنات والذي يقع في جنوب غرب شبه جزيرة جوزارات، وأيضا من الموانئ الهندية الجنوبية ميناء صندابور، والتي تقع بين مدينتين

إحداهما قديمة بناها الهنود، وأخرى خاصة بالمسلمين أقاموا فيها جامعا كبيرا[xxxv]، وتقع على خور كبير ترسو فيه السفن، وهي ذات نشاط تجاري متواصل، ومقصد التجار من كل مكان، وتضم أجمل المباني المعمارية الهندية[xxxvi].

ب- موانئ ساحل بلاد المليبار[xxxvii]:

١- كولم ملي:

ميناء من موانئ ساحل المليبار المهمة، يقع جنوب الهند[xxxviii] وقد تميز هذا الميناء بحركة تجارية نشيطة، وهو من المحطات الأولى التي رست فيها المراكب العربية[xxxix]، وقد بقي هذا الميناء على أهميته التجارية حتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، فكان من ضمن المدن الساحلية التي زارها ابن بطوطة، فحسب وصفه: هي" أحسن بلاد المليبار، وذات أسواق حسان، وتجارها يعرفون بالصولين وهم أثرياء، فمنهم من يشتري المركب بما فيه من السلع، ويجيد شحنه بسلع أخرى، وفيها عدد كثير من التجار المسلمين من العراق وبلاد قزوين، وهم فيها محترمون، وبها مسجد جامع رائع العمارة، بناه أحد التجار المسلمين"[xl]. وهذا يدل على ثراء تجار الميناء، كما كان لهم أيضا مخازن ضخمة، تخزن فيها كمية من السلع يمكن أن تكفي لشحن سفينة أو أكثر، وكان سكانها من جنسيات مختلفة، معظمهم من البلاد العربية. وقد أمد سكان هذا الميناء العرب بخشب الساج اللازم لصناعة السفن، وقد جنى سكان مليبار من هذه التجارة أرباحا طائلة، وكان ملوكهم يحصلون على رسوم الموانئ، عدا الهدايا الثمينة، ولذلك شجعوا التجار العرب، وفتحوا لهم بلادهم على مصراعيها، فتوافد العرب وأنشئوا لهم جاليات في سواحل غرب الهند، ونزح بعضهم للناحية الشرقية[xli].

٢- منجلور:

ميناء تجاري مهم، على يقع على ساحل المليبار، يتسبب في البحر الذي يتميز بظاهرة المد والجزر، وقد عرف بعلاقات تجارية نشيطة مع البلاد الإسلامي، لاسيما في مجال انتاج الفلفل وتصديره[xlii]. ويبدو أن هذا الميناء ظل محتفظا بمكانته

الاقتصادية حتى زيارة ابن بطوطة، حيث وصفه بأنه على "خور يسمى خور الدنب، وهو أكبر خور ببلاد المليبار، ينزل فيها معظم تجار فارس واليمن، والفلفل والزنجبيل بها كثير جدا"[xlii].

٣- جرفتن:

تقع على ساحل المليبار، عرفت بإنتاجها الفلفل[xliv] وقد وصفها ابن بطوطة، وذكر أن ملكها من أكبر سلاطين المليبار، وهو من أكبر الموسرين، كما كان يقوم بإدارة التجارة في الميناء عن طريق مراكب كثيرة تتنقل بين اليمن وعمان..."[xlv].

٥- فنفريفه:

تقع في الجنوب الشرقي من مدينتي جرفتن وبدفتن[xlvi]، تشتهر بإنتاج الفلفل الأبيض، ويتميز ميناء فنفريفه باتساعه، فضلا عن أن معظم مراكب التجار تقصده من الهند وبلاد أخرى[xlvii] واشتهر بتصدير العود القاقلي، ويعتبر من أجود أنواع العود الهندي[xlviii]، ويبدو أن المسلمين كانوا يتمتعون بأوضاع جيدة، حيث انتشرت المساجد في معظم أحياء فنفريفة، هذا بالإضافة إلى أن المسجد الجامع كان في الميناء، وخطيبه من بلاد عمان[xlix].

٦- كالبكوت (قالبقوط):

ميناء تجاري مهم من سواحل المليبار (الساحل الغربي للهند)[l] وكان التجار العرب يتعاملون معه قبل مجيء البرتغاليين بحوالي ٦٠٠ سنة، كان يحكمها أهم زعيم في ساحل غربي الهند، ويدعى الزامورين، أو السامري كما يسميه أحمد زين الدين المليباري، ومع أن كالبكوت ميناء صغير يقع على رقعة بسيطة من الأراضي؛ إلا أن حاكم الميناء كانت له الكلمة العليا في المنطقة الساحلية من غرب الهند، لقوته الاقتصادية الناتجة من أهمية الميناء في التجارة الدولية في ذلك الزمان، حيث كانت تمر تحت سيطرته تجارة التوابل، وتلك المنقولة من جزر الشرق الأقصى، مثل ملقا، وهي في طريقها إلى أوروبا عن طريق الخليج العربي أو البحر الأحمر[li]. وكان ملتقى لتجار المحيط الهندي، حيث قصدها كل من تجار الصين[lii] وسرنديب، واليمن

وفارس والحبشة. ولعظم التجارة المتداولة في كالوكوت، وكثرة التجار فيها، كان لهم أمير يطلق عليه "شاه بندر" وسكانها من جنسيات مختلفة، وكثير منهم من المسلمون[١٥٣].

ومن الموانئ المهمة أيضا في ساحل المليبار: ميناء رأس كمهري، ويعتبر الحد الفاصل بين ساحل المليبار وساحل بلاد المعبر[١٥٤] وهو يعرف الآن برأس كومورين في أقصى جنوب شبه القارة الهندية.

جـ - موانئ ساحل بلاد المعبر[١٥٥].

١- بلين:

تقع جنوب كولم ملي وهي أقصى بلاد الهند، وهذا المرفأ يعتبر مفترق الطرق نحو الشرق الأقصى، حيث عرف لدى الملاحين العرب بذلك، وقد كانوا يقيمون فيه أشهرا للاستراحة[١٥٦] والتزود بالمؤن، ثم يبدأ نشاطهم التجاري منه إلى مناطق التجارة العالمية.

د- موانئ الساحل الشرقي للهند:

١-منـدروفين:

تقع على السواحل الشرقية للهند، بين الميناء التجاري وساحل المعبر، مقابلة لمرتديف[١٥٧]، وأهم ما اشتهر به هذا الميناء إنتاج الخيزران وخشب شجر الصندل[١٥٨] كما عرف بتصدير الطباشير[١٥٩]، ولا زالت المنطقة تشتهر بوفرة إنتاجهما في نواحي منطقة مدراس.

٢- منيفتن:

من أهم مناطق الساحل الشرقي للهند، وميناؤها ذو أهمية تجارية كبيرة، يتوافد عليه التجار من أماكن بعيدة، كالصين وعمان واليمن وسائر بلاد الهند[١٦٠]، ومما يدل على أن الميناء كان على جانب كبير من الأهمية، أنه كانت من المواقع الأولى التي احتلها البرتغاليون في السواحل الشرقية للهند، وأطلقوا عليها ساحل كورومندل.

٣- كنجة-

ميناء مدينة كنجة من الموانئ الواقعة في النواحي الساحلية الشمالية الشرقية للهند، شمال بلين و منيفتن، وتشتهر بإنتاج الحنطة والأرز، وكانت محط أنظار التجار المسلمين من كل الأقاليم[١٦١].

٤-بـهـلـر:

تقع في الساحل الشرقي للهند، شمال كنجة، يتردد عليها التجار بشكل منتظم، لاستيراد الأرز الذي يحتل قائمة الصادرات في ميناءها[١٦٢].

– ميناء كجرات:

يقع شمال غرب الهند، مواجها عمان والساحل الغربي، كان لموقعها أثر كبير في توجيها التجاري، بحيث أصبحت علاقتها التجارية قوية مع العرب والمسلمين[١٦٣]، لذلك قامت بدور كبير في التجارة البحرية في المحيط الهندي، ويمتاز ميناء كجرات بموقع مهم، إضافة إلى وفرة المنتجات الزراعية، مثل الزنجبيل والفلفل. كما عرفت بدباغة الجلود (الماعز، الجاموس، النمران البرية)، منها المرسمة والموشاة التي كان الأهالي يصنعونها بفن عجيب[١٦٤]، كما اشتهرت أيضا بأغطية الفراش الناعم، حيث يخاط بخيوط الذهب والفضة، ويبرعوا في صناعة الثمارق التي تزين بالذهب على أشكال مختلفة، وتباع بأثمان مرتفعة[١٦٥]، ومن المنتجات التي اشتهر بها ميناء كجرات القصب[١٦٦]، ولاشك في أن تلك المنتجات كانت مطلوبة في الأسواق العربية.

موانئ السند:

– ميناء الديبل:

يقع جنوب ميناء ديو (وتعرف الآن باسم بهمبور جنوبي كراتشي حاليا) على مصب نهر السند، كان تابعا لمملكة الدكن، وهو أول ميناء بشمال الهند يستقبل الرحلات التجارية لسفن البصرة وسيراف، والتي تتخذ من الديبل مركزا لبسط نشاطها على المراكز التجارية من بلاد السند، وأهمها المنصورة والملتان[١٦٧] وتصله السفن من

مكة وعدن وهرمز محملة بالخيول العربية، وقد أقام فيها تجار مسلمون[lxviii] واشتهر هذا الميناء بتصدير القسط والقنا والخيزران، والمسك إلى ميناء عدن [lxix] وغيرها، والقنايد – سكر النبات– يصدر إلى أقطار الدنيا[lxx] ومما عرف به هذا الميناء أيضا: تصدير الأرز بكثرة، وثياب حسقة كانت تصنع في مدينة سندان[lxxi]، وغيرها من البضائع الثمينة الغالية، والسجاجيد والبسط بأنواعها، وتصنع محليا وفي سائر الإقليم[lxxii].

وقد ازدهرت العلاقات التجارية بين أهلها وبين العرب، قبل الإسلام وبعده، فكان للتجار العرب دور في تنشيط الاقتصاد الديبلي، ومما ساعد على ذلك، أن البراهمة أبدوا جانب المسلمين، فلم يشكل تنقل التجار المسلمين خطرًا عليهم؛ ولعل ذلك يعود إلى قلة أعدادهم من ناحية، وعدم تدخلهم في الشؤون السياسية من ناحية أخرى، لذلك سمحوا لهم بالتنقل في أنحاء البلاد بحرية تامة[lxxiii].

ومن ناقلة القول: تعددت موانئ سواحل الهند حيث وصلت لحدد لا بأس به، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب مختلفة، أهمها: المنافسة الضارية بين التجار الوطنيين والمستوطنين العرب الذين تضاعف عددهم، وكذلك كان كل إقليم متخصص في بعض الحاصلات الطبيعية، وكلها مطلوبة في التجارة[lxxiv].

وهكذا كان للظروف الجغرافية المتنوعة دور بارز في وضع موانئ سواحل الهند على شبكة خطوط طرق التجارة الدولية، مما أكسب الدور الهندي للنشط عمقا تاريخيا في مجال التجارة البحرية، لاسيما تجارة المحيط الهندي هي العالم الإسلامي.

ثالثا: دور موانئ سواحل الهند في ازدهار حركة التبادل التجاري العربي الهندي في العصر الإسلامي:

صارت موانئ سواحل الهند بفضل موقعها المتاز مركزاً مهمًا للخطوط الملاحية العابرة للمحيط الهندي في الاتجاه الأفريقي أو الأسيوي، و قد تميزت موانئ الهند عن غيرها بعدة مميزات جعلت منها منظمًا ومشرفًا على حركة النقل والتجارة بين

موانئ المحيط الهندي والخليج العربي، حيث إن موانئ سواحل الهند مثلت دور الوسيط للتجارة العالمية، فضلا عن كونها قامت بدور المنافذة للمصانع والمنتجات الهندية.

أ-عوامل ازدهار حركة التبادل التجاري العربي الهندي:

تعد بلاد الهند من أهم مناطق التبادل التجاري التي كان لبلاد العرب اتصال بها منذ أقدم العصور، وبعد ظهور الإسلام صارت هذه العلاقة أقوى بكثير من ذي قبل، حيث ازدهرت حركة التبادل التجاري العربي الهندي وبلغت ذروتها، ولابد لهذا الازدهار من عوامل وحوافز ساعدت في ذلك، من أهمها:

١-التجارة : فالمعلومات المتوفرة تؤكد أن وفرة السلع التجارية الهندية وتنوعها، كانت الحافز الأول والمهم في ازدهار حركة التبادل التجاري بين المنطقتين، فقد اشتهرت بلاد الهند بضخامة ثرواتها الطبيعية والنباتية والحيوانية، وهو ما نوه به ابن الفقيه، حيث ذكر أن بها العديد من المنتجات والسلع المختلفة، وأدوات التجميل والزينة، كالروائح العطرية، والجواهر كالياقوت والماس وكذلك الكركدن، والفيل والطاووس، والعود، والعنبر، والقرنفل، والمسك والخولنجان والدارصيني، والدارجيل والتوتيا[lxxv]. كما يؤكد "ماركو بولو" الرحالة الأوروبي، أن من أهم الأسباب التي جعلت التجار يتجهون صوب بلاد الهند: المكاسب الكبيرة التي كان يحققونها من وراء تجارتهم هناك[lxxvi].

٢- التقارب الجغرافي لبلاد الهند وبلاد العرب: فقد كان تقارب المسافة واشتراكهما في أنهما يطلان على المحيط الهندي: تأثير جعل بلاد الهند مركزًا تجاريًا مهمًا (استيراد وتصدير). وقد شهدت التجارة البحرية مع الهند نشاطا ملحوظا، لقربها من العراق[lxxvii] والخليج العربي، وكان الطريق البحري إلى الهند والصين عامرا، حيث يبدأ من البصرة إلى ميناء سيراف.

٤- الطبيعة المتباينة بين المنطقتين: ونعني بذلك الرياح الموسمية في المحيط الهندي، وحركة تياراته البحرية، حيث تأثرت حركة الملاحة بالرياح، فكانت منطقة المحيط الهندي عرضة لهبوب الرياح الموسمية الصيفية، الجنوبية الغربية، التي

أسهمت في حركة السفن التجارية من السواحل العربية إلى سواحل الهند، وفي المقابل أسهمت الرياح الموسمية الشتوية، الشمالية الشرقية، في التوجه لطريق العودة[١٥٥١] وعلاوة على ذلك، فإن سكان الخليج العربي بصورة خاصة، والعرب بصورة عامة، كانوا يعرفون نظام هبوب الرياح الموسمية في الخليج العربي، والمحيط الهندي والبحر الأحمر فساعدهم ذلك على إتقان ركوب البحر، وبالتالي نظموا رحلاتهم البحرية إلى الشرق الأقصى، والهند وشرق إفريقيا[١٥٥٢].

٤ - دور حكام بلاد العرب والهند في مكافحة القرصنة وتأمين خطوط التجارة، وحسن معاملة التجار:

بذلت السلطة العباسية جهودًا محمودة في تأمين نشاط الرحلات التجارية، منذ أيام الخليفة المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ/ ٧٥٤ - ٧٧٥)، فقد أولى اهتمامًا كبيرًا لمحاربة القرامطة[١٥٥٣]، ووضع حدًا لنشاطهم المخرب بتجارة الخليج، التي غدت العمود الفقري للدولة العباسية[١٥٥٤].

كما صاحب تتابع فتح بلاد الهند نشاط بحري وتجاري عظيم، بين الخليج العربي وبلاد السند[١٥٥٥]. على الجانب الآخر رحب ملوك الهند بالرحلات التجارية التي قام بها التجار العرب، وقدموا لهم كل التسهيلات، وكذلك نعموا بحرية الإقامة في الموانئ المهمة، حتى صارت للمسلمين جاليات عظيمة على سواحل الهند، بل وتمارس شعائرها الدينية في حرية تامة[١٥٥٦].

وقد كان لذلك أثر كبير في تنمية اقتصاديات الهند، وتصريف منتجاتها في مختلف أرجاء العالم المعروف آنذاك، حيث كان التجار العرب هم محتكرو التجارة الشرقية في العصور الوسطى، منذ العصر العباسي والقابضون على مقاليد التجارة العالمية[١٥٥٧]. ومن الأمثلة على دور حكام ممالك الهندية وأهتمامهم في توفير الأمن والأمان، وتهيئة المناخ المناسب للتجار العرب الوافدين على بلادهم، وحرصهم على ازدهار الحركة التجارية بين بلادهم وبلدان الجزيرة العربية: حكام البيوت "الراشطراكوتا" وهم حكام الدكن الذين أشار إليهم العرب باسم "بلهرا"، وقد أفرط الرحالة العرب في

مدحهم لمحافظتهم على أرواحهم وأموالهم، وقد كان لترحيبهم بالتجار العرب أسباب كثيرة منها: حروبهم المستمرة مع "الغورجارا- براتيهارا" حكام الشمال الذين كانوا في عداء مع عرب السند أيضًا، فقصد حكام الدكن تأييد عرب السند[١٥٥٧].

كما يؤكد ذلك ما ذكره ابن حوقل[١٥٥٨] عن إكرام ملوك البلهرا للمسلمين: "تقع مملكة البلهرا من كنبايه إلى صيمور، وهي من بلاد الهند الملاصقة للسند... والغالب عليها هندوس وبها مسلمون، إلا أنه من قوة مركز التجار المسلمين وإعزاز ملك البلهرا لهم لا يلي عليهم إلا مسلم وكذلك الحال في سائر ممالك الهند....".

وقد أشار المسعودي[١٥٥٩] أيضًا إلى امتداد سياسة ترحيب ملوك الهنود الآخرين بالتجار المسلمين الذين حضروا للتجارة في بلده "ملك الطاقن"، وهو "موادع لمن حوله من الملوك ومملكتهم لا بحر لها، عكس مملكة البلهرا التي لها بر وبحر"، ويؤكد ابن بطوطة عزة المسلمين بساحل الملبار حينما زارها، فيقول [١٥٦٠]: "فبذا لقي هندوسي مسلم تنحى له عن الطريق حتى يمر "والمسلمون أعز الناس بها، غير أنهم لا يواكلونهم ولا يدخلونهم دورهم".

زيد على ذلك كله، أن ملوك الهند والصين كانوا يعترفون أن ملوك العرب هم حكماء الأرض، وأن أول الملوك في العالم هو خليفة بغداد، ثم يليه ملوك الصين والرومان وفيلند، على الترتيب[١٥٦١].

ب -الطرق التجارية البحرية بين الموانئ العربية والهندية:

فقد ذكرها سليمان التاجر[١٥٦٢] بالترتيب الآتي: تنقل البضائع من البصرة وعمان إلى سيراف، ومنها إلى مسقط، ثم تولي وجهها إلى الهند حتى تصل بعد شهر إلى كولم ملي، ومنها تذهب للصين. ويصف أبو زيد السيرافي طريق العودة، حيث ترحل السفن من الهند إلى عمان، ومنها إلى عدن، ومنها إلى جدة ثم إلى القلزم[١٥٦٣] وينقطع البحر هناك... ثم يخرج البحر من القلزم على أرض البربر، ثم يتصل بالجانب الغربي الذي يقابل اليمن حتى يمر بأرض الحبشة [١٥٦٤].

والمتأمل لتلك الرحلة يجد أنها بدأت من نهر الفرات عند رأس الخليج ، وأن هدفها الأساسي كان الوصول إلى الصين، وأن الموانئ الهندية في تلك الرحلة، مثل كولم ملي وسيلان، بجانب كونها محطات للتموين، جرى بها تبادل سلعي[xciii] تم بمقتضاه دفع المكوس.

وهناك عدة طرق أخرى، ذكرها ابن خرداذبة، ارتبطت بالتجار اليهود، والطريق الأول لهؤلاء التجار يبدأ من جنوب فرنسا، حيث يبحرون خلال البحر المتوسط حتى يصلوا إلى مصر ، وهناك يحملون بضائعهم، على ظهر الجمال، حتى يصلوا لميناء القلزم على البحر الأحمر ، ثم تتجه رحلتهم لميناء جدة، ومنها يبحرون في المحيط الهندي، حيث يسيرون بمحاذاة الساحل الجنوبي لإيران حتى يصلوا السند، وتتوقف سفنهم في ميناء الديبل، حيث يتم هناك تبادل منتجات أوربا بالمنتجات الهندية، ثم يواصلون مسيرتهم إلى كولم ملي وسيلان، حتى يصلوا إلى الصين. أيضا هناك طريق آخر يبدأ من جنوب فرنسا، لكنه يتجه عبر البحر المتوسط نحو أنطاكية، ومنه يتجهون للعراق، وبعد التبادل التجاري هناك يتجهون إلى ميناء أبله، ومنه ينطلقون كالطريق السابق نحو السند والهند والصين[xciv].

ومن خلال ما أورده ابن خرداذبه؛ يتضح أن هذين الطريقين كانا على اتصال بالولاية الإسلامية في السند، عبر ميناء ديبل قبل الوصول للصين، وهذا يوحي باستقرار نسبي في أوضاع الولاية، ويظهر أيضا أن موانئ ديبل شمالا، وكولم ملي وسيلان جنوبا، كانت النوافذ الرئيسة على الساحل الغربي للهند خلال تلك الطرق[xcv].

وإلى جانب تلك الطرق كان هناك طرق أخرى ربطت الهند بالدولة العباسية مباشرة، كالطريق الذي امتد من ميناء جدة مرورا بعدن وصنعاء ومنها إلى موانئ الهند[xcvi]، فضلا عن بعض الطرق التي كانت حلقة وصل بين صيمور وسيراف[xcvii].

٢- الموانئ والمحطات التجارية العربية التي ارتبطت بالموانئ الهندية:

كان لموانئ الساحل الهندي، المواجهة لغرب المحيط، مساهمة كبيرة في حركة التجارة العالمية في العصر الإسلامي، وتبعًا لذلك، فمن المسلم به أن هذه الموانئ قد ارتبطت بعلاقات قوية بموانئ الخليج والجزيرة العربية، والتي منها:

الأبُلة: تقع في طرف الخليج العربي العلوي، وهي من المرافئ المهمة للسفن القادمة من الصين والهند وعمان والبحرين[xcviii]. وقد وصفها ابن بطوطة بقوله:[xcix] (وكانت الأبلة مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند وفارس فخربت) وهي تقع على نهر سمي باسمها، وكان هذا النهر مزدحما بحركة السفن الكبيرة والصغيرة ، وقد أنشئت على ضفافه أدراج صغرية حتى يسهل النزول إلى مستوى النهر الوطيء وقت الجزر، لشحن السفن أو تفريغ البضائع منها[c].

البصرة: تقع على شط العرب، وتبعد عن البحر بعض الشيء، وقد كانت من المراكز التجارية المهمة، وانتشرت تجارة أهل هذا الميناء من فرغانة، في أقصى التركستان، حتى سوس في أقصى المغرب[ci]. وعن أهميتها الاقتصادية يصفها اليعقوبي فيقول:[cii] (والبصرة مدينة الدنيا ومعدن تجارتها وأموالها) وأصبح ميناؤها العظيم الواسع يعج بحركة السفن البحرية والنهرية، وللحركة التجارية دائبة ومستمرة بين شحن وتفريغ، ولهذا قال عنها ابن الفقيه: [ciii] (مأوى كل تاجر وطريق كل عابر). وكان تجار البصرة يقومون بنقل منتجات البصرة، والتي يتصدرها التمر الذي تشتهر البصرة بكثرته[civ].

البحرين: كان يطلق على المنطقة الشرقية، من شبه الجزيرة العربية، الممتدة على الخليج العربي من البصرة إلى عمان – أسماء كثيرة أشهرها البحرين وهجر والخط[cv]. وفي ذلك يقول ياقوت: "اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان"[cvi]. ويعتبر هذا الموضع من المراسي المهمة للسفن القادمة من الشرق[cvii]، وله دور مهم في تجارة اللؤلؤ، حيث يمتاز لؤلؤه بالجودة والنقاوة، مما جعل تجار اللؤلؤ يقبلون عليه ويفضلونه على غيره، وقد أشار القزويني في هذا المعنى بقوله[cviii]:

(بها مغاص الدر وذره أحسن الأنواع) وزاد الإقبال على لؤلؤ البحرين لجودته، حتى حملته السفن إلى أقاصي الهند والصين[٥٥] وأصبح مصدرًا مهمًا من مصادر الربح والثروة لهذا المركز التجاري الكبير[٥٦].

صحار: من أقدم موانئ الساحل العماني[٥٧] المهمة، ومركز التجارة فيه، حيث تزدحم في ميناءها السفن القادمة من البصرة واليمن وافريقية، وسفن الهند والصين، ولهذا اكتسبت شهرة واسعة في التجارة بين الشرق والغرب، وصارت أغنى مدن الخليج، وقد عبر ابن حوقل عن ذلك بقوله[٥٨]: (وبها من التجار والتجارة ما لا يحصى كثرة، وهي أعمر مدينة وأكثرها مالا، لا يكاد يعرف على شط بحر فارس بجميع الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالا من صحار). وتردد صدى هذا النشاط الاقتصادي في ثراء أهل صحار وعنايتهم بمدينتهم، وتعميرها بالمباني، فوصفها المقدسي قائلا[٥٩]: (صحار هي قصبة عمان ليس على بحر الصين اليوم بلد أجمل منه، عامر، أهل حسن مليح، تزه ذو يسار وتجار، وفواكه وخورات،.... دورهم من الآجر و الساج، شاهقة نفيسة.. وهم في سعة من كل شئ؛ دهليز الصين، وخزانة المشرق)، ومما زاد أهمية صحار أنها أقرب الموانئ العربية لرسو السفن الآتية من الهند، الأمر الذي ساعدها على أن تصبح فوق كونها ميناء - مركزاً للتجارة مع الهند وإفريقيا[٦٠].

عدن: يقع هذا الميناء في الخليج الذي عرف باسمه (خليج عدن) المطل على بحر العرب والمحيط الهندي، وقد مثل ميناء عدن حلقة وصل محورية في نشاط حركة التبادل التجاري العالمي، والبحر الأحمر والبحر المتوسط، ومثلت تجارة المحيط الهندي أهم السلع والمنتجات التي استقبلها هذا الميناء، ومنه كانت تنقل إلى الحجاز وبلدان حوض البحر المتوسط وشرق إفريقيا، حيث شدة الطلب على تلك السلع والمنتجات[٦١]. وعد من المراكز المهمة لتجارة الكارم، والتي كانت تصل إليه عن طريق تجار الهند، ومن ثم يصدرها تجار الكارم في هذا الميناء إلى عيذاب[٦٢]، ولم يكن ميناء عدن مجرد ميناء لاستقبال وتصدير وخزن للبضائع، أو مستودع لحفظ

للبضائع فقط بل كان في الوقت ذاته من أهم المناطق الصناعية، حيث اشتهرت فيه العديد من الصناعات، كالزجاج والثياب والطيب وغيرها، كما كانت تستخرج من سواحله نوعيات مختلفة من المنتجات البحرية التجارية والصناعية[٦٣].

رابعا -حركة السلع والبضائع التجارية المتبادلة:

الحديث عن حركة السلع التجارية المتبادلة بين موانئ السواحل العربية والهندية، في العصر الإسلامي، عنصر أساسي في تاريخ العلاقات التجارية بينهما، فبلاد الهند تعد أهم مناطق التبادل التجاري التي كان للموانئ العربية اتصال بها منذ أقدم العصور.

ويبدو جليًا أن الميزان التجاري كان يميل ناحية الهند، من حيث الكم والكيف، نظرا لوفرة وتنوع منتجاتها، مقارنة بالدولة العباسية التي كانت تمتلك العديد من المنتجات الهندية[٦٤]، وتأتي التوابل[٦٥] والبخور والعطور على رأس قائمة السلع المطلوبة في العصر الإسلامي، هذا بجانب ما كان يجلب منها أيضًا من المسك الدارييني[٦٦]، كذلك العود المندلي الذي كان شائع الاستهلاك في الدولة العباسية[٦٧]، إضافة إلى العود الهندي الذي كان ينبت في شرق الهند[٦٨] وكذلك القاموري، والذي يجلب من إقليم قامرون بالهند، وقد عرف بجودته وندرته[٦٩]، و العنبر الذي كان يجلب من بلاد الزنج[٧٠] والهند[٧١].

وقد أسهمت المراكز الطبية والمشافي والصيدليات وحوانيت العطارين، في العالم الإسلامي، في شدة الطلب على التوابل التي دخلت في صناعة العقاقير، وحفظ الأطعمة وتحسين مذاقها، مما أدى إلى ازدهار حركة التبادل التجاري مع الهند[٧٢].

واحتلت الأخشاب المرتبة الثانية في قائمة الواردات العباسية من الهند، وأهمها خشب الساج[٧٣] الذي كان ضروريا لبناء السفن، وقد كان يصدر من اندكن في مملكة الواشتراكوت[٧٤]، ذلك أن شح بلدان الخليج إلى الأخشاب، وعدم ملائمة مناخها لنمو شجر الساج، دفع التجار إلى استيراد كميات كبيرة منه، خاصة وأن هذا النوع من الأشجار تمتاز بالطول والضخامة[٧٥]، مما هيأ لرجال البحر في الخليج

الحصول على ألواح لبناء سفنهم. واشتهرت بعض جزر الهند أيضًا بأنواع من شجر الناريجيل الصالح لتزويد السفن بالأخشاب العطلوبة أيضًا[٥٥٥]، أضف إلى ذلك استخدمت مدن الخليج العربي هذين النوعين من الأخشاب في بناء المنازل، وخاصة منازل الموسرين[٥٥٦].

ومن الأخشاب المهمة: الخيزران الذي يستعمل للرماح، وهي أهم أسلحة الفرسان في الجيش العربي، كما اشتهرت الرماح المطعّمة التي تستورد قناها من الهند والسند[٥٥٧]، ومن أنواع الخشب الأخرى الصندل الذي كان يجلب من بلاد الهند[٥٥٨].

ويدخل في قائمة الواردات أيضا بعض المصنوعات مثل: الملابس القطنية التي اشتهت العصائر على جودة وحسن صناعتها[٥٥٩]، والمشالات الحريرية والعمائم المختلفة الأحجام[٥٦٠] وكذلك أيضا الثياب المتخذة من الحشيش[٥٦١].

ومن ضمن قائمة الواردات: بعض السلع الكمالية كالأحذية، وأشهرها على الإطلاق نعال كنبابة، والتي تهافت الناس في الحصول عليها، وكانت تعتبر هدية فاخرة عند العرب[٥٦٢]، ومن السلع الكمالية أيضا: قرن الكركدن، حيث كان من السلع النادرة التي صنعت منها الحلي الغالية الثمن[٥٦٣].

كما جلب تجار الخليج بعض الحاصلات الزراعية من الهند، وحاولوا زراعتها في حقولهم، مثل شجر النارنج والأترج، وكانت بلاد السند مصدر الأترج[٥٦٤] وجاء من الهند أيضا نبات السنبل، الذي يزرع هناك في أودية، وعرفت أنواعه الجيدة لدى التجار العرب، منها نوع يسمى "العصافير الحمر"[٥٦٥]، ومما جلب أيضا ورق التنبول[٥٦٦] وحب الفوفل الذي كثرت استعمالاته عند أهالي شبه الجزيرة العربية، لاسيما سكان الحجاز واليمن[٥٦٧].

ويدخل في قائمة الواردات أيضا الأحجار الكريمة، كالزمرد، الذي عرف بجمال أشعته المتعددة، وكانت مملكة البلهرا، التي كثر بها التجار العرب، مصدرا رئيسا لتلك السلعة[٥٦٨]، وكذلك الكبريت الأبيض والأصفر، والحديد الخام، والعاج[٥٦٩] والفضة

والذهب[٥٧٠]، وكفل هذا المعدن الأخير للهند ثراء واسعا في ميدان التبادل التجاري[٥٧١]، وقد ظل الذهب وسيلة التبادل الرئيسية، المعتمدة في التجارة الدولية، مع الهند والشرق الأقصى.

وقد ترتب على هذه السلع المستوردة من الهند؛ قيام أسواق عالمية في مدن الخليج والعراق ومصر، حققت الرفاهية للدولة العباسية وخلفائها[٥٧٢]. وعلى وجه الخصوص: كانت مصر هي المستورد الأكبر لسلع الهند، والمحيط الهندي، بل كانت تعتبر مستودعا لتجارة المحيط الهندي[٥٧٣].

وعلى الجانب الآخر؛ كانت قائمة صادرات العرب إلى الهند هزيلة، إذا ما قورنت بصادرات الهند إلى البلاد العربية، حيث حوت بعض السلع القليلة كالثياب، والخيول التي اشتهر بها جنوب الجزيرة العربية[٥٧٤]، والخمور التي كانت تستورد من العراق[٥٧٥]، والحرير والكتان من الشام، والنسيج والملابس المصنوعة من الكتان والقطن والورق من مصر[٥٧٦]، والتمر من البصرة عن طريق ميناء الديبل[٥٧٧].

الخاتمـــــة:

جاءت هذه الدراسة للوقوف على حركة التجارة في موانئ سواحل الهند، وبيان أثرها على العلاقات العربية الهندية، وقد أوضحت هذه الدراسة: أنه كان للظروف الجغرافية المتنوعة دور بارز في وضع موانئ سواحل الهند على شبكة خطوط طرق التجارة الدولية، مما أكسب الدور الهندي النشط عمقا تاريخيا في مجال التجارة البحرية، لاسيما تجارة المحيط الهندي في العالم الإسلامي.

كما بينت الدور التجاري والحضاري لموانئ سواحل الهند في مجال الملاحة والتجارة المحلية والإقليمية والدولية، من خلال ارتباطها بشبكة الموانئ الدولية في جنوب المحيط الهندي، حيث أصبح معظم سلع المحيط الهندي وتجاراته تمر بأرضها، وعبر مسقفات تجارها.

وبعد رصد حركة السلع المتبادلة بين بلاد العرب والهند، تبين أن الميزان التجاري يميل دائمًا في صالح بلاد الهند، فما يصدر من سلع الهند، وبضائعها المختلفة، إلى البلاد العربية، كان يفوق ما تستورده من سلع البلاد العربية، حيث كانت سلع الهند تجد في أسواق عمان، وبلدان الخليج والجزيرة وشرق أفريقيا، رواجًا كبيرًا، للإقبال على شرائها من فئات السكان المختلفة، لجودتها من ناحية، ورخص أسعارها في معظم الأحيان من ناحية أخرى، كما أن ندرة بعض السلع الهندية زادت من شدة الطلب عليها، من قبل كثير من بلدان العالم، وبخاصة التوابل والعطور والأطواب.

وقد اصطلحت سفن الخليج العربي بنقل صادرات الهند شرقًا إلى الصين، وغربًا إلى بلاد الدولة العباسية والى أسواق البحر المتوسط.

ملحق (١) خريطة الهند في العصور الإسلامية

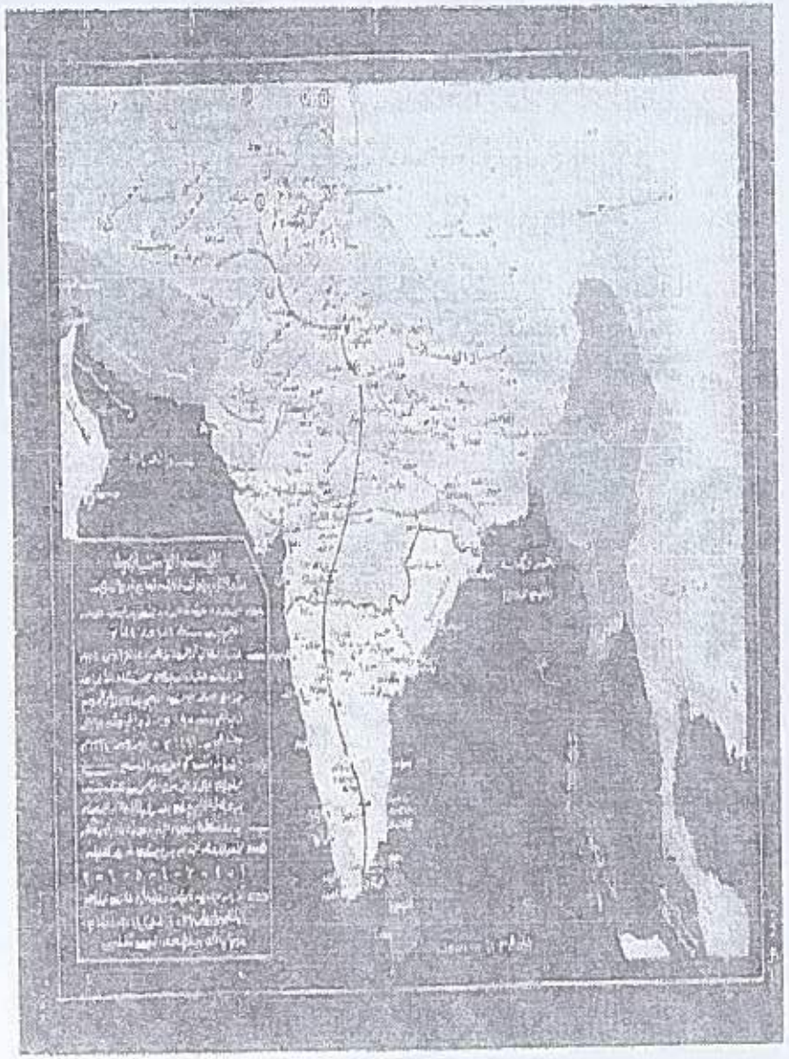

نقلا عن حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام،ص٢٤٦.

ملحق (٢)

خريطة الموانئ التجارية بالمحيط الهندي

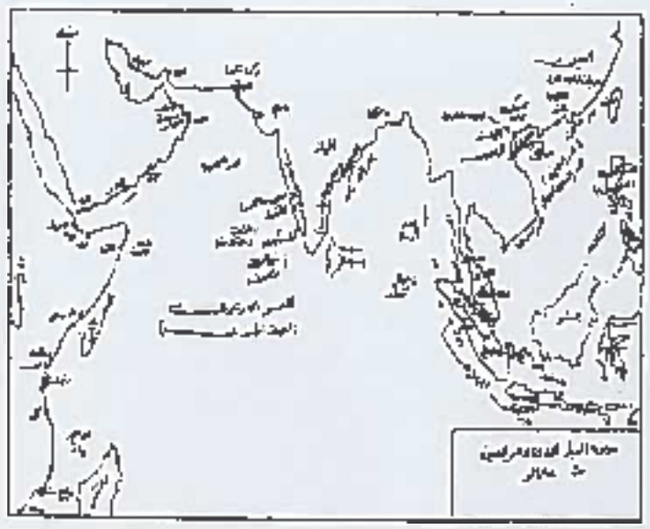

شوقي عثمان: تجارة المحيط الهندي، ص١٢٧.

ملحق (٣)

وثيقة (أبيات شعرية لصادرات الهند)

قال أبو الضلع السندي يذكر بلاد الهند وما يجلب منها:

لقد أنكر أصحابي وما ذلك بالأمثل
إذا ما مدح الهند وسهم الهند في المفتل
لعمري إنها أرض إذا القطر بها ينزل
يصير الذر والياقوت والدر لمن يعطل
فمنها المسك والكافور والعنبر والمندل
ولصناف من الطيب لمستعمل من يقتل
وأنواع الأفاويه وجوز الطيب والسنبل
ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل
وإن القوس فيها كمثل الجبل الأطول
ومنها النمر والنمر ومنها الفيل والدغفل
ومنها الكرك والببغاء والطاووس والجوزل
ومنها شجر الرنج والمقاسم والفلفل
سيوفٌ ما لها مثلٌ قد استغنت عن الصيقل
وأرماحٌ إذا ما هزت اهتزّ بها الجحفل
فهل ينكر هذا الفضل إلا الرجل الأخطل

القزويني: آثار البلاد، ص ٥١.

الهوامش:

(١) الاصطخري: المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤ م، ص١٣؛ المروزي: أبواب في الصين والهند والترك، ترجمة: فاسيليفسكي، طبعة لندن، ١٩٤٢م، ص١.

(٢) أو بحر فارس: ويمتد من حد الصين ماراً بحدود الهند والسند وكرمان إلى فارس، القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، الأعلمي، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٦١.

(٣) حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١١٨.

(٤) نهر مهران: يقع في الناحية الشمالية الغربية ويعرف في المصادر الإسلامية بـ " نهر السند العظيم"، المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، ١٩٦٦م، ج١ ص١١٣؛ ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ليدن المعروسة، تحقيق: دي خويه، ص٤٩؛ وواجع المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، دار صادر، بيروت، ص٣٠١.

(٥) نهر الفاتح: يقع شمال شرق الهند وعرف لدى بعض الجغرافيين باسم بتك. البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ص ٩٧؛ المروزي: أبواب في الصين والهند والترك، ص ٣٠.

(٦) كرمان: من مدن إيران المهمة وتقع في الجنوب الغربي لإيران، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٩٢.

(٧) سجستان: من الأقاليم الفارسية المهمة: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص ٢٠٢.

(٨) كابل: ولاية كبيرة بين الهند وغزنة، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج٤ ص٤٢٦.

(٩) حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص١١٨.

(١٠) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١ ص٩٧؛ البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص٩٠.

(١١) المنصورة: تقع على ضفاف نهر مهران، اتخذها المسلمون حاضرة لهم حينما استقروا في السند، كما صارت حاضرة للإمارة الهبارية خلال العصر العباسي الثاني، الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٠٣؛ محمد نصر عبدالرحمن: العلاقات السياسية والحضارية بين

الدولة العباسية والهند، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢٠.

(١٢) الملتان: تقع شرق نهر مهران، وكانت تتمتع بأهمية استراتيجية عسكرية فضلا عن أهميتها الدينية لدى الهنود والصينيين، البلاذري: فتوح البلدان، فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٣هـ، ٦٦٧؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ، ج١ ص١٧٥.

(١٣) منها على سبيل المثال صحراء راجبوتنا التي تمتعت بأهمية استراتيجية وعسكرية في الدفاع عن الهند، وصحراء كچه Cuatch الممتدة في جهة الشمال الشرقي، والتي شكلت خطاً آخر من التحصينات ضد الغارات القادمة من الشمال، سعيث: الأسس الجغرافية والاجتماعية للهند، ثقافة الهند، مارس ١٩٥٦م، ص١٢٢- ١٢٤.

(١٤) Encyclopédie de la géographie mondiale, « Inde » Coliv, Paris. 1996. pp 410-411.

(١٥) ابن حوقل: صورة الأرض، ليدن، بريل، ١٩٣٩م، ص٣٢٣؛ ابن رسته: الأعلاق النفيسة، بريل، ليدن، ١٩٦٧م، ص٨٨.

(١٦) محمد نصر عبد الرحمن: العلاقات السياسية والحضارية بين الدولة العباسية والهند، ص٢١.

(١٧) حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص١١٨.

(١٨) محمد نصر عبدالرحمن: العلاقات السياسية والحضارية بين الدولة العباسية والهند، ص٢٣.

(١٩) بزرك بن شهريار: عجائب الهند بره وبحره، ١٧٣.

(٢٠) سليمان التاجر: أخبار الصين والهند، ص٩٢.

(٢١) المصري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٧٤م، ج٢ ص٢٤.

(٢٢) (يرتكز النشاط التجاري على أربعة محاور : ١- وسيلة النقل ومدى ملاءمتها ٢- الموانئ ومدى صلاحيتها للحركة الملاحية ٣- السلع ومدى قابليتها للتداول ٤- أسلوب التعامل مع التجار) ينظر: شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة

الإسلامية، سلسلة كتاب عالم المعرفة، العدد ١٥١، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م، الكويت، ص ١٦٣، ١٦٤.

([cxiii]) الكاروي: هو البحر الذي يمتد على طول ساحل الهند الغربي من مصب نهر الهندوس شمالاً إلى رأس كمورين جنوبًا ، وهناك من يجعل حدوده عند مدينة تانة وهي شاول حاليًا .Chaul. راجع: Reinaud (M): Mémoire géographique historique et scientifique sur l'Inde intérieurement au milieu du XI scièclo de l'ère chrétien, Frankfurt university, 1993,p 213.

([cxiv]) لوكين أو أوكين: أول المدن الهندية الواقعة على الساحل الغربي لخليج جنوب شرق نهر سهران أشهر أهلها بالخصوصية، ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ٦١؛ المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص١١٧.

([cxv]) المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص١٣٦.

([cxvi]) بوجه عام تميزت المدن الهندية الجنوبية بحرفة صناعة الأحذية فيها، هذا بالإضافة إلى تنوعها من ناحية وجودتها من ناحية أخرى ومن أشهرها ذات الطرطقة أو ذات الكعب وهي التي وصفها المسعودي بالصرارة.

([cxvii]) الادريسي: نزهة المشتاق،ج١ ص١٨١.

([cxviii]) ابن بطوطة: الرحلة، دار صادر، بيروت، ص٤٥٢.

([cxix]) نعيم زكي. طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٧١.

([cxx]) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٧٩؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣١٨.

([cxxi]) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١ ص١٨٢؛ بزرك بن شهريار: عجائب الهند، ص١٠٥، ١٦٣.

([cxxii]) reinaud (m): Mémoire géographique historique et scientifique sur l'Inde intérieurement au milieu du XI scièclo de l'ère chrétien, p221..

([cxxiii]) بزرك بن شهريار: عجائب الهند، ص١٦٠.

([cxxiv]) في الغالب المصادر تذكر التجار المسلمين العرب دون ذكر بلدانهم فلهم [لا قلليل ، كالتجار المصريين والشوام.

([cxxv]) ابن بطوطة: الرحلة، ص٥٧٢.

([cxxvi]) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١ ص١٨٧.

([cxxvii]) وردت تسمية هذا الساحل بصيغ مختلفة منها: المليبار ، المنيبار ،العلابار، كما وصفت ببلاد الفلفل لشهرتها بإنتاج هذا النوع المهم من التوابل والذي كان يصدر منها إلى كل بلاد العالم آنذاك، سليمان التاجر: الرحلة، ص١٥٢ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٣٥٤؛ ابن بطوطة: الرحلة، ص٥٥٧.

([cxxviii]) الادريسي: نزهة المشتاق، ج١ ص١٨٢.

([cxxix]) والمقصد بتلك الطلاقتها من ميناء مدخل قمباتي، سليمان التاجر: الرحلة، ص٥٢.

([cxxx]) الرحلة، ص٦٤٨.

([cxxxi]) جورج حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص١١؛ محمد يوسف النجراسي: العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، ص٢٤.

([cxxxii]) شيخ تريوة: نغبة الدهر، ص١٧٠.

([cxxxiii]) الرحلة، ص٥٦٠.

([cxxxiv]) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٦٩.

([cxxxv]) الرحلة، ص٥٦٢.

([cxxxvi]) بدفتن: تقع إلى الجنوب من جرفتن على الخليج وتبع في ساحل الملابار، ابن بطوطة: الرحلة، ص٥٦٣.

([cxxxvii]) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١ ص١٩١.

([cxxxviii]) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٩ ص١٨٦.

([cxxxix]) ابن بطوطة: الرحلة، ص٥٥٢.

([cxl]) كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٥٧م، ق٢ ص٣٣١.

([cxli]) شوقي عثمان: تجارة المحيط الهندي، ص١٨٨.

([cxlii]) ف. هلبد: تاريخ العرب في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ج٢، ص٣٩٦.

([٨٨]) ابن بطوطة: الرحلة، ص٥٦١.

([٨٩]) أبو الفد: تقويم البلدان، ص٣٦٥.

([٩٠]) بلاد العنبر: تطلق المصادر العربية تسمية المنطقة الواقعة في جنوب الهند، بوصفها منطقة عبور المراكب التجارية إلى موانئ الهند الشمالية الشرقية في خليج البنغال، ضوخ الربوة: نكبة الدهر، ص١٧٤.

([٩١]) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٦١.

([٩٢]) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٣٥٥.

([٩٣]) الصندل: نوع من الشجر شبيه بشجر الرمان، أهم ما يميزه رائحته الطيبة ويستعمل للتطيب، الإشبيلي: عمدة الطبيب في معرفة النبات، ق١، ص٥٣٤.

([٩٤]) الطباشير: قصب عطن أبيض من تلدم يتعرضه الريح والماء ويتغير البهاء، الإشبيلي: عمدة الطبيب في معرفة النبات، ق١، ص٣٦٨.

([٩٥]) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٣٥٥.

([٩٦]) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٦٣.

([٩٧]) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٦٤.

([٩٨]) ماركو بولو: الرحلة، ترجمة: عبدالعزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م ص٣٢٩.

([٩٩]) غوستاف لوبون: حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٤١٥.

([١٠٠]) ماركو بولو: الرحلة، ص٣٢١.

([١٠١]) غوستاف لوبون: حضارات الهند، ص٨٦.

([١٠٢]) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٧٩.

([١٠٣]) Durat. Barbosa: A Description of the coast of East Africa and malbar in the Beginning of the 16 th century U.S.A, 1970. 59 - 61.

([١٠٤]) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٦٠-٦١.

([١٠٥]) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٨١.

([١٠٦]) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٨١.

([١٠٧]) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٤٨١.

([١٠٨]) إحسان حقي: بالصتان ماضيها وحاضرها، دار الجماهير، بيروت، ١٩٧٣م، ص٢٥.

([١٠٩]) ف هايد: تاريخ تجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ج٢ ص٢٧٤.

([١١٠]) البلدان، ص٧٢.

([١١١]) الرحلة ، ص٥٦٢.

([١١٢]) عبدالعزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٩، بيروت، ١٩٧٤م، ص ١٧١.

([١١٣]) أنور عبد العظيم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب سلسلة عالم المعرفة، عدد١٣، الكويت، ص١٣٣.

([١١٤]) جورج حورانى: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص١٢١.

([١١٥]) تنتشر القرنفلة في ساحل كمبرت وقد كان هذا الساحل مثوى لأشد أنواع القرصنة مجازفة وكانوا يعمدون إلى إرغام من يقع في أيديهم من الحجاج والتجار على اقتسام جرعة من ماء البحر لكي تكشف بما تخلفه بأمعائه عما إذا كان قد ابتلع اللآلئ والجواهر عند إحساسه باقترابهم، ماركو بولو: الرحلة، ص٣٢١.

([١١٦]) سليمان إبراهيم العسكري: التجارة والملاحة في الخليج العربي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٥٢.

([١١٧]) سليمان إبراهيم العسكري: التجارة والملاحة في الخليج العربي، ص١٤٩.

([١١٨]) المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص١٧١.

([١١٩]) سليمان إبراهيم العسكري: التجارة والملاحة في الخليج العربي، ص١٥٣.

([١٢٠]) سيد مقبول أحمد: العلاقات العربية الهندية، ترجمة: نقولا زيادة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٤م، ص١٠٤.

([١٢١]) صورة الأرض، ص٢١٠.

([١٢٢]) المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص٨٢.

([١٢٣]) الرحلة، ص٥٥٧.

([١٢٤]) Blanch Tapiar- Les voyageurs Arabs aumoyen age. Paris.1937. p38.

[٣٦]) وصف الطريق بدرجة عالية من الدقة بحيث أصبح هذا الوصف مصدرا رئيسا للكثير من الخارطات الحديثة، G.ferrand: Voyage du marchand arabe sulayman, paris, 1922,p 18.

نقلا عن، أيمن فؤاد سيد: العرب وطريق الهند حتى أواسط القرن السادس، المؤرخ المصري، عدد (٨)، يناير ١٩٩٢م، ص٦٩.

[٣٧]) الرحلة، ص١٣٦.

[٣٨]) سيد سليمان الندوي: العلاقات العربية الهندية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٦٨.

[٣٩]) محمد نصر: العلاقات السياسية والحضارية بين الدولة العباسية والهند، ص١٠٧.

[٤٠]) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٥٤، ١٥٥.

[٤١]) محمد نصر: العلاقات السياسية والحضارية بين الدولة العباسية والهند، ص١٠٩.

[٤٢]) السيرافي: الرحلة، ص١٢٣.

[٤٣]) بزرك: عجائب الهند، ص١٦٥.

[٤٤]) البلاذري: فتوح البلدان، ص.

[٤٥]) رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت ١٩٦٤م ، ص١٨٩.

[٤٦]) الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص١٣٥.

[٤٧]) أنور عبدالعليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص٦٨.

[٤٨]) كتاب البلدان، ليدن، ١٨٩١م، ص٣٢٣.

[٤٩]) مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٣٠٢م، ص٩٣.

[٥٠]) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م، ص٣٠٩.

[٥١]) سليمان الصكري: التجارة والملاحة في الخليج العربي، ص١٠١.

[٥٢]) معجم البلدان، ج٩ ص٧٢.

[٥٣]) شيخ الربوة: نخبة الدهر وعجائب البر والبحر، باعتناء: م.أ.ف. مهرن، بطر سبورج، ١٨٦٦م، ص٢٢.

[٥٤]) آثار البلاد، ص٧٧.

[٥٥]) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو زيد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج٢ ص٣٢٣.

[٥٦]) سليمان الصكري: التجارة والملاحة في الخليج العربي، ص١٠٣.

[٥٧]) كان لموانئ السواحل العماني دور كبير لعبته في تجارة المحيط الهندي لأن موقعه المثالي على مدخل الخليج الإسلامي يتوسط تجارة القادمة من الشرق والقادمة من الغرب، فضلا عن تجارة الخليج الإسلامي، وفي الوقت نفسه يقع خليج عمان على حافة منطقة الرياح الموسمية، ذات الأهمية القصوى في الملاحة، وكان الساحل العماني هو أول مرفأ يقابل الداخل إلى الخليج أو الخارج منه، حيث تتزود منه بالمؤن لترطة الطويلة والتي كانت تستغرق أكثر من شهر، شوقي عثمان: تجارة المحيط الهندي، ص١٩٣.

[٥٨]) صورة الأرض، ص٣٨.

[٥٩]) أحسن التقاسيم، ص٨٠.

[٦٠]) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ص٢٣١.

[٦١]) شوقي عثمان: تجارة المحيط الهندي، ص٨.

[٦٢]) محمد عبدالغني الأشقر: تجار قناوبل في مصر في العصر المملوكي، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص٤٧؛ كثيرا ما كانت السفن المصرية تأخذ احتياجاتها من السلع الهندية من ميناء عدن وتعود محملة بتلك السلع، شوقي عبدالقوي عثمان: التجارة المصرية الهندية من خلال وثائق الجنيزا (ق٥- ١٠هـ/ ق١١- ١٦م) مجموعة أبحاث مهداه إلى الأستاذ الدكتور سعيد عاشور في عيد ميلاده السبعين، مركز النشر لجامعة القاهرة، ١٩٩٢م، ص٣٤٥.

[٦٣]) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٣.

[٦٤]) محمد نصر: العلاقات السياسية والحضارية بين الدولة العباسية والهند، ص١٣٣.

[٦٥]) القوابل: مثل الكافور والفلفل والزنجبيل والقرنفل والقسط والعنبر، الجاوة: تتبصر بالتجارة، ص٢٥. وليما يبدو أن شدة الطلب على قنوابل حرك أساطيل وأقلام جرويا للبحث عن مصادرها التي صيغت من حولها الأساطير والحكايات الخرافية والأساطيل، راجع: شوقي عثمان: تجارة المحيط الهندي، ص٢١٤.

[٦٦]) المسك القرنفلي: ينسب الى ميناء دارين في البحرين والذي كان من أهم أسواقه، يستخرج بطريقة معينة من غدة حيوان يعرف بقط الزباد وهو أحد أنواع القطاء، البطوطي: البلدان، ص٢٤٥؛ نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب،

ص٢٢٧؛ محمد نصر: العلاقات السياسية والحضارية بين الدولة العباسية والهند، ص١٣٣.

(cxxi) وتعود شهرته إلى أن الحسين بن برمك حمله معه إلى بغداد عند عودته من الهند وعرضه على الخليفة المنصور فاستحسنه وأمر أن يكتب إلى الهند يحمل كميات كبيرة منه، ومن ثم فقد اشتهر وارتفع سعره، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج٢ ص١٢٦.

(cxxii) Miller,J.Innes,The Spice Trade of Roman Empire, oxford, 1969, P.40-41

(cxxiii) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٢ ص١٢٧.

(cxxiv) المسعودي: مروج الذهب ج ١ص١٥٠.

(cxxv) القلقشندي: صبح الأعشى،ج٢ ص ١٢٤.

(cxxvi) شوقي عثمان: تجارة المحيط الهندي، ص٢٤٧.

(cxxvii) كانت صناعة السفينة على الأهم الأغلب، من خشب الساج، أي من جول الهند بسبب شدة احتماله ولا ينشق ولا يتشقق أويتقلص أو يتغير شكله وإنما اتصل بالحديد صار أقوى ولا يبلى في الماء مدة مائتي سنة ، وقد وصف من قبل الرحالة ومنذ رحلة الجغرافية انه من الخشب المحكم الذي يحمل نصره وان هذا الخشب جلب من الهند والصين،الاصطخري:المسالك والممالك، ص١٨.

(cxxviii) ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص١٣١.

(cxxix) المسعودي: مروج الذهب، ج٢ ص٩.

(cxxx) أبو زيد السيرافي: الرحلة، ص١٠٠.

(cxxxi) متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢ ص٣٢٨.

(cxxxii) ابن خرداذبة، المسالك، ص٦٢ وص٧٠.

(cxxxiii) ابن خرداذبة، المسالك، ص٧٠.

(cxxxiv) سليمان التاجر: أخبار الصين والهند، ص١٤٣؛ أبو زيد السيرافي: الرحلة، ص٤٣.

(cxxxv) شوقي عبدالقوي عثمان: التجارة المصرية الهندية من خلال وثائق الجنيزا، ص٣٥٣.

(cxxxvi) ابن خرداذبة، المسالك، ص٧٠.

(cxxxvii) المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص١١٢.

(cxxxviii) المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص١٧٢.

(cxxxix) الأترج: ثمرة على قدر التفاح تسمى الليمونة، حامضة شديدة الحموضة، ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٧٧.

(cxl) اليعقوبي: البلدان، ص٣٦٨.

(cxli) نبات من الهند يصنع ورقه وتكثر زراعته بها، غوستاف لوبون: حضارات الهند، ص٧٩.

(cxlii) المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص٢٠١.

(cxliii) المسعودي: مروج الذهب، ج٣ ص٢٤.

(cxliv) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٠٤.

(cxlv) ثبيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البحر والبحر، لايبزك، ١٩٢٣م، ص١٦٢.

(cxlvi) سليمان الحسكري: التجارة والملاحة في الخليج العربي، ص١٦٤.

(cxlvii) سليمان الحسكري: التجارة والملاحة في الخليج العربي، ص١٦٥.

(cxlviii) شوقي عبدالقوي عثمان: التجارة المصرية الهندية من خلال وثائق الجنيزا، ص٣٥٣.

(cxlix) متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢ ص٣٤٣.

(cl) ابن خرداذبة: المسالك، ص٦٧.

(cli) شوقي عبدالقوي عثمان: التجارة المصرية الهندية من خلال وثائق الجنيزا، ص٣٥٧.

(clii) أبو الفدا: تقويم البلدان، ٣٤٩.

المصـــادر والمراجـــع:

أولاً: المصـــادر:

- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف،(ت٥٤٨هـ/ ١١٥٦م)
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م(جزءان).
- الاشبيلي، أبو الخير المعروف بالقشعار(القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي):
- عمدة الطبيب في معرفة النبات، دار الغرب الإسلامي، (د/ت).
- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، (ت٣٤١هـ/٩٥٢م)
المسالك الممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤ م.
- بزرك بن شهريار الناخذة الهرمزي (بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي):
عجائب الهند، تحقيق: فان ديرليت، ليدن، ١٨٨٦م.
- ابن بطوطة: أبو عبدالله محمد إبراهيم (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)
رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر بيروت، ١٩٦٠م.
- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر. (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢م):
فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ.
- البيروني، ابو الريحان محمد بن أحمد(ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م):
تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م):
التبصر بالتجارة، نشر وتعليق حسن حسني عبد الوهاب، القاهرة، ١٩٣٥م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م):
صورة الأرض، مطبعة الفاروق الحديثة، (د/ت).
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله(توفي حوالي ٣٠٠هـ/ ٩١٢م):
المسالك والممالك، اعتناء دي خويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م.
- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (كان حيا سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م)
الأعلاق النفيسة، ليدن، ١٨٩١م.

- سليمان التاجر، (ت في القرن الثالث الهجرة/ التاسع الميلادي)
سلسلة التواريخ، طبعة باريس، ١٨٤٥ م.
- السيرافي: أبو زيد الحسن،(ت٣٢٧هـ/٩٤١م):
أخبار الصين والهند، طبعة باريس، ١٨٤٥ م.
- شيخ الربوة، شمس الدين محمد بن طالب الأنصاري الدمشقي (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م):
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،طبعة لايبتزج-مسافت بيترسبورج، ١٩٢٣م
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م):
تقويم البلدان، باريس، ١٨٥٠م.
- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م):
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٧٤م.
- ابن فقيه، أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمداني(ت٣٦٥هـ/٩٧٥م):
مختصر البلدان، عناية:دي خويه، ليدن، ١٣٠٢هـ
- القزويني، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م):
آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت.
عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، الأعلمي، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م
- القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م):
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م،(١٤ جزءا).
- ماركو بولو:
الرحلة، ترجمة: عبدالعزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
- المروزي: شرف الدين طاهر زمان (ت القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي):
أبواب في الصين والهند والترك، ترجمة: فـ.منورسكي، طبعة لندن، ١٩٤٢م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م):
مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، ١٩٦٦م،(٤ أجزاء).
- المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م):
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم مطبعة بريل ، ليدن المحروسة،١٩٠٦م
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي الرومي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م):
معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار الفكر – بيروت

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب واضح الكاتب (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م):
كتاب البلدان، (ليدن: ١٨٩٩).

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

- إحسان حقي:
باكستان ماضيها وحاضرها، دار الجماهير، بيروت، ١٩٧٣م.
- أنور عبد العليم:
الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة كتاب عالم المعرفة،العدد ١٣، ١٩٧٩م، الكويت.
- جورج فضلو حوراني:
العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة : السيد يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ت).
- حسين مؤنس:
أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- سليمان ابراهيم العسكري:
التجارة والملاحة في الخليج العربي،مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٢م.
- سيد سليمان الندوي:
العلاقات العربية الهندية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- سيد مقبول أحمد:
العلاقات العربية الهندية،ترجمة: نقولا زيادة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٤م.
- شوقي عبد القوي عثمان:
تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، سلسلة كتاب عالم المعرفة، العدد ١٥١، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م، الكويت.
- صالح العلي:
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، مطبعة المعارف، بغداد.
- عبد العزيز الدوري:
تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، بيروت، ١٩٧٤م.

- غوستاف لوبون:
حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠١٠م.
- فـ. هايد:
تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.
- كراتشكوفسكي:
تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٥٧م.
- متز، آدم:
الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م.
- محمد عبدالغني الأشقر:
تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
- نعيم زكي:
طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، القاهرة، ١٩٧٣م

ثالثا: الدوريات و الرسائل العلمية:

- أيمن فؤاد سيد:
العرب وطريق الهند حتى أواسط القرن السادس، المؤرخ المصري، عدد (٨)، يناير ١٩٩٢م.
- سميث:
الأسس الجغرافية والاجتماعية للهند، ثقافة الهند، مارس ١٩٥٦م.
- شوقي عثمان:
التجارة المصرية الهندية من خلال وثائق الجنيزا (ق٥- ١٠هـ/ ق١١- ١٦م)، مجموعة أبحاث مهداه إلى الأستاذ الدكتور سعيد عاشور في عيد ميلاده السبعين، مركز النشر لجامعة القاهرة، ١٩٩٦م.

- محمد نصر عبدالرحمن:
العلاقات السياسية والحضارية بين الدولة العباسية والهند، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

- محمد يوسف الخزامي:
العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.

رابعا المراجع الأجنبية

Blanch Tapler: Les voyageurs Arabs auMoyen age , Paris, 1937,-

- Durat. Barbosa: A Description of the coast of East Africa and malbar in the Beginning of the 16 th century U.S.A. 1970
- Encyclopédie de la géographie mondiale, « Inde » Cailv, Paris, 1996
- Reinaud (M): Mémoire géographique historique et scientifique sur l'Inde intérieurement au milieu du XI siécle de l'ère chrétien, Frankfurt university, 1993.
- Miller, J. Innes. The Spice Trade of Roman Empire, oxford, 1969

الصلات الثقافية بين بلاد الهند الإسلامية ومصر والشام والحجاز في العصر المملوكي
(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

د. سيد محمود محمد عبد العال
أستاذ مساعد بكلية الآداب جامعة الفيوم

تتناول هذه الدراسة الصلات الثقافية بين بلاد الهند الإسلامية، ومصر والشام والحجاز، في العصر المملوكي، من خلال هجرة علماء الهند والذين عاشوا في ظلال دولة المماليك، في مصر والشام والحجاز. وقد ساعد على ذلك رحلة الحج إلى الأراضي المقدسة، ووجود الخلافة العباسية بالقاهرة التي أصبحت عاصمة العالم الإسلامي، وقبلة علمائه من مشرقه ومغربه، حيث وجدوا الأمان من الأخطار التي تعرض لها المسلمون في المشرق والمغرب الإسلامي.

وقد شارك علماء الهند في كل المجالات العلمية والعلوم الإسلامية مثل: التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والتصوف، وعلوم اللغة والنحو وغيرها من العلوم. وتولى العديد من هؤلاء العلماء الوظائف الدينية والعلمية في دولة المماليك مثل: قاضي القضاة الشافعية والحنفية وقضاة العسكر والحسبة، ومشيخة الشيوخ والخطابة والإمامة والتدريس، بكثير من الجوامع والمدارس والزوايا والخانقاوات.

كما شارك ملوك الهند في إثراء الحياة الثقافية، في دولة المماليك، من خلال إنشاء العديد من المؤسسات الثقافية، من المدارس والزوايا والربطات، وبخاصة الأماكن المقدسة في مكة والمدينة وبيت المقدس. ومن ناحية أخرى، فقد أثرى العديد من العلماء: المصريين والشوام والحجازيين؛ الحياة الثقافية في الهند، من خلال سفرهم إليها وقيامهم بالتدريس بالهند.

العوامل التي أدت إلى ازدهار الصلات الثقافية:

تعددت العوامل التي دفعت إلى ازدهار الصلات الثقافية، بين الهند الإسلامية، ومصر والشام والحجاز، زمن دولة سلاطين المماليك، ومنها:

١- رحلة الحج:

وتأتي رحلة الحج في مقدمة الدوافع التي جعلت الهنود المسلمين يخرجون من بلادهم سعياً وراء أداء هذه الفريضة[١] والمجاورة في الحرمين الشريفين، في مكة المكرمة والمدينة المنورة[٢]، ويتلقون من علوم علمائها، ثم يعودون بعد ذلك إلى بلادهم بما يحملون من علوم ومعارف ومصنفات علمية[٣]، وقد يطيب لهم الاستقرار بالحرمين الشريفين، أو يكملوا رحلتهم العلمية إلى بلاد الشام ومصر، وقد تطيب لهم الإقامة بإحدى مدن مصر أو الشام، ويشاركون في الحياة الثقافية بها.

٢- الرحلة في طلب العلم:

كانت الرحلة لطلب العلم من أهم عوامل الربط والتواصل بين أنحاء العالم الإسلامي، حيث أزالت الحواجز بين أقطار العالم الإسلامي، على الرغم من الخلافات السياسية أو المذهبية القائمة بينها، وأوجدت وحدة ثقافية وفكرية إسلامية، سادت من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه، مما زاد من توثيق عرى الوحدة الإسلامية[٤].

٣- التجـــارة:

بالإضافة إلى ذلك، تعد التجارة من عوامل التواصل الثقافي بين بلاد الهند وبين مصر والشام، حيث كان الكثير من هؤلاء التجار قد جمعوا بين العلم والتجارة، ومن الطبيعي أن يحملوا معهم كثيرا من ثقافاتهم، وبالتالي إيجاد كثير من التأثير والتأثر بين الجانبين[٥].

٤- إقبـــال الخلافة العباسية بالقاهرة:

كان لإحياء الخلافة العباسية بالقاهرة، عام ٦٥٩هـ/١٢٦١م، دوره في تحول مركز الثقل السياسي والثقافي في العالم الإسلامي إلى القاهرة[٦]. وقد أشار المؤرخ

"أبو شامة" إلى أهمية نقل الخلافة إلى القاهرة بقوله: "لما نقلت الخلافة من بغداد إلى مصر، فعظم أمر مصر على سائر البلاد، وتشرف قدر سلطانها على سواه من الملوك، وصارت مصر مسكن العلماء والفضلاء والزهاد، وعلا فيها قدر السنة، وعفت منها البدعة، وهذا سر في بني العباس، إذا حلوا بأرض تشرفت بهم على غيرها من البقاع، ألم تر إلى السر الذي كان في بغداد، كيف انتقل إلى مصر وصارت كدار السلام، وهذا من أسرار الله تعالى في الخلافة النبوية، حيثما كانت يكون فيها"[٧]. ويؤيده في ذلك السيوطي قائلاً: "وصارت محل مسكن العلماء، ومحط الرجال الفضلاء، والإيمان والعلم يكونان مع الخلافة أينما كانت"[٨].

٥- حسن العلاقات السياسية بين سلاطين الهند الإسلامية وسلاطين دولة المماليك:

فضلاً عن ذلك فقد كان لحسن العلاقات السياسية بين سلاطين الهند الإسلامية، وسلاطين دولة المماليك، وتبادل الهدايا بين الطرفين، والخلفاء العباسيين بالقاهرة، حيث سعى سلاطين الهند على الحصول على التقليد منهم لحكم بلادهم[٩].

لذا نزح كثير من علماء الهند إلى دولة المماليك، لاكتساب مزيد من العلم في شتى مجالات العلوم، فمنهم من عاد إلى الهند ليدلي بدلوه في الحياة الثقافية والعلمية بها، ومنهم من آثر البقاء في المدن التي نزح إليها، وكانت لهم إسهاماتهم المهمة في جميع مجالات العلم، كما أسهم العلماء الذين وفدوا من مصر والشام والحجاز، وغيرها من البلاد، إلى بلاد الهند، في إثراء الحياة الثقافية والعلمية بها، وما تركوه من مصنفات علمية وأدبية.

مظاهر ازدهار الصلات الثقافية:

ومن مظاهر ازدهار الصلات الثقافية: أن لجأ إلى الهند، في فترات، كثير من العلماء الأجلاء البارعين في اللغة والنحو والفقه وعلم الكلام والتفسير والحديث، فانتشرت اللغة العربية وآدابها في بقية أنحاء الهند، كلغة دين وعلم وثقافة، في ظل الإسلام، وظهر في أرض الهند عشرات من المحدثين والفقهاء، والأدباء والشعراء في

اللغة العربية، حتى نالت الهند مكانة كبرى في ظل الثقافة الإسلامية، وسجلت لها دورا ايجابيا في هذا المضمار، وفتحت آفاقا جديدة للأجيال الناشئة في هذه البقعة الإسلامية[٥].

كما كان من مظاهر ازدهار الصلات الثقافية: إنشاء مدارس كثيرة ببلاد الهند، على غرار مدارس الحجاز ودمشق والقاهرة، حتى وجد في مدينة "دهلي" وحدها ألف مدرسة، في عهد السلطان محمد بن تغلق، ت٧٢٥هـ/١٣٢٥م، لتدريس الفقه الحنفي، ومدرسة واحدة للشافعية[٥١].

كذلك من مظاهر ازدهار الصلات الثقافية أيضا: ازدهار حركة الترجمة من وإلى اللغة العربية، حيث إن الترجمة العربية راجت في الهند على ثلاث جبهات: جبهة الفاتحين المسلمين، وجبهة الصوفيين، وجبهة التجار العرب[٥٢]. وشهدت فترة حكم بني تغلق حركة علمية كبرى، حيث ترجمت أمهات الكتب العربية إلى اللغة الفارسية مثل: كتاب الشفا للقاضي عياض، ووفيات الأعيان لابن خلكان[٥٣]، وهو من الكتب التاريخية التي تم ترجمتها إلى اللغة الفارسية، ترجمه الشيخ عبد القادر البدايوني، وسماه "تكملة بحر الأسمار"، وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، ترجمه الشيخ عبد القادر البدايوني، وكتاب حياة الحيوان للدميري، ترجمه أبو الفضل بن مبارك، وكتاب تاريخ الحكماء للشهرزوري، ترجمه الشيخ مسعود علي، وسماه نزهة الأرواح ونزهة الأفراح[٥٤].

فضلاً عن ذلك فقد تم ترجمة قصيدة البردة للبوصيري[٥٥]، حيث اعتنى العلماء الهنود عناية فائقة بهذه القصيدة ووضعوا لها الكثير من الشروح. وكذلك تم ترجمة كتاب فصوص الحكم للشيخ محي الدين بن عربي[٥٦] من قبل عشرات من علماء الهند، في القرن السابع والثامن الهجري، مثل محمد بن يوسف الحسيني، وتم ترجمة وشرح كتاب عوارف المعارف" لشهاب الدين السهروردي[٥٧] خلال القرن الثامن الهجري، ويلاحظ ان الكتب التي تداولتها أيدي العلماء في القرن السابع والثامن الهجريين كان معظمها يتعلق بالتصوف[٥٨].

دور علماء الهند الذين رحلوا إلى مصر:

كانت القاهرة قبلة لقدوم الكثير من العلماء، من كل أنحاء العالم الإسلامي وقتذاك، ومن هؤلاء علماء الهند الذين وفدوا إلى مصر، وأسهموا في الحياة العلمية إسهامات ملموسة، وبرعوا في العديد من العلوم النقلية والعقلية في هذا الوقت.

ويأتي في مقدمة هذه العلوم: علم الفقه[٥٩] وخاصة على المذهب الحنفي، وهو من أهم المجالات التي أسهم فيها علماء الهند الذين رحلوا إلى الحجاز ومصر والشام، ويعد مذهب أبي حنيفة المذهب الفقهي السائد في بلاد الهند وبلاد المشرق الإسلامي. أما المذهب الشافعي فقد انتشر على سواحل الهند، وذلك لأنها كانت مورداً ومشرباً لأهل اليمن والحجاز، في حين أن المالكية والحنابلة ليس لهم أثر في أرض الهند، إلا من جاء من أجل التجارة أو لغرض آخر[٦٠].

ومن أبرز علماء الهند الذين طاب لهم المقام وللاستقرار في مدينة القاهرة، وتدرجوا في الوظائف الدينية في دولة المماليك، الشيخ عمر بن إسحاق بن أحمد الغزنوي الحنفي، القاضي المعروف باسم سراج الدين الهندي، ولد بـ دهلي[٦١] بالهند عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، وتفقه على علمائها وغيرهم من علماء الهند، وحج فسمع من الشيخ خضر، شيخ رباط السدرة[٦٢]، كتاب عوارف المعارف، وقدم القاهرة في عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، كان عارفا بالأصلين: أصول الدين وأصول الفقه[٦٣] والمنطق والتصوف والحكم، وكان متأهلا للعلم فتميز بها، ومستحضرا لفروع مذهبه، كان عالماً فاضلاً، له وجاهة في كل دولة، وكان أول ما قدم؛ لازم درس قاضي الحنفية في ذلك الوقت،الذي أذن له في تولي تحرير العقود والفروض[٦٤]، وذلك بالحانوت الواقع بين القصرين مقابل المدرسة الصالحية[٦٥]، بعد أن أذن له قاضي الحنفية القاضي علاء الدين التركماني[٦٦].

وزانت مكانة سراج الدين الهندي، لدى سلاطين وأمراء المماليك، الأمر الذي هيأ له تولي العديد من الوظائف الدينية المهمة، فتم تعيينه في وظيفة قاضي العسكر[٦٧] عن المذهب الحنفي، وذلك في جمادى الآخر عام ٧٥٨هـ /١٣٥٦م، ثم

خلع عليه مرة ثانية، للاستمرار في وظيفة قضاء العسكر، وذلك في يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر عام ٧٦٥هـ/١٣٦٣م، وقد استمر في هذه الوظيفة حتى يوم الاثنين الحادي والعشرون من شهر شعبان، عام ٧٦٩هـ/١٣٦٧م[xxvi].

وترقى سراج الدين في تولي الوظائف الدينية، فتم تعيينه في وظيفة قاضي قضاة الحنفية، وهو يلي في المكانة قاضي قضاة الشافعية، وذلك في عام ٧٦٩هـ/ ١٣٦٨م[xxvii] وظل يشغل هذه الوظيفة حتى وفاته عام ٧٧٣هـ/١٣٧١م. وقد حاول الشيخ سراج الدين أن يتساوى في المكانة مع قاضي قضاة الشافعية، وفي ليلى الطرحة، وأن يكون له نواب في البلاد المصرية ويجعل له مودعا لأيتام الحنفية، ولكن الموت عاجله[xxviii].

كما تولى سراج الدين الهندي نظر جامع ابن طولون ووقف الطرحي[xxix]، وذلك بمساعدة الأمير ألجاي اليوسفي[xxx]، لأن نظره بشرط الواقف الحنفي، وعندما أراد الأمير ألجاي قطع أرزاق بعض الفقهاء، وقف سراج الدين الهندي في وجه الأمير ألجاي، وقام في ذلك قياماً عظيماً، وأغلظ له في القول حتى قال: إقطاعك يبلغ ألفي ألف درهم، وتستكثر على الفقيه المسكين هذا القدر! فقال: أنا أخذ الإقطاع لحفظ بلاد المسلمين، فقال: ومن علمكم الجهاد إلا الفقهاء؟ فسكت وترك كل أحد على حاله[xxxi].

فضلاً عن ذلك فقد قام سراج الدين بالتدريس في العديد من جوامع القاهرة ومدارسها من ذلك تدريس التفسير والفقه بالجامع الطولوني[xxxii]، والمدرسة المنصورية[xxxiii]، وعندما عزل سراج الدين من مناصبه أقام بدرس بمنزله، والناس يترددون إليه، ويقرؤون عليه، ويلتزمون دروسه والأخذ عنه[xxxiv].

بالإضافة إلى ذلك، فقد أثرى سراج الدين الهندي الحياة العلمية بالعديد من المؤلفات في مختلف العلوم: النظرية والعقلية، في الفقه وأصول الفقه، وأصول الدين، والجدل والتصوف وغيرها. فقام بشرح كتاب" عقيدة الإمام الطحاوي[xxxv] وقد أهدي هذا الكتاب للأمير المملوكي صرغتمش[xxxvi]، لأنه كان على المذهب الحنفي وكان

يهتم بعلمائه[xxxvii]، وشرح كتاب الهداية المسمى بـ "التوشيح والشامل في الفقه"، وكتاب " زبدة الأحكام في اختلاف الأئمة الأعلام"، وشرح كتاب " بديع الأصول" لابن الساعاتي، وشرح كتاب "المغني " للخازني، وشرح قصيدة التائية ابن الفارض، وكتاب في الخلافيات[xxxviii].

كما شارك سراج الدين الهندي في علم التفسير[xxxix]. وله كتاب " زبدة الأحكام في اختلاف مذاهب الأئمة الأربعة الأعلام" [xl] شرح به كتاب " الجامع الكبير في الفروع"[xli]. وله كتاب " زبدة الزيادات" شرح به " كتاب الزيادات في فروع الحنفية" [xlii]، " الشامل في فروع الحنفية"[xliii]. وله كتاب "عدة السالك في المناسك" في: باب الإحرام، من الحج[xliv]، وله كتاب " الغرة المنيفة في ترجيح مذهب أبي حنيفة، ذكر فيه أن الأمير صرغتمش الناصري، أشار إليه أن يترجم بالعربية، وكتاب: " الطريقة النبهانية"، الذي صنفه الإمام فخر الدين الرازي بالفارسية.فبادر إلى امتثاله بالترجمة [xlv]. وفتاوى قاري الهداية [xlvi]. وله كتاب في التصوف عنوانه: الواضح الأنوار في الرد على من أنكر على العارفين ولطائف الأسرار" سراج الدين الهندي، الحنفي[xlvii]. وكتاب " الترشوح" في ستة أجزاء على طريقة الجدل[l]. وله كتاب" كاشف معاني البديع، وبيان مشكلة المنيع"شرح به " بديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي والأحكام"[li].

ومن الأسر العلمية الهندية التي استقرت بالقاهرة: أسرة الحلاوي الأزهري، والتي استمرت لأربعة أجيال على الأقل. ومن أبناء هذه الأسرة: جمال الدين عبد الله بن عمر بن علي بن مبارك الهندي السعودي الأزهري، المعروف بالحلاوي ، والذي برع في علم الحديث، وأخذ عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني علم الحديث، وذكره في معجم شيوخه في شيوخ الرواية، والذي وصفه بأنه: " كان شيخاً صيتاً، خيراً، ساكناً، صبوراً على إسماع الحديث، لا يمل ولا يضجر، ولا يتضجر، حتى إنه مرض مرة فصعدنا إلى غرفته عائدين، فأذن لنا في القراءة"، وفي الجملة لم يكن في شيوخ الرواية من شيوخنا أحسن أداء ولا أصغى للحديث منه[lii].

وممن تعلم عليه علم الحديث: المؤرخ الشهير المقريزي، فقد قال: "سمعت عليه بزاويته قريبا من الجامع الأزهر بخط الأبارين، وكان فقيرا صبورا، خيرا، ساكنا، محبا في الحديث وطلبته"[٥٥]، توفي عام ٨٠٧هـ/١٤٠٤م[٥٦].

كما شارك علماء الهند في علم الصيدلة في القاهرة، فقد أشار المؤرخ بدر الدين العيني، في حوادث عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م، عند حديثه عن الوباء الذي أصاب مصر في هذا العام، إلى أنه: "كان دكان برأس حارة الديلم[٥٧] يعرف بدكان الهندي، باع صاحبها في شهر واحد باثنين وثلاثين ألف درهم من الأشربة والأدوية"[٥٨].

وكان محمد بن أبي بكر بن محمود بن يوسف بن علي الكرائي الهندي الحنفي، يرزق المعروف بالدهان، وفيه قوة وشهامة، وتوفي بالقاهرة عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م[٥٩].

واستقر بالقاهرة من علماء الهند: الشيخ جمال الدين عبد الله بن شيرين الحنفي، المتوفى عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٦م، جال في بلاد الهند سنين عديدة، ثم قدم القاهرة وتولى تدريس علم الحديث بمدرسة الظاهر برقوق[٦٠]، وتولى وظيفة الخطابة بها، وتتلمذ على يده المؤرخ الشهير المقريزي الذي ذكر: "صحبته سنين. وحدثنا بعجائب عن الهند وغرابتها كان يتهم في نقله"[٦١] ويذكر ابن حجر: "وكان حسن المذاكرة، عارفاً بكثير من الأخبار المتعلقة بالهند ونحو ذلك"[٦٢].

كذلك استقر بالقاهرة من علماء الهند: عبد اللطيف بن احمد بن محمد بن محمد بن سعيد ابن الضياء الهندي سكن مصر سنين، وتوفي بها عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م[٦٣]، وأبو الخير محمد بن حسين الهندي، المتوفى بالقاهرة عام ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م[٦٤].

ومن علماء الهند الذين وفدوا إلى القاهرة واستقروا بها: برهان الدين إبراهيم بن أبي يزيد الهندي، الذي وصف بالشيخ الإمام العلامة المحقق، نزيل القاهرة، فنزل بالمدرسة الجوهرية[٦٥]، واشتهر بالفضائل، وقصده الفضلاء، وأخذوا عنه في فنون متعددة. وقد عينه السلطان المملوكي الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م)

في مشيخة الحنفية بالمدرسة القانبائية[٦٦] وكان خيراً، نبيلاً كثير الأدب، توفي عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨م[٦٧].

ووفد إلى القاهرة من الهنود: العالم محمود بن محمد بن أحمد، المعروف بالخواجا الكيلاني، ولد في عام ٨١٣هـ/١٤١٠م والذي التقى بالحافظ ابن حجر العسقلاني في عام ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م، فأخذ عنه مجالس من صحيح البخاري، وسمع صحيح مسلم من زين الدين الزركشي وأخذ ببلاد الشام عن علمائها، ثم رجع إلى بلاد الهند وخدم صاحب كلبرجة[٦٨].

كما قدم إلى القاهرة من الهنود: سليمان بن داود الهندي المكتب، والذي تصدى للتكتيب وكان يقيم بجامع المؤيد[٦٩] وبقرية المقدم خشقدم، ومات عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م[٧٠].

كذلك رحل إلى مصر من علماء الهند: أبو الخير بن حسين بن أحمد بن محمد بن ناصر الهندي الأصل المكي الحنفي، ولد بمكة وسمع بها في سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م ودخل القاهرة في طلب الرزق فمات بها في سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م[٧١]. وعبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن محمد بن سعد الضياء الهندي المكي، نزل بمكة وبدمشق، وحفظ كتباً واشتغل في بعضها؛ وسكن مصر سنين وبها مات سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م[٧٢]. وحسين بن احمد بن محمد بن ناصر البنر أبو علي الهندي الأصل، المكي الحنفي، ولد سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م بمكة، وسمع بها ودخل ديار مصر والشام والروم، وسمع بالقاهرة وبدمشق في سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م، بدمشق " الاقتراح" لابن دقيق العيد ثم قرأه بعد سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م بالقاهرة على الزين العراقي، وسمع بإسكندرية من البهاء بن الدماميني وغيره، وتفقه بمكة على الضياء الحنفي، وبدمشق على الصدر بن منصور القاضي، وولي تدريس مدرسة عثمان الزنجيلي بالجانب الغربي من المسجد الحرام ونظر وقفها بعدن أيين، وناب في الحكم بمكة في بعض القضايا وكذا في العقود، وكان يذاكر بمسائل من مذهبه مضيأ بالفائدة، مقرراً قراءة الصحيح كل سنة في أواخر عمره، ويعمل المواعيد بالمسجد الحرام. مات سنة

٨٢٤هـ/١٤٢١م[lxxi]. ومحمد بن حسين بن أحمد بن محمد الهندي، المتوفى ٨٤٣هـ/١٤٣٩م، الذي رحل إلى القاهرة عام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م [lxxii]. وأبو بكر بن علي بن فخر الدين بن محمود بن داود الدهلوي الهندي الأصل المكي الحنفي، قدم للقاهرة فنزل للمدرسة المنكوتمرية[lxxiii] ولم يلبث أن مات بالطاعون عام ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م[lxxiv].

وفضلا عن ذلك، كان لكثرة وجود العلماء والطلبة الهنود في القاهرة، أن جعل لهم رواق من أروقة الجامع الأزهر عرف بـ " رواق الهنود"[lxxv]. كما صارت لهم مقبرة خاصة بهم بالقاهرة عرفت بـ "مقبرة الهنود"[lxxvi]

دور علماء الهند في بلاد الشام:

لم تقتصر رحلة علماء الهند على مصر والاستقرار بها، بل كانت بلاد الشام ومدنها جاذبة لهم أيضا. ولعل أبرز هؤلاء العلماء الذين استقروا في دمشق: الشيخ صفي الدين الهندي، حيث نشأ بمدينة دهلي في الهند في بيت علم وفقه، فكان جده لأمه رجلا فاضلا، فقرأ عليه العلوم والفنون المختلفة[lxxvii]، وكذلك قرأ على جده لأبيه محمد الهندي، فنشأ بين جدين فاضلين مما كان له أثر على سلوكه وشخصيته، فاشتغل بطلب علوم اللغة العربية والفقه وأصوله والتفسير والحديث والكلام والمنطق، ثم رحل من الهند لأداء فريضة الحج، فنزل باليمن في عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م، فأكرمه حاكمه الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول، فمتوفى عام ٦٩٤هـ/١٢٩٥م وأعطاه ٤٠٠ دينار[lxxviii]، ولا يبعد أنه التقى بعلماء اليمن، ثم رحل إلى مكة المكرمة حاجا، ومجاورا لمدة ثلاثة سنين، وتعلم على يد شيوخ الحرم المكي، والتقى بابن سبعين[lxxix]، ثم رحل إلى القاهرة في عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م، حيث مكث بها مدة أربع سنين، فتلقى علومه وفنونه عن شيوخها، ثم رحل منها إلى الديار الرومية -- ملاجئة الروم بآسيا الصغرى- عن طريق إنطاكية، وذلك في عام ٦٧٥هـ/١٢٧٦م[lxxx]، فأقام بها احدى عشرة سنة، منها خمس سنوات بـ" قونية"[lxxxi]، وخمس سنوات بـ"سيواس"[lxxxii]، وسنة

بـ"قيصرية"، درس بقونية وسيواس، وأخذ عن سراج الدين الأرموي صاحب كتاب التحصيل، ثم تحول إلى بلاد الشام متجها إلى دمشق، وذلك في عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، واتخذها موطنا لإقامته[lxxxiii] وعقد حلقة الاشتغال بالجامع المعمور، وقرأ عليه أعيان الطلبة وفضلاء المشتغلين[lxxxiv].

هذا في الوقت الذي كانت دمشق تشهد فيه حركة علمية كبيرة، فكانت المناظرات العلمية والمجادلات المذهبية قائمة على قدم وساق، فكان من الطبيعي أن يشارك الشيخ صفي الدين الهندي في هذه المناظرات، حيث اتصف بأنه طويل النفس في التقرير، إذا شرع في وجه يقرره، لا يدع شبهه ولا اعتراضا إلا أشار إليه في التقرير، بحيث لا يتم التقرير إلا وقد بعد على المعترض مقاومته. وعندما أثارت فتاوي الشيخ أحمد بن تيمية [lxxxv] جدلا في دمشق، وخاصة ما يسمى "المسألة الحموية"، عقد بدار السعادة، مقر نائب دمشق، مناظرة واختاروا الشيخ صفي الدين الهندي لمناظرة ابن تيمية، وناظر ابن تيمية الذي كان يعجل عليه، ويخرج من شيء إلى شيء، فقال له الهندي: " ما أراك يا ابن تيمية إلا كالعصفور، حيث أردت إذا قبضته من مكان، فر إلى مكان آخر "[lxxxvi].

وكان صفي الدين الهندي مقصودا بالاستفتاء، ويكتب كثيراً في الفتاوى، وفيه عبادة وديانة ومودة وحسن تعهد لمعارفه وأصحابه، وكان يفطر عنده في شهر رمضان نحو عشرة من الفقراء الضعفاء[lxxxvii].

وقام الشيخ صفي الدين الهندي، في سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م، بالتدريس في المدرسة الرواحية[lxxxviii]، الفقه الشافعي والأصول وعلم الكلام[lxxxix]. ودرس أيضا بالمدرسة النورية [xc]، ودرس في سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م بالمدرسة الظاهرية[xci]، ودرس في المدرسة الأكبكية[xcii] علوم التفسير والحديث والفقه والأصول، وعلوم اللغة العربية وغيرها من العلوم[xciii].

وبرع صفي الدين الهندي في العديد من العلوم، وخاصة لصول الدين وأصول الفقه، وترك العديد من المؤلفات، ومن مؤلفاته في أصول الفقه: " نهاية

الوصول في دراية الأصول" [xcvi]. وكتاب" الفائق في أصول الفقه"[xcvii] و" الرسالة المسيتية في أصول الفقه"[xcviii]، وفي أصول الدين: "الرسالة التسعينية في الأصول الدينية"، ذكر أنه ألفها بعد ما جرى من الفتنة المشهورة بين أهل السنة والجماعة وبين بعض الحنابلة، بشأن العقيدة الواسطية [xcix].

ومن العلوم التي شارك فيها صفي الدين الهندي: علم الكلام [c] وألف في هذا العلم كتاباً بعنوان " زبدة الكلام في علم الكلام "[ci].

وقد توفي صفي الدين الهندي سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م بمنزله في المدرسة الظاهرية بدمشق، وأوقف كتبه على دار الحديث الأشرفية[cii]. ودفن في مقابر الصوفية[ciii].

واستقر من علماء الهند ببلاد الشام بدمشق ثم حماة: حسن بن الهدر الهندي ثم الدمشقي الحنفي، وصفه البقاعي بـ " الشيخ الصالح الإمام العالم العلامة البحر المدقق ذو الفنون العديدة والأقوال العديدة بدر الدين الهندي الصالح الزاهد المتجرد الرحال السواح" وقد اجتمع به برهان الدين البقاعي في دمشق، عام ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م، ودرس عليه الشمسية [civ] في علم المنطق، ووصفه بأنه كان متكلما في العلوم العقلية[cv]، كما وصفه السخاوي بأنه: "إمام عالم علامة بحر محقق مدقق ذو فنون عديدة وأقوال سديدة متمكن من العقليات بحيث كان التاج بن بهادر يثني عليه فيها ثناء بالغاً مع فصاحته وحسن تقريره وكونه متزهداً يلبس اللبد ونحوه"[cvi]، ثم انتقل إلى مدينة حماة حيث حسن له الشيخ ناصر الدين بن هبة الله البارزي الانتقال إليها، فأخذه إليها وزوجه بها، ورتب له ما يكفيه حتى وفاته عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، وانتفع به الطلبة في علم النحو والصرف والأصلين وغيرها[cvii].

دور علماء الهند في الحرمين الشريفين:

أفاضت المصادر التاريخية، وخاصة كتب التراجم، في ذكر العديد من علماء الهند الذين قدموا إلى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج، والمجاورة بهما،

سواء الذين عادوا منهم إلى الهند بعد ذلك،أم الذين فضلوا الاستقرار بالحرمين الشريفين، أم رحلوا إلى مصر والشام وفضلوا الإقامة بهما.

وكان لكثرة عدد علماء الهند في الحرمين الشريفين أن توفر لهم عدة ربطات[cviii] ينزلون بها، فقد أنشأ ابن محمود الهندي رباطاً عرف به "رباط ابن محمود"[cix] والذي سكن بهذا الرباط، ثم توارثه ذريته إلى أن أصبح بيد فاطمة بنت عمر بن احمد بن محمود الهندي، المتوفاة عام ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م[cx]. و"رباط الهنود" لكثرة من يسكنه من الهنود، والذي يقع بالقرب من المسجد الحرام[cxi].

وتولى العديد من العلماء الهنود بعض الوظائف الدينية والعلمية، بالحرمين الشريفين، منها وظيفة مشيخة الرباط، فقد تولى الشيخ سعيد الهندي مشيخة رباط كلالة [cxii] بمكة والذي لاقاه ابن بطوطة أثناء رحلته إلى الهند[cxiii].

وشارك علماء الهند في الدروس الخاصة المقررة في الحرمين الشريفين: درس علم الحديث لمحمود بن يوسف بن علي الكراني الهندي نزيل مكة المتوفى عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م. وعند باب إبراهيم عليه السلام من المسجد الحرام، كان هناك درس في الحديث النبوي الشريف [cxiv].

وتعددت مهام الهنود العلمية في بلاد الحرمين، فمنهم من اشتغل بنسخ الكتب بمكة، فالشيخ محمد بن محمد بن عمر الهندي الكابلي الحنفي، الذي جاور بمكة، كان يجيد نسخ الكتب، وألف جملة منها على رباط المدرة[cxv]، وقد تولى وظيفة إمامة المقام الحنفي بالمسجد الحرام، بالاضافة الى توليه وظيفة نائب القاضي الحنفي بمكة[cxvi]. وكان شمس الدين محمد بن كمال بن علي بن أبي بكر الهندي الدهلوي الحنفي يؤم بمقام الحنفية توفي عام ٧٩٣هـ/١٣٩١م[cxvii].

كما شارك علماء الهند في تدريس الفقه على المذهب الحنفي في المسجد الحرام، ومن دروس الفقه الحنفي بالحرم المكي: المدرس الذي أقامه الأمير بلبغا الاتابكي عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م وقام بالتدريس بها علماء الهند منهم: الشيخ ضياء الدين

محمد بن سعيد الهندي الصغاني[٥٥١]، ودرس به فيه الشيخ أحمد بن محمد الهندي الصغاني[٥٥٢].

ومن الهنود الذين استقروا في مكة: أحمد بن إبراهيم بن الشيخ كريم الدين ابن جلال الدين بن سيف الدين الحسني الأودهي الهندي[٥٥٣]. وأحمد بن إبراهيم بن أحمد الهروجي الهندي[٥٥٤].

وممن رحل من علماء الهند إلى مكة سليمان بن محمد بن عيسى بن أحمد الهندي الأحمدابادي[٥٥٥] الحنفي ولد عام ٨٤٠هـ/١٤٣٦م واشتغل في فنون وتميز واجتمع بالمؤرخ السخاوي في عام ٨٩٤هـ/١٤٨٩م[٥٥٦]. وكذلك ابن أخيه راجح بن داود بن محمد بن عيسى بن أحمد الهندي الأحمدابادي الحنفي. المولود سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م بأحمد أباد، قرأ في بلده في النحو والصرف والمنطق والأصلين والعروض والمعاني والبيان والهيئة والكلام، وبرع في الفنون ونظم الشعر مع جودة الفهم، والتقى بالسخاوي في عام ٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م بمكة وقرأ عليه جميع شرحه لألفية الحديث وكتب له إجازة. توفي عام ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م[٥٥٧]. وزاهد بن عارف بن جلال التكروهي الهندي الحنفي قرأ على المؤرخ السخاوي "الأربعين النووية" بمكة في رمضان عام ٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م[٥٥٨]. وأحمد بن إبراهيم بن الشيخ كريم الدين بن جلال الدين بن سيف الدين أبو السيادة الحسني الأودهي الهندي الحنفي الملقب بالسخاوي في مكة فقرأ عليه صحيح البخاري[٥٥٩]. وأحمد بن محمد الهندي الأصل المدني المولد المكي الحنفي ويعرف بابن الضياء. ولد عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م بالمدينة النبوية وسمع من علمائها وبمكة وبالقاهرة واجتمع بالحافظ ابن حجر والذي ذكر في معجمه " اجتمعت به مراراً وأجاز لأولادي" واعتنى بالعلم كثيراً وله في الفقه نباهة ودرس وأفتى كثيراً وولي بعد وفاة أبيه درس يلبغا الخاصكي بالمسجد الحرام وتولى ابن الضياء الهندي التدريس في مدارس مكة وناب في عقود الأنكحة في مكة عن العز النويري، كما ناب عن قاضي مكة في عام سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م وتولى منصب قاضي

الحنفية بمكة وذلك عندما استحدثت هذه الوظيفة في عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م واستمر بها حتى وفاته عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م[٥٦٠].

وممن جاور بالحرم المكي من علماء الهند: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك وجيه الدين بن عمدة الدين القرشي العمري الهندي الحنفي، نزيل مكة، ويعرف بواجه، كان ذا خير ودين وسكون، وممن له عناية بالفقه، وأن أباه كان قاضياً أو خطيباً ببلده، وأظنها دلي من بلاد الهند، قدم مكة في سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٣م، وبلغت مدة مجاورته بها خمسين سنة، ومات سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م[٥٦١]. وعبد الصمد بن عماد بن إبراهيم الدكني الهندي بمكة[٥٦٢]. وعبد القادر بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن أسعد اليافعي، الهندي المولد المكي. مات بها سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م[٥٦٣]. وعمر بن أحمد بن محمد بن محمود بن يوسف بن علي الهندي، المتوفى عام ٨٦٣هـ/١٤٥٨م[٥٦٤]. وعمر بن عبد الله السراج الهندي اقاما بفاعين، وكان عارفاً بالفقه وأصوله والعربية. أقام بمكة أزيد من أربعين سنة يفيد الناس فيها؛ ومات في ذي الحجة سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م[٥٦٥]. وقاسم بن داود بن محمد بن عيسى بن أحمد الهندي الأحمد أبادي الحنفي، ولد في سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م واشتغل قليلاً، وأخذ ممن أخذ عني (أي عن شمس الدين السخاوي) بمكة، وساعد في كتابة شرحي للألفية[٥٦٦]. ومحمد بن التاج الهندي المحمود أبادي الحنفي. الذي برع في علم الهيئة والكلام، والتقى في سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م بالمؤرخ السخاوي بمكة[٥٦٧]. ومحمد بن عمر بن الهندي، تربية علي بن ناصر الحجازي. ممن سمع مني بمكة في سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م[٥٦٨]. ومحمد بن محمد بن محمود أبو الفضل المكراتي الهندي الحنفي المعروف بابن محمود. نزيل مكة مات سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م[٥٦٩]. ومحمد بن منيف الهندي الزيتي. مات بمكة سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م[٥٧٠]. ومحمود بن محمد الهندي الأحمد أبادي المقرئ الحنفي، ممن انتفع به الفضلاء. توفي عام ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م[٥٧١]. ونعم الله بن نعمة الله بن حبيب الله الكليرحي الهندي الحنفي نزيل مكة[٥٧٢]. وأبو البركات الدلواني- نسبة لبلدي أصل مملكة الهند- أحد العدول

بباب السلام بمكة، كأبيه وجده الدلوالي الهندي الحنفي، وكان ماكثاً متقدماً في الوثائق والسجلات، ذا حظ فيها، مات سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م[٣٣٣].

كما أسهم علماء الهند في علوم اللغة العربية، وما يرتبط بها من علوم، فالشيخ إبراهيم الهندي كان عالماً بعلوم اللغة العربية، من نحو وأدب ومعان وبيان، وقد أخذ عنه عدد كبير من طلاب العلم[٣٣٤].

ومن علماء الهند الذين نبغوا في علوم النحو والصرف والمعاني والبيان، أبو الفتح بن علي الكاتفي الهندي، الذي جاور بمكة في سنة ٨٦١هـ/١٤٥٧م، والذي برع النحو وله فيه مؤلف، والصرف والمعاني والبيان وغيرها[٣٣٥]. والشيخ مخدوم بن برهان الدين الهندي الأحمد أبادي الحنفي، ممن أقرأ الطلبة... في المعاني والبيان ... كان فاضلاً. مات في سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م ثم تحويل بيته ومحل إقرائه إلى مدرسة[٣٣٦]. والسيد ركن الدين أبو المحاسن محمد بن مهذب بن ميرسيد بن عبد الله بن نور الله بن أبي القسم الحسيني الدلي الهندي الحنفي نزيل مكة، وسافر بعد إلى الهند، بنية الرجوع، فدام بها حتى سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٤م، وكان بارعاً في العربية والصرف ونحوهما، بحيث يجتمع عليه الطلبة[٣٣٧].

كذلك برع بعض علماء الهند في علم القراءات مثل: الشيخ مكي بن سليمان السندي الهندي، كان يؤدب الأطفال بمكة ويعرف بالعياشي نسبة لشيخه ومربيه الذين بن عياش ولد بمكة سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م، وحفظ القرآن والشاطبيتين ومنظومة شيخه، وتلا بالسبع عليه إفراداً ثم جمعاً، وتصدى لإقراء الأبناء، وكانت فيه فضيلة في الجملة، واستحضار للفن ومراجعة للتيسير[٣٣٨] واستمرار لحفظ الشاطبية[٣٣٩] وفهم لها. مات سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٣م[٣٤٠].

ومن علماء الهند الذين استقروا بمكة: تاج الدين الهندي وهو من مدينة كنبايـة وأقام بمكة عشرين سنة ثم يخرج منها إلا إلى المدينة للزيارة وكان معتنياً بالعبادة والخير وللناس فيه اعتقاد مع قوة اعتقاده في ابن عربي، حتى وفقه العناية بها في عام ٨٢٧هـ/١٤٢٤م[٣٤١].

الشيخ محمد بن عبد السلام بن راجح القرشي القندهاري نسبة لبعض قرى الهند نزيل مكة، وفي عام ٨٦٧هـ/١٤٦٢م تولى نيابة إمام مقام الحنفية بمكة[٣٤٢].

بدر الدين الحسين بن أحمد بن محمد بن ناصر الهندي المتوفى عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م تفقه بمكة على العلامة شيخ الحنفية بمكة ضياء الهندي، وكان يعمل مواعيد بالمسجد الحرام، ويدرس به، وناب في الحكم بمكة، ورحل إلى القاهرة والشام وسافر إلى اليمن فأدركه أجله بها[٣٤٣].

كما استقر العديد من علماء الهند بالمدينة المنورة وعلماء الهند الذين نزلوا بالمدينة المنورة مسعود بن علي بن أحمد بن جمال الهندي الكنبايتي. قد سمع من المؤرخ عبد الرحمن السخاوي بها[٣٤٤]. والياس الهندي الشيخ الصالح نزيل المدينة النبوية، مات بمكة في ذي الحجة سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م[٣٤٥].

منشآت حكام الهند في الحرمين الشريفين:

لم تقتصر مساهمات علماء الهند على الحياة العلمية في الحرمين الشريفين، بل أسهم ملوك الهند وأمراؤها في ازدهار الحياة العلمية بهما، وذلك بإنشاء العديد من المؤسسات العلمية، من المدارس والأربطة. فضلاً عن تخصيص دروس علمية بالحرمين الشريفين[٣٤٦]، ومن ذلك ما قام به السلطان "غياث الدين أعظم شاه"[٣٤٧] حاكم بنجالة، في عام ٨١٤هـ/١٤١١م، من إنشاء مدرسة عرفت بـ "المدرسة البنجالية الغياثية"، ورباط بمكة[٣٤٨]، وكان التدريس بهذه المدرسة على المذاهب الأربعة[٣٤٩]. وفي العام نفسه أمر السلطان غياث الدين بإنشاء مدرسة بالمدينة المنورة، عرفت أيضاً بـ "المدرسة الغياثية البنجالية"[٣٥٠].

كما أنشأ السلطان "أحمد شاه" حاكم كلبرجا[٣٥١] رباطا ومدرسة بمكة عرفت بـ "المدرسة الكلبرقية"، وذلك في عام ٨٣٠هـ/١٤٢٦م[٣٥٢]، وفي عام ٨٣٨هـ/١٤٣٤م أمر ببناء مدرسة أخرى في المدينة المنورة، عرفت بـ "المدرسة الكلبرجية"[٣٥٣]. وكان قد

ارسل في عام ٨٣١هـ/١٤٢٧م، يستأذن السلطان المملوكي الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)، في بناء رباط بالقدس الشريف[cliii].

وأنشأ السلطان "محمد بن قندو" حاكم بنجالة، المتوفى عام٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م، مدرسة بمكة عرفت بالمدرسة البنجالية الجديدة، تمييزاً لها عن البنجالية القديمة[cliv].

وكذلك أنشأ السلطان "محمود شاه" حاكم كجرات رباطا بمكة[clv]. وأقام السلطان "مظفر شاه" بن محمود شاه" المتوفى ٩٣٢هـ/١٥٢٥م، بمكة مدرسة ورباطا وسبيلا[clvi]. وبنى السلطان "غياث الدين محمد شاه" صاحب كنبايه[clvii] بمكة، في عام ٨٦٦هـ/١٤٦٢م، مدرسة عرفت باسم "المدرسة الكنبايتية"[clviii]. وبنى السلطان "محمود بن مغيث الخلجي" صاحب مملكة مالو بالهند، في عام ٨٧٠هـ /١٤٦٦م، في مدرسة مكة عرفت بـ" المدرسة الخلجية"[clix].

دور علماء الهند في التصوف:

شارك علماء الهند في التصوف الذي شكل تياراً رئيسياً للفكر والثقافة، في العالم الإسلامي وقتئذ، إذ يعد من أكثر جوانب الحياة الدينية ازدهاراً، وأعظمها ذيوعاً، وأوسعها انتشاراً، فانتشرت الطرق الصوفية انتشاراً عريضاً، وتغلغلت في أوساط المجتمع في مصر والشام، فلا عجب أن يتصوف أهل مصر والوافدون إليها في هذا العصر، على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ومذاهبهم ونحلهم، ومنازلهم الدينية والدنيوية، فالفقير والغني والحاكم والمحكوم، والعالم والجاهل، والسني والشيعي، والمتفلسفون، كل أولئك تصوفوا إما تصوفاً نظرياً، أو تصوفاً عملياً. ولم يشهد التاريخ ظاهرة كهذه، في أي بلد أو أي عصر، غير مصر في العصر المملوكي. من هؤلاء الصوفية: الشيخ مبارك الهندي السعودي الحلاوي، أحد الفقراء التابعين للشيخ أبي السعود بن أبي العشائر الجاربردي الواسطي[clx]. وانتمت للشيخ مبارك زاوية عرفت بزاوية الحلاوي[clxi] والتي تقع بخط الأبارين[clxii]، بالقرب من الجامع الأزهر بالقاهرة،

ووصف الشيخ مبارك بأنه صالح معتقد، ويذكر ابن الزيات انه، عند وفاته، أوصى أن يدفن عند باب ضريح شيخه الشيخ أبو السعود[clxiii].

وكان الشيخ سراج الدين الهندي نزيل القاهرة، المتوفى عام ٧٧٣هـ/١٣٧١م ينتصب للصوفية الاتحادية[clxiv]، وخاصة عمر بن الفارض[clxv]، حتى إنه قام بتعزير الشاعر الشيخ شهاب الدين أبو العباس احمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد الحنفي الشهير بـ ابن أبي حجلة (٧٧٦هـ/١٣٧٥م)[clxvi] لكلامه في ابن الفارض، ويذكر ابن حجر أن ابن ابي حجلة: "واستمر حنفيا وكان كثير المروة وجم الفضل كثير الاستحضار. وأنشأ مقامات أجاد فيها وكان يميل إلى معتقد الحنابلة ويكثر الحط على أهل الوحدة وخصوصاً ابن الفارض وعارضه جميع قصائده بقصائد لبوية وأوصى أن تدفن معه وقد امتحن بسببه ابن الفارض على يد السراج الهندي قاضي الحنفية[clxvii]. وقام سراج الدين الهندي بشرح تائية ابن الفارض[clxviii].

ومن علماء الهند من سكن الخانقاوات[clxix] التي بنيت للصوفية مثل: الشيخ محمود بن علي بن عبد العزيز بن محمد الزين والكمال أبو علي، الهندي الأصل، الدربقوسي الخانكي المليجي الشافعي الصوفي، ويعرف بالشيخ محمود، ولد عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م [clxx] بالخانقاه الناصرية[clxxi] ونشأ بها، فقرأ القرآن على جماعة، وتلاه بالسبع على شيخ الخانقاه[clxxii] الشمس القلوبي، ولازن له في الإقراء، وقرأ عليه البخاري بسماعه له على الدافعي، وأشغا، وحج في سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م ثم في سنة ٨١٧هـ/ ١٤٢٠م، وجاور وقرأ بمكة على الكمال أبي الفضل بن ظهيرة، وأبي الحسن بن سلامة، وزار بيت المقدس والخليل، ودخل إسكندرية، وتكسب بالشهادة، وتنزل في صوفية الخانقاه الناصرية بدله، وولي نيابة مشيخة للشيوخ بها، وكذلك التصدير في تدريس علم القراءات[clxxiii]، والإمامة بمدرسة سودون من عبد الرحمن[clxxiv] وتتلمذ عليه المؤرخ الشهير "السخاوي" والذي ذكر بأنه :" وقد لقيته مراراً وقرأت عليه أشياء" ، ووصفه بأنه: " كان إماماً فاضلاً ديناً حسن الهيئة والأبهة، سليم الفطرة، منجمعاً عن

الناس، مقبلاً على شأنه، ملازماً بأخرة خلوته للكتابة والقراءة والمطالعة، ذا وجاهة وأمانة". مات عام ٨٦٥هـ/١٤٦٠م بمكة[٥٥٥].

ومن شيوخ التصوف النهود الذين نزلوا مصر: الشيخ غريب بن عبد الله الهندي البنكالي الحنفي، الذي قدم القاهرة في سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، فنزل المدرسة البرديكية[٥٥٦] واختلى في بعض خلاويها شهر رمضان كله، بعد أن طين باب الخلوة، ومنع نفسه من الطعام الشهر كله، وأنه يفطر على ارتفلة، وأنه يأكل في كل أربعين يوما قرنفلة واحدة، وأنه في كل ليلة، عند الفطر، يضع في كفه قليل ماء ويضع فيه قرنفلة ويلحس الماء مع بقاء القرنفلة، فإذا مضى أربعون يوما أكلها، وأنه لا يفعل ذلك إلا في الخلوة، فإذا خرج منها تناول بعض الشيء، كما أن الفضلات لا تحصل له منها في الخلوة، يحصل بحسب الحال، وأنه يكون في خلوته بمكان مظلم فيه السراج ليلا ونهارا، وأنه رحل لكل من خراسان وبغداد والروم وحلب والشام، والمساجد الثلاث، ومصر، يحسن بعض اللغة العربية بحيث يفهم ما يقال له أو يجيب بتواضع وسكون وأدب[٥٥٧].

كذلك شارك الهنود في التصوف في بلاد الشام، ومن هؤلاء: الشيخ صفي الدين الهندي الذي سلك طريق التصوف، حتى تولى منصب مشيخة الشيوخ[٥٥٨] بالخانقاة السميساطية بدمشق[٥٥٩]، في عام ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م، وهو منصب يعد شيخ شيوخ التصوف في بلاد الشام كله، وذلك بطلب الصوفية من نائب دمشق "الأفرم"، أن يولي عليهم مشيخة الشيوخ، فأذن له في المباشرة[٥٦٠].

ومن زهاد الهند الذين استقروا في دمشق: الشيخ عبد الله جوركو الهندي، وكان اشتهر بين الناس بجاكير، ومعنى جوركو بالهندي: الزاهد العابد وكان ساكناً بالمدرسة النقوية بدمشق[٥٦١]، كان كثير الحج، ملازم الصلاة في الليل، يحافظ على الصف الأول في المقصورة، ويخاطب الناس بكلمات محصورة، وكان أولاً فقيراً من فقراء القلندرية[٥٦٢]، ثم ترك تلك الطريقة، وأعرض عن المجاز وسلك الحقيقة،

ولم يزل على حاله إلى أن مضى لسبيله، ودرج على أثر أهله وقبيله. وتوفي عام ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م[٥٦٣].

ومن زهاد الهند الذين استقروا بمدينة القدس: الشيخ الصالح عبد الله الهندي، كان من الأولياء المشهورين بها، وتوفي عام ٧٧٣هـ/١٣٧١م[٥٦٤].

ومن زهاد الهند: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبد الله الزين الهندي الواعظ، ولد عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨م والذي جال في بلاد الشرق والغرب والهند واليمن والحجاز، وأخذ عن علمائها، وسمع الحديث، وجاور بمكة في سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م، وقدم مصر فأكرمه الأشرف برسباي(٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)، وأحسن إليه، ودخل بيت المقدس وعقد به مجلس الوعظ، وكان خيراً عالماً فاضلاً حسن السمت والبشر، فصيحاً مفوهاً، ذا أنس ووقار. وممن حضر مجلس وعظه ببيت المقدس، العز القدسي، وعظمه وأثنى على علمه وصلاحه، وتوجه لبلاده، فلما توسط بحر الهند بلغنا أنه غرق في البحر، سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م[٥٦٥].

دور العلماء الذين رحلوا إلى بلاد الهند:

لم يقتصر الأمر على قدوم علماء الهند إلى دولة المماليك، فقد رحل العديد من العلماء، المصريين والشوام والحجازيين، إلى بلاد الهند، فإنها كانت مهداً للعلماء من سالف الزمان، وقد إليها أهل العلم من شيراز ومن أرض، فدرسوا بها وتخرج عليهم جماعة من الفضلاء، وانتشر العلم في كل ناحية من نواحي الهند[٥٦٦].

وقد لقي هؤلاء العلماء كل رعاية من حكام الهند. وسوف نورد بعض النماذج لهؤلاء العلماء، والذين يأتي في مقدمتهم: بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني[٥٦٧] الذي يعد أشهر لغوي سكندري في العصر المملوكي، بحيث فاق في العربية والنحو والأدب شعراً ونثراً، والفقه، ويعد خطيباً مفوهاً، تصدر لتدريس النحو بالجامع الأزهر، ثم رحل إلى الهند فزادت شهرته فأقبلوا عليه، وأخذوا عنه وعظموه وحصل دنيا عريضة، وتوفي بها[٥٦٨].

ويعد بدر الدين الدماميني من أئمة اللغة والنحو والفقه والحديث. كان شاعرا بارعا مقتدرا، وفي شعره شيء من البراعة، وشيء من الرقة والطلاوة [٢٥٢]. وترك لنا الدماميني العديد من المؤلفات في علوم اللغة، منها كتاب " تحفة الغريب في حاشية مغني اللبيب " شرحاً على كتاب "المغني لابن هشام المتوفى في عام ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م[٢٥٣]، في النحو، كان تأليفه بمصر، ثم لما رحل إلى الهند شرحه هناك شرحا أطول منه[٢٥٤]. وشرح الدماميني كتاب "الوافي في النحو" لمحمد بن عثمان بن عمر البلخي، ولما سافر إلى الهند، ورأى أن أهل " كجرات"، مشغولين به، فأهداه لملك الهند أحمد شاه .ومسماه: " المنهل الصافي "[٢٥٥]. وله كتاب " الروضة الأدبية في شواهد علوم العربية " وهو يشرح الشواهد الشعرية التي أوردها ابن جني في كتابه " اللمع "، وله " كتاب شرح به كتاب " التسهيل لابن مالك "[٢٥٦] وسماه " تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد "[٢٥٧] ويذكر الدماميني في مقدمة كتابه: "إني لما قدمت في أواخر شعبان المكرم، من سنة عشرين وثمانمائة، إلى كنباية من حاضرة الهند، عمرها الله تعالى بالإسلام، وشاد أرجاءها بالأئمة الأعلام، وجدت فيها هذا الكتاب مجهولاً لا يعرف، ونكرة لا تتعرف، قل من يشعر بسمعه أو مسماه، أو يلمحه بالنظر فيكشف معماه، ولا يجد المرء هناك منه ولا له أصلاً ولا شرحاً، ولا يبرح للمتلهف إلى ورود مناهله يكابد ظمأ وبرحاً، واتفق أني استصحبت منه في السفر نسخة واحدة نخلتها رأس مال للنظر، وكانت بالفوائد علي عائدة، ورأها بعض الطلبة فلمحها بعين الاستحسان، وتناهاه لسانها بألفاظ عذبة، فذاق منها حلاوة اللسان،إلا أنه رأي في كثير من الأماكن أبكار معان تحجبت بأبواب مغلقة، ووجوه مسائل فتنت القلوب بغنج عيونها فتركتها في حبائل العجبة معلقة، فسألني في أن أشرح هذا الكتاب ...وشاء الله لن يكون أفق الهند منشأ لظهوره، وسماء لطلوع بدره وسفوره، واهدي هذا الكتاب إلي السلطان أحمد شاه" [٢٥٨].

وكان لبدر الدين الدماميني إسهاماته في علم العروض، حيث قام بشرح قصيدة "عروض الخزرجية" المعروفة: "بالرامزة" في: العروض والقوافي[٢٥٩]. وله أيضا

كتاب "جواهر البحور في العروض". وقد قام بشرح هذا الكتاب تحت عنوان: " معدن الجواهر "[٢٦٠]. وله " الفكهة البدرية"[٢٦١]. وله شرح "لامية العجم" [٢٦٢]. وله: مختصر سماه: "نزول الغيث"[٢٦٣]. وله " مقاطع الشرب "[٢٦٤].

كما أسهم الدماميني في تدريس علم الحديث، وقام بشرح كتاب " الجامع الصحيح " للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى عام٢٥٦هـ/٨٧٠م، وسماه: "مصابيح الجامع"، ألفه للسلطان أحمد شاه بن محمد بن مظفر حاكم كجرات[٢٦٥]. وله أيضا في علم الحديث رسالة " الفتح الرباني في الرد على التبياني،"يقول الدماميني:"حملني على كتابتها أني لما وفدت الوفادة الثانية، في العشر الأول من المحرم سنة ثلاثين وعشرين وثمانية، على حضرة السلطان أبي الفتح أحمد شاه – أعز الله أنصاره– وجدت هناك شخصاً يعرف بعنهاج التبياني – أمال الله أن يبصره بمواقع رشده– اعترض على تعليقي على البخاري– المسمي بـ "مصابيح الجامع" – أربعة عشر اعتراضا، فكتبت هذه الرسالة للرد عليه"[٢٦٦].

بالإضافة إلي ذلك، فقد اهتم الدماميني بعلم الحيوان، وشغف بكتاب "حياة الحيوان الكبرى" للدميري[٢٦٧] وقام باختصاره في كتاب سماه "عين الحياة"، مهدياً إلى السلطان أحمد شاه بن مظفر وفرغ في شعبان، سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م [٢٦٨]. وتوفي الدماميني مسموماً بالهند، في عام ٨٢٨هـ /١٤٢٥م [٢٦٩]. ومن العلماء الذين رحلوا إلي بلاد الهند: سراج الدين عمر بن عبد الله ابن المقيف، توفي عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م بـ" دولات باد"من بلاد كليرجة[٢٧٠].

ومن العلماء الذين رحلوا إلي الهند: شهاب الدين أحمد بن سليمان بن أحمد المصري، ثم السكندري فالمكي، ويعرف بالتروجي[٢٧١] سكن الإسكندرية وقتا ثم جال في البلاد، ودخل العراق والهند، وعظم أمره ببنجالة من بلاد الهند، وحصل له فيها دنيا، ثم أقام بالحرمين، ومات بمكة عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م. وكانت له نباهة في العلم، ويتاكر بأشياء حسنة من الحكايات والشعر[٢٧٢].

من العلماء الذين وفدوا إلى الهند: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الجمال المصري محمد بن أبي بكر الأنصاري المكي، نزيل الهند، مات ٨٧٨هـ/١٤٧١م في كلبرقة ببلاد الهند[٢٧٧].

ومن علماء الحديث المصريين الذين استقروا في كنباية بالهند: شمس الدين محمد بن جلال الدين محمد المصري المالكي، ويعرف بابن سويد. ولد بالقاهرة في سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م، ونشأ في كنف أبيه، وتعلم على علمائها، ثم رحل إلى مسجد مصر ومنه إلى مكة واليمن وزبلع، ثم توجه إلى كنبايه، حيث أقبل عليه صاحبها[٢٧٨] السلطان محمود شاه، ولقبه بـ "ملك المحدثين"، لما هو مشتمل عليه من معرفة الحديث والفصاحة، وهو أول من لقب بهذا، وعظم بذلك في بلاده، وانقاد له الأكابر في مراده، وصار منزله مأوى لمن طلبه، وصلاته واصلة لأهل الحرمين، وتوفي بأحمد آباد من كجرات ٩١٩هـ/١٥١٣م[٢٧٩].

كما رحل إلى الهند العالم الشهير: جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١هـ/ ١٥٠٥م فتحدث عن نفسه بقوله: "وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور"[٢٨٠].

ومن علماء الحديث الذين رحلوا إلى بلاد الهند ونزل بكنبايه: صلاح الدين خليل الأقفهسي المعروف بخليل الأشقر المتوفى عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م[٢٨١].

ومن علماء الشام الذين رحلوا إلى الهند: عمر بن أحمد بن محمد بن محمد الدمشقي الشافعي، المعروف بالبطايني، نزيل كنبايه. ولد في دمشق سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م، ونشأ بها، ودخل القاهرة، وفي سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م رحل إلى مدينة كنبايه، وفي عام ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م عين بها في قضاء الشافعية إلى جوار القاضي الحنفي[٢٨٢].

ومن العلماء الذين رحلوا إلى الهند: علاء الدين محمد بن محمد البخاري الحنفي، المتوفى عام ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م، الذي وصف بتقدمه في الفقه والأصلين، والعربية واللغة، والمنطق والجدل، والمعاني والبيان والبديع، وغيرها من العلوم العقلية

والنظرية، وترقى في التصوف، وتمهر في الأدبيات، وتوجه إلى بلاد الهند، واستقر به المقام بـ كلبرجا، ونشر العلم والتصوف، وعظمت مكانته عند ملكها، والذي أصبح أحد تلاميذه "وكان ممن قرأ عليه وترقى عنده إلى الغاية، لما وقر عنده من علمه وزهده وورعه، ثم رحل البخاري إلى القاهرة فأقام بها عدة سنوات، ثم سكن مدينة دمشق حتى وفاته[٢٨٣]. ومع ذلك فقد ظلت علاقته وثيقة بحاكم كلبرجا، الذي كان يرسل إليه الهدايا السنية والتحف النبيهة كل عام[٢٨٤]، ففي عام ٨٣١هـ/١٤٢٧م أرسل إليه ثلاثة آلاف مثقال أو أكثر، ففرق منها ألفا على الطلبة الملازمين له ولم يدخر لنفسه منها شيئا[٢٨٥].

خاتمـــــة:

مما سبق يتضح لنا عمق الصلات الثقافية التي ربطت بين بلاد الهند الإسلامية، وبين المراكز الثقافية والعلمية في مصر والشام والحجاز، بحيث يكون من الصعب حصر العلماء الذين انتقلوا بين البلدين، إذ شارك علماء الهند في الحياة الثقافية في كل من مصر والشام والحجاز، فقد تولوا العديد من الوظائف العلمية والدينية، ومشاركتهم الفاعلة في مجال التأليف العلمي، وخاصة في علم الفقه على المذهب الحنفي وأصوله، كما بينت إسهامات الهنود في تيار التصوف في مصر والشام، وكشفت مدى اهتمام حكام الهند بإنشاء المؤسسات العلمية في الحرمين الشريفين والقدس، وعلى الجانب الآخر؛ أوضحت الدور المهم الذي قام به العلماء المصريون والشوام في ازدهار الحياة الثقافية في بلاد الهند، والحفاظ على علوم اللغة العربية وآدابها، في الهند، وعلم الحديث وغيرها من العلوم. الأمر الذي يوضح دور الثقافة في التواصل بين الشعوب.

هوامش البحث:

(i) زكي محمد حسن: الرحلة المسلمون في العصور الوسطى، دار المعارف، د.ت، ص٧.

(ii) جلال السعيد الحفناوي: " رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة وأثرها في مسلمي شبه القارة الهندية "، ثقافة الهند، مج٥٥، العدد ٤، ٢٠٠٤م، ص١-١٤١.

(iii) عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند/معارف، شعارف في أنواع العلوم والمعارف، راجعه وقدم له أبو الحسن علي الحسني الندوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق،١٤٠٣هـ/١٩٨٣، ص١٣٦.

(iv) فرحلة: لغويا من رَحَلَ يَرحَلُ رحيلاً، وارتحل و(تَرَحَّلَ)، والرحلة: بالكسر الارتحال، فيقال دنت رحلتنا.

الرازي: مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، دار الحديث، القاهرة، د.ت، ص٢٣.

(v) إلياس حمدي سرور: في تاريخ وحضارة الإسلام في الهند، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،٢٠١٣، ص٢٧.

(vi) عن إحياء الخلافة العباسية في مصر انظر:- ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): تاريخ ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٩، جـ٥ ص١٣٨٢؛ المقريزي(أحمد بن علي، ت. ٨٤٥هـ/١٤٤٢م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ، ١٩٣٦- ١٩٧٣م ، جـ١ ق٢ ص٤٤٨- ١٤٥١؛ العيني(بدر الدين محمود بن أحمد، ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حوادث (٦٤٨- ٧٠٧هـ)، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧- ١٩٩٢، جـ١ ص٤٩٣-٥٠٧؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، ١٩٩٤، ص٣٤٦-٣٤٧.

Ayalon, D., " Studies on the transfer of the Abbasid caliphate from Baghdad to Cairo ", Arabica, 7(1960), pp.41-59; Holt, P., "Some observations on the Abbasid caliphate of Cairo", Bulletin of the school of oriental and African studies, 47 (1984), pp.510- 507.

(vii) أبو شامة (شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م): تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، نشر محمد عزت العطار الحسيني، دمشق، ١٩٤٧، ص ٦٧.

(viii) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦٧، ج٢، ص٩٤.

(ix) المقريزي: السلوك، ج١ ق٢،ص٩٢٤-٩٢٥؛ ابن تغري بردي: إنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٠٢، ص٣٩٢؛ عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري، ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م: نيل الأمل في الذيل على الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت،٢٠٠٢، ج٧، ص١٠٦-١١٠٧؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، القاهرة ٢٠٠٤، ص٤٤٥؛ ابن إياس(أبي البركات محمد بن أحمد الحنفي، ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤،ج٣،ص٦٢؛ برني: تاريخي فيروز شاهي، كلكتا، ١٨٦٢، ص٤٩٨؛ شمس سراج عفيف: تاريخي فيروز شاهي، كلكتا ١٨٩٠، ص٢٧٤ - ٢٧٦؛ فيروزشاه: فتوحاتي فيروز شاهي، عليكره (ب.ت)، ص٢٥؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٤٧، ص١٩٢؛ محمد نصر: "العلاقات بين سلاطين دلهي والخلافة العباسية دراسة في الفكر السياسي لسلاطين دلهي(٦٠٢- ٨١٦هـ /١٢١٠- ١٤١٤م)، المجلة التاريخية المصرية، العدد٤٧، ٢٠١١؛ إلياس حمدي: في تاريخ وحضارة الهند، ص٤٨-٥٦.

Majumder, M., An advanced history of India, p.330; Lal , The legacy of Muslim rule in India, p.79; Goron S., The coins of the Indian sultanates, p.113

(x) خالد الحامدي: "تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند"، مجلة ثقافة الهند، مج٤٧، العدد١-٤، نيودلهي،١٩٩٦، ص٨-٩.

(xi) خالد الحامدي: المرجع السابق ، ص٩.

(xii) حبيب الله خان: " الترجمة العربية منها وأدبها في الهند قبل الاستقلال"، مجلة ثقافة الهند، مج ٤٨، العدد ١-٢، ١٩٩٧م ، ص١٠١.

(xiii) حبيب الله خان: المرجع السابق، ص١٠٤.

(xiv) حبيب الله خان: " الترجمة العربية منها وفيها في الهند، ص١٠٤-١٠٥.

(xv) تعد قصيدة البردة من أهم قصائد شرف الدين البوصيري المتوفى عام ٦٩٦هـ/١٢٩٧م بالإسكندرية ومسجده مجاور لمسجد أبو العباس المرسي بميدان المساجد الآن ويعرف بالأبوصيري. ومصدر الوحي لكثير من القصائد التي أنشدت بعد البوصيري في مدح الرسول وهي تقع في مئة وثلاثين وستين بيتاً. المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩ - ١٩٩٢ جـ٥، ص٦٦١-٦٦٩ رقم ٢٢٦٢؛ محمد سيد كيلاني: الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام، ط٢، القاهرة، ١٩٨٤، ص٣١٩.

(xvi) فصوص الحكم لمحيي الدين بن عربي الأندلسي المتوفى عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤١م حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص١٢٦١.

(xvii) عوارف المعارف في التصوف، لشهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م. حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢، ص١٢٧٧.

(xviii) حبيب الله خان: المرجع السابق، ص١١٨.

(xix) الفقه: لغة العلم بالشيء والفهم له، والفطنة، وغلب على علم الدين لشرفه وفقه فهو فقيه وفقية جمعها فقهاء. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ترتيب الطاهر أحمد الزاوي، جـ٣، ص٤١٣ مادة (ف ق هـ).

(xx) عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند، ص١٠٣.

(xxi) دهلي: حاضرة بلاد الهند تقع على نهر جمنا وسميت بهذا الاسم لأن أرضها غير متماسكة، وعندما استعمر الانجليز بلاد الهند حرفوها من دهلي إلى دلهي. عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، القاهرة، ١٩٥٩، ص١٠١، هامش١.

(xxii) خضر بن محمد بن علي الأربلي المتوفى ٧٣٠هـ/١٣٢٩م نزل مكة وجاور بها ووصف بأنه رجل مبارك. الفاسي(تقي الدين محمد بن أحمد الحسني ، ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٩٦ ،ج٤،ص٣١٨-٣١٩، رقم ١١١٣٥. منى حسن آل مشاري: المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ،ص٨٣.

(xxiii) علم أصول الفقه: هو علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية اليقينية، وموضوعه الأدلة الشرعية الكلية. عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند، ص١٢٣.

(xxiv) علم الفرائض: " معرفة فروض الورثة وتصحيح سهام الفريضة التي لم تصح باعتبار فروضها الأصول أو مناسختها "وهو فن شريف تجمعه بين المعقول والمنقول، والوصول به إلى الحقوق في الورثات بوجوه صحيحة يقينية، ويحتاج فيه إلى الحساب وفرض المسائل التي تحتاج إلى استخراج المجهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والتصرف في الجذور. ابن خلدون: المقدمة، جـ٣ ص١٠٦١؛ السيوطي: كتاب المقابلة، القاهرة، ١٣١٧هـ، ص٢٧١-٢٧٣ إتمام الدراية، القاهرة، ١٣١٧هـ ص٩٢-١٠٣.

(xxv) المدرسة الصالحية: هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ورتب فيها دروسا أربعة للفقهاء المنتمين إلى المذاهب الأربعة في سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروفة بالخطط المقريزية، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت، ج٤، ص٢١٧.

(xxvi) ابن حجر العسقلاني(أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٩-١٩٩٢،ج١،ص٢٧-٢٨.

(xxvii) قضاء العسكر: جعلها القلقشندي الوظيفة الثانية من الوظائف الدينية في دولة المماليك بعد قضاة القضاة. وموضوعها التحدث في الأحكام في الأسفار السلطانية ويحضر صاحبها بدار العدل مع القضاة ويسافر مع السلطان إذا سافر؛ وهم ثلاثة نفر شافعي، وحنفي، ومالكي، وليس للحنابلة منهم حظ، وجلوسهم في دار العدل دون القضاة الأربعة. القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي ت. ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى صناعة الإنشاء، القاهرة، ١٩١٩- ١٩٢٢،ج٤، ص٣٦.

(xxviii) المقريزي: السلوك،ج٣، ق١، ص١٥٨،٩٢،٣٣.

(xxix) المقريزي: السلوك،ج٣، ق١، ص١٥٨.

(xxx) عبد الباسط بن خليل،نيل الأمل،ج٢،ص٣٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور،ج١،ق٢، ص١٠٨.

(xxxi) وقف الطرحي أو وقف الطرحاء: جمع طريح وهو المنزوك المهمل، وأنشاه السلطان الظاهر بيبرس البندقداري ، وهو خاص بتفصيل فقراء المسلمين وتكفينهم ودفنهم وخاصة في أوقات انتشار الأوبئة والطواعين. ابن الفرات(ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، ت ٨٠٧هـ /١٤٠٤م): تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، نجلاء عز الدين، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٦-١٩٤٢م،ج٧،ص٨٣؛ المقريزي:السلوك،ج١، ق٢، ص٦٣٨؛ ابن تغري بردي(جمال الدين يوسف بن تغري بردي ، ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م): النجوم في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٢٩-١٩٧٢ ، ج٧، ص١٨٠؛ محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر،دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠، ص١٠٥.

(xxxii) الأمير قجاي بن عبد الله اليوسفي الناصري المتوفى عام ٧٧٥هـ/١٣٧٣م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥-٢٠٠٩،ج٣،ص٤٠.

(xxxiii) ابن حجر: الدرر، ج٣، ص١٥٤-١٥٥.

(xxxiv) جامع ابن طولون: بناه أحمد بن طولون في مدينة القطائع في عام ٢٦٤هـ/٨٧٨م .. المقريزي: الخطط، ج٤، ص٣٨.

(xxxv) أنشأها المنصور قلاوون عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م. المقريزي: الخطط،ج٤،ص٢٢٦.

(xxxvi) ابن حجر،الدرر،ج٣،ص١٥٥.

(xxxvii) الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي الحنفي المتوفى عام ٣٢١هـ/٩٣٣م حاجي خليفة: كشف الظنون،ج١، ص١٧٤؛ ج٢،ص١٤٣٠.

(xxxviii) الأمير سيف الدين صرغتمش بن عبد الله الناصري.ابن تغري بردي: المنهل،ج٦،ص٣٤٢-٣٤٤.

(xxxix) سراج الدين الهندي: شرح عقيدة الإمام الطحاوي، تحقيق حازم الكيلاني، دار الكرز، القاهرة،٢٠٠٩،ص٢٣-٢٥.

(xl) عبد الحي الحسيني: نزهة الخواطر،ج٢،ص١٨١.

(xli) حاجي خليفة: كشف الظنون،ج١،ص٤٤٨.

(xlii) حاجي خليفة: المرجع السابق ،ج٢،ص٩٣٠.

(xliii) أبي عبد الله: محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٧هـ/٨٠٣م. حاجي خليفة: المرجع السابق، ج١، ص٥٦٩.

(xliv) حاجي خليفة: المرجع السابق ، ج٢، ص٩٦٢.

(xlv) حاجي خليفة: المرجع السابق ، ج٢، ص١٠٢٤.

(xlvi) حاجي خليفة: المرجع السابق ، ج٢، ص١١٣٠.

(xlvii) حاجي خليفة: المرجع السابق ، ج٢، ص١١٩٨.

(xlviii) حاجي خليفة: المرجع السابق ، ج٢، ص١٢٢٧.

(xlix) حاجي خليفة: المرجع السابق ،ج٢،ص١٥٦٩.

(l) حاجي خليفة: المرجع السابق ،ج٢،ص٢٠٢٣.

(li) لشيخ الإمام مظفر الدين أحمد بن علي المعروف بابن الساعاتي قيفقدادي الحنفي المتوفى٦٩٤هـ/١٢٩٥م.

حاجي خليفة: المرجع السابق ،ج١،ص٢٣٥.

(lii) ابن حجر: المعجم المؤسس للمعجم المفهرس، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٢، ص٢٨.

(liii) المقريزي: درر العقود، ج٢، ص٣٥٦.

(liv) الفاسي: ذيل التقييد، ج٢، ص١٤٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٣٨؛ المباركفوري: رجال السند والهند، ق١، ص٢٣٢؛ إيناس حمدي: في تاريخ وحضارة الإسلام في الهندي، ص١١٦-١١٧.

(lv) حارة الديلم: عرفت بذلك لنزول الديلم بها. المقريزي: الخطط ج٣، ص١٦-١٩.

(lvi) العيني: عقد الجمان ج٣، ص٣٠٢.

(lvii) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٣٣٤

(lviii) مدرسة الظاهر برقوق أو البرقوقية: هي مدرسة وجامع وخانقاه أنشأها السلطان المملوكي الظاهر برقوق عام٧٨٨هـ/١٣٨٦م.المقريزي: الخطط ج٤، ص٢٨٨.

(lix) المقريزي: درر العقود،ج٢،ص٣٥٦؛ ابن حجر: إنباء الغمر،ج٢، ص٣٦٨؛ ذيل الدرر الكامنة أو تاريخ المئة التاسعة، تحقيق عدنان درويش ، القاهرة، ١٩٩٢ ،ص١٨٤-١٨٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٣٦؛ إيناس حمدي: في تاريخ وحضارة الإسلام في الهندي، ص١١٧.

(lx) ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، ص١٨٤-١٨٥.

(lxi) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٣٢٤

(lxii) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٥٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص١٠٥، رقم ٣٠٩.

(lxiii) المدرسة الجوهرية: تقع هذه المدرسة في قطرف الشرقي البحري للجامع الأزهر، أنشأها الأمير جوهر القنقبلي، الخازندار المتوفى عام ٨٨٤هـ/١٤٨٠م ودفن بهذه المدرسة. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص١٥٤؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٨٣؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ص٥٨.

(lxiv) المدرسة الفاتحانية: مدرسة قاضي باي بن عبد الله المحمدي، المتوفى عام ٨١٨هـ/ ١٤١٤م فرر فيها مدرسا للشافعية وآخر للحنفية ووقف لهما وقفا جيدا. وتعرف باسم جامع المحمدي، في النهاية الشرقية من شارع شيخون الموصل من الصليبة إلى ميدان القلعة. النجوم الزاهرة، ج١١ ص٣٩؛ السخاوي: الضوء، ج١، ص١٩٦.

(lxv) المقريزي: الطبقات السنية، ج١، ص٢١٧-٢١٨، رقم٢٨.

(lxvi) السخاوي: الضوء، ج١٠، ص١٤٤-١٤٥، رقم٥٧٦.

(lxvii) جامع المؤيد: يقع بجوار باب زويلة من داخله، كان موضعه خزانة شمائل حيث يسجن أرباب الجرائم، وقيسارية منقر الأشقر، وباب الصغيرة، وقيسارية بهاء الدين قراقوش. أنشأه السلطان فعلك المؤيد شيخ المحمودي الظاهري. المقريزي: الخطط ج٤، ص ١٤٢

(lxviii) السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٦٤، رقم ٩٩٨.

(lxix) السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص١٠٥.

(lxx) السخاوي: المصدر السابق، ج٤، ص٣٢٤، رقم ٨٩٣.

(lxxi) السخاوي: المصدر السابق ،٣، ص١٣٧، رقم ٥٤٣

(lxxii) ابن فهد: الدر الكمين ص١٣٤- ١٣٥؛ معجم ابن فهد، ٢٢٨؛ السخاوي: الضوء، ج١١، ص١٠٥

(lxxiii) المدرسة المنكوتمرية: هذه المدرسة بحارة بهاء الدين من القاهرة، بناها بجوار داره الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي نائب السلطنة بديار مصر، فكملت في صفر سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م. المقريزي: الخطط ج٤، ص٢٣٨.

(lxxiv) السخاوي: المصدر السابق ، ج١١، ص٦١.

(lxxv) يقع هذا الرواق إلى يمين الداخل من باب المؤيدين. علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، ج٤، ص٢٣؛ عبد العزيز محمد الشناوي: الأزهر جامعاً وجامعة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣، ج١، ص٢٦٧؛ سمير صبري شيل سالم: المؤثرات المشرقية في العصر المملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٣، ص٤٥٩.

(lxxvi) ابن الزيات: الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٠٧، ص٨٣-٨٤؛ إيناس حمدي: في تاريخ وحضارة الإسلام في الهند، ص١١٢.

(lxxvii) البرزالي: المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري،المكتبة العصرية،صيدا- بيروت،٢٠٠٦، ج٤، ص١٨٤رقم ٣٨٣.

(lxxviii) ابن أيبك: الوافي، ج٣، ص٢٣٩؛ ابن كثير: البداية، ج١٤، ص٧٥، ابن تغري بردي: النجوم، ج٨، ص٧١.

(lxxix) ابن سبعين: قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر المرسي الصوفي، المولود عام ٦١٤هـ/١٢١٧م كان من زهاد الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود. توفي في٢٨ من شوال سنة ٦٦٩هـ/١٢٧١م الذهبي: ذيول العبر،ج٣، ص٣٢٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٦٩؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٥، ص٣٣٠.

(lxxx) الإسنوي (جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م): طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ج٢، ص٥٣٤؛ ابن قاضي شهبة (تقي الدين أبي بكر بن أحمد ت. ٨٥١هـ/١٤٤٧م): طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت ج٢، ص٢٩٧.

(lxxxi) قونية: من أعظم مدن الروم (آسيا الصغرى) ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤١٥.

(lxxxii) سيواس: بكسر أوله، بلد في آسيا الصغرى. انظر: ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٧٦٨.

(lxxxiii) الذهبي: معجم الشيوخ المعجم الكبير، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط١، ١٩٨٨،ج٢، ص٢١٦، رقم ٧٦٦.

(lxxxiv) البرزالي: المقتفى على كتاب الروضتين ،ج٤، ص١٨٣.

(lxxxv)أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المعروف بابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ/١٢٦٢-١٣٢٧)، انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٤ أجزاء، حيدر أباد، ١٩٧٥ جـ٤ ص١٤٩٦؛ ابن أيبك الصفدي: الوافي، جـ٧ ص١٥، رقم ٢٩٦٤؛ اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر به من حوادث الزمان، بيروت، ١٩٧٠، جـ٤ ص٢٤٥؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١، ص٣٥٨.

(lxxxvi) ابن أيبك الدوادار: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت روبمر، القاهرة ١٩٦٠ ص١٣٣-١٤٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤ ص٣٦-٣٨؛ محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي - بيروت، ٢١٩-٢٢٠؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٩، ص١٦٣-١٦٤؛ ابن حجر: الدرر، ج٤، ص١٣٢.

(lxxxvii) تبريزي: المعتقي على كتاب الروضتين، ج٤، ص١٨٢ رقم ٣٨٣.

(lxxxviii) بناها أبو القاسم التاجر المعروف بابن رواحه المتوفى عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٦٤؛ ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج٢، ص٦٥؛ النعيمي (عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ت٩٢٧هـ): الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ج١ ص١٩٩.

(lxxxix) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٣٠٩؛ النعيمي: الدارس، ج١ ص٢٠٣.

(xc) أنشأها جمال الدين محمد بن أبي الفضل الدولعي. النعيمي: الدارس، ج١ ص١٨٢؛ ١٨٤.

(xci) المدرسة الظاهرية: بناها الظاهر بيبرس البندقداري عام ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م النعيمي: الدارس، ج١ ص٢٦٣، ٢٦٦.

(xcii) المدرسة الأتابكية: أنشأتها خاتون بنت عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي المتوفاة عام ٦٤٠هـ/١٢٤٢م. النعيمي: الدارس، ج١ ص٩٦.

(xciii)ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٢٧؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٩، ص١٦٩٣؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ٢ ص٥٣٤؛ النعيمي: الدارس، ج١ ص٩٧.

(xciv) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢ ص١٩٩١.

(xcv) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢ ص١٢١٧.

(xcvi) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٨٧٣.

(xcvii) القنوجي: أبجد العلوم ج٣ ص١٢٠-١٢١.

(xcviii)علم الكلام: وهو" علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، ويتناول مسائل عقيدية دقيقة مثل التوحيد والآخرة وحقائق الصفات الإلهية والقدر والخير والشر وغير ذلك.ابن خلدون: المقدمة، جـ٣ ص١٠٦٩

(xcix) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢ ص١٩٤٣.

(c) أنشأها الأشرف موسى بن العادل الأيوبي عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م. النعيمي: الدارس، ج١، ص١٥٤.

(ci) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٤؛ ابن حبيب الحلبي: تذكرة النبيه في أيام المنصور ونبيه، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢، ج٢، ص٧١-٧٢.

(cii) الشمسية. رسالة مختصرة في المنطق ألفها نجم الدين علي بن عمر الكاتبي القزويني ت٦٧٥هـ/ ١٢٧٣م وقد ألفها للخواجة شمس الدين الجويني ولذا سميت بالشمسية. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص١٠٦٣.

(ciii) البقاعي(إبراهيم حسن البقاعي٨٠٩- ٨٨٥هـ): عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤، ج٢، ص٩٦٧-٩٦٨، رقم ٩٩٨.

(civ) السخاوي: الضوء اللامع، ج٣ ص١٣٢؛ إياس حمدي صروف: في تاريخ وحضارة الإسلام في الهند، ص١١٧.

(cv) النقي شقرة: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج٣، ص١١٩

(cvi) الرَبط: جمع رباط وترباط : أصله ما يربط فيه الخيل، وقيل لكل ثغر يدفع أهله عما وراءهم رباط أي ملازمة الثغر رباطاً، الرباط إذن هو الإقامة بالثغر المعرض للعدو والدفاع عنه. الرازي: مختار الصحاح، مادة " الرباط " ص ٢٢٩؛ ابن منظور : لسان العرب، مادة "ربط"؛ المقريزي: الخطط جـ ٤ ص ٢٩٢؛ حسن الباشا: مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية، ص ١٢٦؛ دولت عبد الله: معاهد تزكية التلاوس، ص٤٣.

Marcais. (G), art 'Ribat' EI. Vol.VII, P. 1230. Chabbi, art 'Ribat' EI. Vol. VII. PP. 510-523

(cvii) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٦٨؛ الدر الكمين، ص، رقم؛ السخاوي: الضوء، ج٢، ص٢٠٧، رقم ٥٥٥.

(cviii) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٥٢٥، ٥٣٤.

(cix) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص١١٩؛ شفاء الغرام، ج١، ص٢٣١؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٤٩.

(cx) رباط كلاله: أوقف هذا الرباط أبو القاسم بن كلاله الطبيبي عام ٦٤٤هـ/١٢٤٦م.انظر:- الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٣٣؛ العقد الثمين، ج١، ص١٢٠؛ ج٨، ص٩٠، رقم٢٩٧٦؛ ابن فهد: اتحاف الورى، ج٣، ص٦٤.

(cxi) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط- المغرب، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مج١، ص٣٩٣- ٣٨٦.

(cxii) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص١٥١، رقم ٢٤٠٩.

(cxiii) رباط السدرة : كان يقع في الجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل من باب بني شيبه. أنظر: الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٣٠.

(cxiv) الفاسي: العقد الثمين،ج٢ ص٣١٩، رقم ٤١٨؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٩٣؛ هشام محمد علي عجيمي: الرباط في مكة المكرمة، ص٢٢.

(cxv) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٢٦٦-٢٦٧، رقم ٣٧٨.

(cxvi) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٩٦.

(cxvii) فاسي: العقد الثمين،ج٣، ص١٠٧.

(cxviii) السخاوي: الضوء، ج١، ص٣٠٨؛ الغزي: الطبقات السنية، ج١، ص٧٨، رقم١٢٥.

(cxix) السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص١٩٣.

(cxx) أحمد آباد: مدينة كبيرة بكجرات قام السلطان أحمد شاه بإنشائها واتخذها مقرا لملكه: الحسيني: نزهة الخواطر، ج٣، ص١٤-١٥.

(cxxi) السخاوي: المصدر السابق، ج٣، ص٢٦٩-٢٧٠، رقم ١٠٢٠.

(cxxii) السخاوي: المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٢، رقم ٨٣٤؛ عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، ج٤، ص٣٣٩.

(cxxiii) السخاوي: المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٢، رقم ٨٨٣.

(cxxiv) السخاوي: المصدر السابق، ج١، ص٤٠٨.

(cxxv) ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٢٩٨؛ السخاوي: المصدر السابق، ج٢، ص١٧٩، رقم ٥٠١.

(cxxvi) السخاوي: المصدر السابق، ج٤، ص٥٣، رقم ١٦٢.

(cxxvii) السخاوي: المصدر السابق، ج٤، ص٢١، ٣٤.

(cxxviii) السخاوي: المصدر السابق، ج٤، ص٢٧١، رقم٧١٦.

(cxxix) السخاوي: المصدر السابق، ج٦، ص٧٣.

(cxxx) ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٣٠؛ السخاوي: المصدر السابق، ج٦، ص٩٦؛ ابن فهد: الدر الكمين ص١١١٢.

(cxxxi) السخاوي: المصدر السابق، ج٦، ص١٨.

(cxxxii) السخاوي: المصدر السابق، ج٧، ص٢٠٧.

(cxxxiii) السخاوي: المصدر السابق، ج٨، ص٢٧٩، رقم ٧٣٠.

(cxxxiv) السخاوي: المصدر السابق، ج١، ص٢١، رقم٦١.

(cxxxv) السخاوي. المصدر السابق، ج١٠، ص٥٣، رقم ١٨٧.

(cxxxvi) السخاوي: المصدر السابق، ج١٠، ص١٤٨، رقم ٥٨٧.

(cxxxvii) السخاوي: المصدر السابق، ج١٠، ص٢٠٣، رقم ٨٦٣.

(cxxxviii) السخاوي: المصدر السابق، ج١١، ص٧.

(cxxxix) السخاوي: الضوء، ج١، ص١٩٠.

(cxl) السخاوي: المصدر السابق، ج١١، ص١٢٤.

(cxli) السخاوي: المصدر السابق، ج١، ص١٥٠، رقم ٦٠٩.

(cxlii) السخاوي: المصدر السابق، ج١٠، ص٥٣، رقم ١٨٩.

(cxliii) التيسير في القراءات السبع: للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني.المتوفى: سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م . حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٥٠٢.

(cxliv) وهي القصيدة المشهورة في علم القراءات بالشاطبية. للشيخ أبي محمد القاسم بن فيره الشاطبي المتوفى بالقاهرة، عام ٥٩٠هـ/١١٩٤م. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٦٤٦.

(cxlv) السخاوي: المصدر السابق ، ج١٠، ص١٦٩، رقم ٧٠٨.

(cxlvi) السخاوي: المصدر السابق ، ج١١، ص١٥٤.

(cxlvii) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٤٤٧؛ السفر المكين، ص١٥٧، رقم ١٢٤؛ السخاوي: الضوء، ج٨، ص٥٦.

(cxlviii) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٥، ص١٤٧؛ الدليل الشافي، ج١، ص٢٧٢؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٨٢؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٨٣؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص١٢٧.

(cxlix) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٥٦، رقم٦٢٦.

(cl) السخاوي: المصدر السابق، ج ٢، ص٣٢١، رقم ١٠٤٠؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٦٥٢.

(cli) خالد محسن حمدان قجايري: الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٣٦.

(clii) السلطان غياث الدين أعظم شاه بن اسكندر شاه بن شمس الدين المتوفى عام ٨١٤هـ/ ١٤١١م له مآثر حسنة منها مدرسة في مكة وأخرى بالمدينة بجانب صدقاته العميمة لأهل الحرمين الشريفين. المقريزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج١، ص٤٢٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٩٠-٣٩١، رقم ٧٩٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٣١٣؛ التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٣٣، رقم ٥١٧.

(cliii) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص١٣٢١؛ النهروالي: الإعلام، ص١٩٩.

(cliv) عبد الله عبد الرحمن: التعليم في مكة، ص٦٩-٧٠.

(clv) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص١٣٢٠؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص٤٥٨-٤٥٩، رقم١٤٧٤؛ الدليل الشافي، ج١،ص١٣٥، رقم ١٧٣؛ النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٦٢٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٣١٣؛ التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٣٣.

(clvi) كليرجة: كنبركا وكليرقة: وهي ولاية من ولايات الهند وتطلق على مدينتها وحكامها مسلمون، وساحلها دابول "الديبل" وتقع في إقليم الدكن، وحكمها آل بهمان. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٢٩. السلطان شهاب الدين أبو المغازي احمد شاه بن أحمد بن حسن شاه بن بهمن المتوفى عام ٨٣٨هـ/١٤٣٤م تولى حكم كليرجه لمدة أربعة عشر عاماً سار فيها بأحسن سيرة واستقامة، وله مآثر عديدة.

المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص١٠٥٣؛ درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج١، ص٢٧٩، رقم ١١٩٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٦١.

(clvii) المقريزي: درر العقود الفريدة، ج١، ص٢٨٢؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص١٦٤٣؛ النهروالي: الإعلام، ص٢٨٥؛ هشام محمد علي عجيمي: الرباط في مكة المكرمة، ص١٨٤.

(clviii) السمهودي: وفا الوفا، ج١، ص٦٩٦؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص١٦١.

(clix) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٧٣. عام ٨٣١هـ.

(clx) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص١٢٤؛ السخاوي: الضوء، ج٨، ص٧٤، ١٣٨٠؛ وجيز الكلام، ج٢، ص٥٣٤-٥٣٥.

(clxi) الطبري: الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق أشرف أحمد الجمال، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦، ص٧٧. محمود شاه المعروف بمحمود بيكرو ت٩١٧هـ/١٥١١م تولى حكم كجرات عام ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م واستمر حكمه مدة ٥٥ سنة. عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٥٤-١٥٦.

(clxii) السلطان مظفر شاه بن السلطان محمود شاه ت٩٣٢هـ/١٥٢٥م انشأ بمكة مدرسة ومنزلا، وكان يرسل العطايا والأقمشة لأهل الحرمين الشريفين. العيدروس: النور السافر، ص١٩١-١٩٢؛ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١٥٧-١٦٠.

(clxiii) كنبلية: مدينة تقع على الساحل الغربي للهند في ولاية كجرات، وهي مدينة كمباي الحالية. الحميري: الروض المعطار، ص٤٩٦.

(clxiv) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤ ص٤٣٢؛ بلوغ القرى، ج٢، ص٢٨١.

(clxv) ابن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص٧٨٢-٧٨٣؛ السخاوي: الضوء، ج١٠، ص١٤٨؛ احمد دراج: "رسالتان متبادلتان بين سلطان مالوه والأشرف قايتباي"، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٤، مايو١٩٥٨.

(clxvi) الشيخ الإمام العارف القطب الأوحد أبو السعود بن أبي العشائر بن شعبان بن الطيب الواسطي البانياسي توفي يوم الأحد تاسع شوال عام ٦٤٤هـ/١٢٤٦م ودفن بسطح جبل المقطم. ابن الزيات: الكواكب السيارة، ص٣١٦-٣١٩؛ الشعراني: الطبقات الكبرى، ج١، ص٢١٦-٢١٧.

(clxvii) المقريزي: الخطط، ج٣، ص٦١٣-٦١٦.

(clxviii) نسبة إلى سوق يباع فيه الإبر التي يخاط بها وغير ذلك، فعرف بالأبّارين. المقريزي: الخطط، ج٣، ص٦٧.

(clxix) ابن الزيات: الكواكب السيارة، ص٣١٧

(clxx) الاتحاد: عبارة عن حالة نفسية تعرض للسالكين طريق الصوفية، وفيها ينكشف الحجاب عنهم، فيشهدون بأنفسهم أن المحب هو المحبوب، وأن الشاهد هو المشهود، وتلك حالة تغلب فيها العاطفة على العقل، والذوق على المنطق. انظر: عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٢٨.

(clxxi) أبو حفص عمر بن علي بن المرشد بن علي المشهور بابن الفارض حيث كان أبوه يكتب فروض القضاء على الرجال، توفي بالقاهرة عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م ودفن بسفح المقطم بمقامه ما زال موجودا هناك حيث بني عليه مسجد. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، ص٤٥٤- ٤٥٥، رقم ٥٠٠؛ الذهبي: العبر، ج٣، ص٢١٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٤٣؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص١٤٩.

(clxxii) أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد الشهير بابن أبي حجلة المتوفى في عام ٧٧٦هـ/١٣٧٥م. المقريزي: درر العقود، جـ٢ ص١١٠-١١١ رقم ٣٤٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، جـ١، ص٣٥٠، رقم ٨٢٦؛ إنباء الغمر، جـ١، ص٨١، ترجمة ١٩؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ٦، ص٢٥٩، رقم ٣٣٧؛ الدليل الشافي، جـ١، ص٩٦ رقم ٣٣٥؛ النجوم الزاهرة، جـ١١، ص١٣١؛ ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٦ ص٢٤٠-٢٤١.

(clxxiii) ابن حجر: الدرر، ج١، ص٣٢٩

(clxxiv) التائية الكبرى: هي قصيدة في ديوان ابن الفارض تسمى نظم السلوك ويبلغ عدد أبياتها ٧٠٠ بيتا أودع بها ابن الفارض أطوار الحب الإلهي. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٢٦٦.

(clxxv) الخانقاوات: ومفردها " خانقاة " وهي كلمة فارسية ومعناها البيت، وخصصت لإيواء الصوفية لعبادة الله. لوتس عبد الله: معاهد تزكية النفوس في مصر، ١٩٨٠،

ص٢٩؛ عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٧، جـ١ ص٢٣ وما بعدها.

Chabbi (G) art " Khankah , in EI.vol . iv.pp . 1057 – 1058

(clxxvi) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٤٠، رقم ٥٦٤.

(clxxvii) الخانقاه الناصرية: أنشأها السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون في ناحية سرياقوس بالقليوبية عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م وتعرف بخانقاه سرياقوس. المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٩١.

(clxxviii) شيخ الخانقاه: ووظيفته الإشراف على الخانقاه وعلى صوفيتها، فضلاً عن مسئولياته الدينية حيال نفسه وحيال صوفية الخانقاه، ومسئوليات اجتماعية فهو قدوة للصوفية في دينه وخلقه، وحياته العامة وفي سكناته وحركاته، لذا وجب عليه أن يديم في تشمير ذيله، وأن يقيم الصلاة، وأن يأخذ أهل الخانقاه من الصوفية بمأخذ حازم في الأمور الدينية والدنيوية وعليه تربية من يستجد من الصوفية في الخانقاه، ويساعده على التنقل من حال إلى حال، ويندرج مع المريدين على قدر ما تحتمله أفهامهم، وتشتمله من مطارف القوة أبدانهم، ولا يتعجل النهاية في كل أمر من هذه الأمور. ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٦٥- ١٦٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١١ ص٣٧٠- ٣٧٦؛ عبد الرحمن أبو رامز: شيخ الشيوخ، بالديار المصرية في الدولتين الأيوبية والمملوكية، ط١، عالم الفكر، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٥٠-٥١.

(clxxix) علم القراءات: هو " علم يبحث في صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، وهو يعتمد على العلوم العربية التي تعين على تحصيل هذه الملكة، وفائدة ذلك صون كلام الله تعالى من التغيير والتحريف، و يبحث أيضاً في الاختلافات غير المتواترة بما وصل إلى حد الشهرة ". طاش كبري زاده: مفتاح السعادة، ص٣٤٧؛ ابن الجزري: أسنى المقاصد، ص١٤؛ ابن خلدون: المقدمة، جـ٣، ص١٠٢٨؛ السيوطي: كتاب الفتاوي، ص١٢٦٧؛ إتمام الدراية، ص٥٣.

(clxxx) مدرسة سودون من عبد الرحمن: أنشأ هذه المدرسة الأمير سودون بن عبد الله من عبد الرحمن، المتوفى عام ٨٤١هـ /١٤٣٨م، بمنشأة خانقاة سرياقوس وتقام فيها

الخطبة، ورتب فيها صوفية، وفرغ من بنائها سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٣م، ولم يكن حولها من العمران إلا القليل، ثم عمر ما حولها. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٦، ص١٥٦.

(clxxxi) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٤٠-١٤١.

(clxxxii) البرد بكية: مدرسة الأمير برد بك الأشرفي بخط قناطر السباع تجاه جامع السيدة زينب. أنشأها الأمير برد بك الأشرفي الدوادار المتوفى عام ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م. السخاوي: الضوء، ج٣، ص١١؛ علي مبارك: الخطط، ج٦، ص٤.

(clxxxiii) السخاوي: الضوء، ج١، ص١٦٠.

(clxxxiv) مشيخة الشيوخ بدمشق وموضوعها: تحدث على جميع الخوانق والقراء بدمشق وأعمالها، وتعادة أن يكون متوليها شيخ الخانقاه السميساطية بدمشق، ولا يقبلها عن الغالب بتوقيع كريم. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠٠؛ ج١٢، ص٤٠٩.

(clxxxv) نسبة لتسميساطي أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى الحلبي الحنبلي من أكابر الرؤساء بدمشق توفي بها عام ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م. النعيمي: الدارس، ج٢، ص١١٨.

(clxxxvi) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٤، ١٩؛ النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج٢، ص١٢٢.

(clxxxvii) المدرسة النقوية: من أجل مدارس دمشق تقع شمال الجامع الأموي داخل باب الفرديس، بانيها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص١٦٢.

(clxxxviii) القلندرية: وصفهم المقريزي بقوله: " طائفة تنتمي إلى الصوفية، وتارة تسمي نفسها ملامتية، وحقيقة القلندرية أنهم قوم طرحوا التقيد بآداب المجتمعات والمخاطبات، وقلت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض، ولم يبالوا بتناول شيء من الشهات المباحة، واقتصروا على ركعة الرخصة، ولم يطلبوا حقائق العزيمة، والتزموا أن لا يدخروا شيئا، وتركوا الجمع والاستكثار من الدنيا ولم يتفشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا، وزعموا أنهم قد قنعوا بطيب قلوبهم مع الله تعالى، واقتصروا على ذلك وليس عندهم تطلع إلى طلب مزيد سوى ما هم عليه من طيب القلوب، والفرق بين الملامتي والقلندري، أن الملامتي يعمل في كتم العبادات، والقلندري يعمل في تخريب العادات، والملامتي يتمسك بكل أبواب البر والخير ويرى الفضل فيه، إلا أنه يخفي أحواله وأعماله، ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته، وملبوسه تستترا للحال، حتى لا يفطن له، وهو مع ذلك

متطلع إلى المزيد من العبادات. والقلندري لا يتقيد بهيئة ولا يبالي بما يعرف من حاله وما لا يعرف، ولا ينعطف إلا على طيب القلوب، وهو رأس مال. المقريزي: الخطط، ج٤، ص٣٦١.

(clxxxix) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢ ص١٧٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٩٤، رقم ١٤١٦.

(cxc) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، ج٢، ص١٥٩.

(cxci) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص١٠٣.

(cxcii) عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند، ص١٠.

(cxciii) دمامين : بلدة تابعة لإقليم قوص في عصر سلاطين المماليك، وهي الآن قرية المفرجية التابعة لمركز قوص محافظة قنا. ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، دار الآفاق العربية، بيروت، د.ت، ق٥ ص٣١؛ ابن الجيعان: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، القاهرة، ١٨٩٨، ص١٩٣.

(cxciv) ولد الدماميني بالإسكندرية عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م؛ وهو من أسرة جمعت بين العلم والرياسة والتجارة، حيث نبغ العديد من أفرادها وكانوا رؤساء تجار لكارم، كما تولوا قضاء ومحتسبية الإسكندرية، وتولى الدماميني بعدة مدارس بالإسكندرية وتولى خطابة الجامع الغربي، وكان له دولاب منسج للحياكة ولكن شب حريق بداره ذهبت أمواله وكثرة ديونه مما جعله يترك الإسكندرية ويستقر به المقام بالهند. السخاوي: الضوء اللامع، جـ٨ ص١٨٤-١٨٥ رقم ٤٤٠.

(cxcv) أيوب تاج الدين. " اللغة العربية وعلمائها في الهند"، مجلة ثقافة الهند، مج٤٨، العدد ١-٢، ١٩٩٧م، ص٦٥.

(cxcvi) الشيخ الإمام العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري النحوي. المتوفى عام ٧٦١هـ/١٣٥٩. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٧، ص١٣١-١٣٢، رقم ١٣٥٤.

(cxcvii) الشيخ جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف، المعروف بابن هشام النحوي. المتوفى سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢ ص١٧٤٧.

(cxcviii) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢ ص١٩٩٨.

(cxcix) ابن مالك: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي الجياني، توفي بدمشق ٦٧٢هـ/١٢٧٤م. ابن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣ص٣٥٩-٣٦٤؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج٣ص٤٥٢-٤٥٤؛ السيوطي: بغية، ج١ص١٣٠-١٣٧.

(cc) محمد بدر الدين بن أبي بكر بن عمر الدماميني (٧٦٣-٨٢٧هـ/ ١٣٦٢-١٤٢٤م): تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، تحقيق محمد بن عبد الرحمن المفدي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م؛ حاجي خليفه: كشف الظنون، ج١، ص٤٠٦.

(cci) الدماميني تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، ص٢٤.

(ccii) للامام، ضياء الدين أبي محمد الخزرجي عبد الله بن محمد المالكي، الأندلسي. حاجي خليفه: كشف الظنون، ج٢، ص١١٣٥.

(cciii) حاجي خليفه: كشف الظنون، ج١، ص٦١٣.

(cciv) حاجي خليفه: كشف الظنون، ج٢، ص١٢١٥؛ ١٢٩٣.

(ccv) لمؤيد الدين أبي إسماعيل الحسين بن علي فخر الكتاب الحميد الطغرائي المتوفى سنة ١٤ه‍/١١٢٠م.

(ccvi) حاجي خليفه: كشف الظنون، ج٢، ص١٥٣٧.

(ccvii) حاجي خليفه: كشف الظنون، ج٢، ص١٧٨١.

(ccviii) الدماميني: مصابيح الجامع، تحقيق نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، ج١، ص٩- ١٠.

(ccix) المقريزي: درر العقود، ج٢ ص٤٣٦، رقم ٧٤١.

(ccx) كتاب حياة الحيوان الكبرى، للشيخ، كمال الدين: محمد بن موسى بن عيسى الدميري الشافعي المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م. السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٥٩، رقم ٢٠٤.

(ccxi) حاجي خليفه: كشف الظنون، ج١، ص٦٩٦.

(ccxii) المقريزي: السلوك، جـ٤ ق٢ص٧٠٢؛ ابن حجر: أنباء الغمر، جـ٣ ص٣٦١-٣٦٢، ذيل الدرر، ص٢٠٤ رقم ٥٩٩، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ٢ ص٥٨٣-٥٨٤ رقم ٢٠٠٣، النجوم الزاهرة، جـ١٥ ص١٢٨؛ السخاوي: الضوء، جـ٧ ص١٨١ رقم ٤٤٠؛ السيوطي: بغية الوعاة، جـ١ ص٦٦-٦٧ رقم ١١٣؛ حسن المحاضرة، جـ١

ص٥٣٨؛ الشوكاني: البدر الطالع، ص٦٦-١٦٧ رقم ٤٢٨؛ ابن القاضي: درة الحجال، جـ٢ ص٢٨٦، رقم ٨٠٦؛ ابن إياس: بدائع، جـ٢ ص٩٨-٩٩؛ شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص٣٥٧؛ محمد عيسى صالحية: المعجم الشامل، جـ٣ ص٣٤٣؛ حاجي خليفة، كشف الظنون جـ١ ص١٧٥١؛ عبد العال سالم مكرم: المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠، ص٣٧٢-٣٧٣.

(ccxiii) السخاوي: الضوء، ج٦ ص٩٧، رقم ٣١٨؛ ابن فهد: الدر الكمين، ص١١١١، رقم ١١٠٩.

(ccxiv) نسبة لتروجة من نواحي الإسكندرية. ابن الجيعان: التحفة السنية، ص١٢٤.

(ccxv) القاسمي: العقد الثمين، ج٣، ص٤٣-٤٤، رقم ٥٥٣؛ السخاوي: الضوء، ج١، ص٢٠٧-٢٠٨.

(ccxvi) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤ ص١٥٧٦؛ السخاوي: الضوء، ج١١، ص٤٦-٤٧، رقم ٩١٨.

(ccxvii) السخاوي: الضوء، ج٩، ص٩١-٩٢، رقم ٢٥٤.

(ccxviii) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١٠، ص١٣٦؛ العيدروس: النور السافر، ص ١٠٢-١٠٣.

(ccxix) السيوطي: حسن المحاضرة ج١ ص٣٣٨.

(ccxx) المقريزي: درر العقود، ج٢، ص٧٩-٨٠، رقم ٤٥٥؛ القاسمي: العقد الثمين، ج٤، ص٣٢٩، رقم ١١٤٤؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص١١٨٠؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص١٢٠٢ وبيوض الكلام، ج٢، ص٤٥٤؛ التحفة اللطيفة، ج٢، ص٢٣.

(ccxxi) السخاوي: الضوء، ج٦، ص٧٢-٧٣.

(ccxxii) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٣، ص١٠٦٢؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج٤، ص٨٧.

(ccxxiii) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص٤٢٨.

(ccxxiv) ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص١٤٠٦ السخاوي: الضوء، ج٩، ص٢٩١، رقم ٧٥١.

موانئ السواحل الغربية والجنوبية لآسيا الصغري في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي

د. أشرف سمير توفيق
مدرس بكلية دار العلوم جامعة المنيا

مقدمة : في مستهل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي اتجه التركمان[1] من وسط آسيا نحو غرب الأناضول، وشرعوا في عملية تتريكها بأعداد كبيرة [2] لذا قطن الكثير من قبائل التركمان في مناطق الحدود الغربية والجنوبية وذلك بعد اضمحلال دولة سلاجقة الروم[3]. ودخولهم تحت حكم المغول المعروفين

---

(1) التركمان : مصطلح ظهر في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي يطلق على بطون من قبائل الغز التركية، واكبت الفتح المغولي لآسيا الصغرى و ساهمت فيه بفعالية، وتميزوا عن السلاجقة بأنهم عناصر من البدو الرحل الناطقين في الشيلم و المحترفين لرعي المواشي، والمقاومين لأي فكرة تؤمن الى اقامة دولة نظامية، كان هدفهم التوسع و الجهاد و كسب المزيد من الاراضي الصالحة للرعي و يعيشون فيها لمدين حسب عاداتهم و تقاليدهم (انظر: العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق فهيم شلتوت، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ١٩٩٨م، صـ ٢٦، وانظر العريني: المغول، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، صـ ٩٨، (Grand larousse:aucge lpediue , 2 vols paris.1974.p.35-50)

(2)Turan Osaman: SelGukiular zamanida turkiye, Istanbul, 1996, p.651

(3) دولة سلاجقة الروم، مؤسسها سليمان بن قتلمش بن ارسلان بن سلجوق عام ٤٧٠هـ / ١٠٧١م، ونقلت عاصمتها من نيقية الى قونية بعد استيلاء الصليبيين على نيقية عام ٤٩١هـ / ١٠٩٧م ونقلت هذه الدولة تلعب دورا هاما في حروبها مع الصليبيين عامة، وحافظت على كيانها وقوتها حتى اواسط القرن السابع الهجري ثم انتاب هذه الدولة خطر المغول من ناحية ايلخانات فارس فضاع استقلالها تدريجيا حتى اصبحت جزءا من دولة

بالإيلخانيين[1] ، وحكم هؤلاء المغول الأناضول وعينوا عليه من قبلهم والياً يدير أمره، ولكن بدأت تتشكل على الحدود الأبعد عن وسط آسيا الصغرى[2] إمارات تركمانية،

إيلخانات فارس في أوائل القرن الثامن الهجري، وعينوا عليها منذ سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م ولاة من قبلهم (انظر : ابن الأثير: التكامل في التاريخ، تحقيق ليبي الفداء، عبد الله القاضي: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م، جـ ١٢، ص ١٠٠، ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق، ١٩٦٨ م، جـ ٢، ص ٩٨

المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، نشره محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٧١م، جـ٢ ق١ ص١٨٦ هامش (٩)، احمد السعيد سليمان تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة، دار المعارف، مصر د. ت، جـ١ ص ٣١٥).

(٤) الإيلخانيون: هو مغول ايران وراس تلك الاسرة هولاكو بن طولي بن جنكيز خان و تضم ايران و العراق و الجزيرة وآسيا الصغرى، وقامت هذه الدولة سنة ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م، وانتهت الى سنة ٧٥٤ هـ، ١٣٥٦م تقريبا ويطلق على حكامها لقب ايلخان، وهو مصطلح مغولي معناه القاطع لخان (الملك الاكبر) (وانظر القلقشندي: صبح الاعشى في صناعة الانشاء، شرحه وعلق عليه: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م . جـ ٤ ص ٤١٩، احمد السعيد سليمان تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة، جـ ٢، ص ٤٨٠ – ٤٨٣)

(٥) آسيا الصغرى : يحدها من الغرب بحر الروم (بحر الابيض المتوسط) وبحر القرم (البحر الاسود)، وجنوبا بلاد الشام والجزيرة، وشرقا تحدها ارمينية، وشمالا بلاد الفرنج وبحر القرم، وتميزت بموقعها الفريد بين آسيا من جهة واوربا من جهة اخرى (انظر : ابوالفداء : تقويم البلدان، باريس ١٨٤٠م، ص٣٨٧، وتحدها المصري بانها البلاد المحصورة بين، بحري القرم شرقا وخليج القسطنطينية غربا وثغريتها الشمالية التي القسطنطينية وتنتهي جنوبا الى بلاد الارمن (انظر : المصري التعريف بالمصطلح الشريف، مصر، ١٣١٢هـ / ١٩٨٤م، ص٩٧، وانظر القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشاء، جـ٥ ص٣٢٢) .

حيث كان لبعضها جذور عميقة عرست بذورها بواسطة وزراء ومسئولين سابقين في دولة سلاجقة الروم، مستغلة ضعف السيطرة المغولية، ومجاورتهم للحدود البيزنطية فتوسعوا كثيراً على حسابها، مطلقين صيحات الجهاد، ومشكلين تجمعات قبلية ما لبثت ان تحولت إلى إمارات وممالك[3]، أطلق عليها ملوك الطوائف، يعرف بعضها بأسماء مؤسسيها مثل: آيدين وصاروخان، وقرمان، ومنتشا، وانيحض الأخر باسم عواصمها مثل قوكه، ومغنيسيا، وكوتاهية، ويبدو أن الإمارات التركمانية بدأت بالتوسع والانتشار نحو مناطق الحدود، التي كانوا يسمونها أوج أو العواصم[4] باعتبارها متاخمة للحدود

---

(٦) اختلفت المراجع في تقدير عدد تلك الامارات بسبب عدم الاستقرار الذي ساد آسيا الصغرى، فهناك من قال انها عشر امارات، وقيل انها ست عشرة امارة (كوبريلي: قيام الدولة العثمانية، نقله للعربية احمد السعيد سليمان، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، مقدمة المترجم، ص ٢١، انظر احمد السعيد سليمان تاريخ الدول الاسلامية، جـ٢ ص ٣٨٧)، ومن قال انها احدى عشرة امارة، ومن قال انها كم هلال دون تحديد رقم معين

Bol,lein: the successors of the seljuks in Asia Minor, JARAS, 1882,P.773

Combridg History of Islam, Combridge the university, press,vol.) (14. P.26)

(٧) الاوج: كلمة تركية تعني الحدود، وكان يتم فيها توطين عشائر تركمانية للدفاع عنها، ويطلق على زعيمهم "أوج لكي" اي حاكم الحدود، ومنحوا صلاحيات واسعة للاغارة على الاعداء والحصول على الغنائم، وادارة شئونهم الداخلية، مع اعترافهم بسلطة الدولة، ودفع الضريبة لها (انظر: ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، بيروت، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، ط١٩٧٠م، ص١٨٥، عثمان لوران: الاناضول في عهد السلاجقة والامارات التركمانية،ترجمة: علي محمد الشامي، مكة المكرمة، ط١٤١٨،١هـ/ ١٩٩٧م ص ٥.

البيزنطية[٨] مما أتاح التركمان فرصة الخروج على سلطة المغول، بين الفينة والأخرى.[٩]

وتميزت هذه الإمارات بموقعها الفريد، فكانت حلقة وصل بين آسيا من جهة، وأوربا من جهة أخرى، كما كانت جسراً بين دولة المماليك في الجنوب، والمناطق الواقعة شمال البحر الأسود[١٠]. وسيطر التركمان على موانئ هامة في الساحل الجنوب الغربي لآسيا الصغرى، ولذا ليس من المنتظر من جيرانهم المسيحيين أن يتجاهلوا أمراء التركمان بآسيا الصغرى وهم مسلمون، ولا يظنون عن الأيوبيين أو المماليك خطراً على الصليبيين والدول المسيحية الغربية، خاصة وأن معظم أمراء التركماني نظروا إلى جيرانهم المسيحيين نظرة عدائية صريحة، وشنوا عليهم حرباً بحرية من خلال امتلاكهم لهذه الموانئ، فقطعوا الطريق على سفنهم وتجارتهم وأصبح دينهم جهاد من جاورهم من الكفار[١١] ولذا كانت هذه المنطقة تستحق معالجة خاصة، بحكم موقعها واتصالها بالغرب الأوربي، حيث كانت مسرحاً لحوادث ومعارك فاصلة، شكلت ملمحاً سياسياً واقتصادياً لشواطئ آسيا الصغرى الغربية والجنوبية.

الساحل الغربي لآسيا الصغرى :

نتيجة تمركز أغلب الإمارات التركمانية في الجانب الغربي لآسيا الصغرى، التي سيطرت على عدة موانئ ذات موقع استراتيجي مهم، مما أدى إلى فتح طرق تجارية جديدة للمنطقة، وانتعاش لطرق قديمة، وورث التركمان عن المسلاجقة والمغول

---

(٨) العمري: مسالك الابصار في ممالك الامصار، طبعة بالتصوير فؤاد سزكين، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨، ج٣، صـ١٥٤-١٦٧.

(٩) Cahen,claud: "the mougols and the near east " section , A history of the crusades , V2 , p.729

(١٠) كوبريلي: قيام الدولة العثمانية، صـ٩١، احمد نوني عبدالطيف: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم، دكتوراه، كلية الاداب، جامعة المنيا ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، صـ٣٢٦.

(١١) العمري، مسالك الابصار، ج٢ ق٢ صـ ٣٥٦.

في مجال التجارة عملية اجتذاب رؤوس الأموال الأجنبية، وذلك بتشجيع التجار الأجانب على القدوم إلى المنطقة وممارسة نشاطهم التجاري[١٢] مما سينعكس بالإيجاب على التجارة المحلية داخل إماراتهم، أو على نشاط الحركة التجارية الخارجية، ومرورها عبر تلك الموانئ التي تخترق آسيا الصغرى.

وعند التتبع لتلك الموانئ، بدءاً من الساحل الغربي، نجد أن من أهم موانئ ذلك الساحل ميناء (أطولوجو)[١٣] وهذا الميناء مقام على مدينة أفسوس أو ايفسوس[١٤] ثم عرفت باسم (أياسلوق أو أياثلوخ أو أياسليغ) وهذا الاسم أطلق عليها زمن الرحالة ابن بطوطة[١٥]، عندما زار منطقة آسيا الصغرى، عام ٧٣٣هـ/١٣٣٣م،

---

(١٢) متعب حسين: تركيا في عهد المغول، ايتراك للطباعة والنشر، القاهرة ط١، ٢٠١٠م، صـ ٨٨٩.

(١٣) الطولوجو او تولوجو: هو اسم تركي معرف من الاسم اليوناني (Agiou the ologou) تنقسم الى مقطعين، الاول (الطو) Aito يعني المرتفع، و الثاني (لوجو) (Lugo) تعني المكان، اي المكان المرتفع، ويبدو هذه التسمية صحيحة لان مدينة افسوس قمقام عليها هذا الميناء في العصور الوسطى لم تكن في موقعها القديم بسهل كايستروس وانما كانت فوق جبل (انظر: هايد : تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى، ترجمة احمد رضا محمد، الهيئة المصرية العامة لتكتاب، ١٩٩٦م، ج٢ صـ٢٠٢ وانظر دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة احمد الشنتناوي واخرون دار الفكر ١٩٣٣، م٣ مادة (ايسلوق) صـ ١٧٠-١٧١).

(١٤) استرنج : بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥، صـ١٨٨، ويذكر البغدادي: ان افسوس بلد بثغر طرطوس يقال هو بلد اصحاب اهل الكهف (انظر: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م صـ١٠١).

(١٥) انظر رحلة ابن بطوطة المسمى تحفة النظار في غرائب الامصار، شرح طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، صـ ٣١٨

ويقع هذا الميناء على نهر يسمى كايستروس المعروف حاليا باسم (كوجك مندرس جاي)[١٦] وعلى جانبي هذا النهر أشجار متنوعة، وبوالي عنب، وحدائق ياسمين، وكان هذا النهر يشق مدينة أياسلوق إلى البحر المتوسط[١٧].

وشيدت مدينة الطولوجو على صخرة تشرف على قرية أياسلوق وذلك تيسيراً للدفاع عنها، وشملت هذه المدينة كنيسة، كانت بها، تسمى كنيسة يوحنا اللاهوتي، حيث تحول باقي الكنيسة إلى سوق للتركماني، يبيعون فيه القطن والكتان والقمح[١٨]، بل جعلها المسلمون مسجداً جامعاً لهم.[١٩]

وفي الشمال من ميناء الطولوجو ميناء آخر، لا يقل أهمية عن ذلك الميناء، حيث اعتبره ماركو بولو[٢٠] الميناء الرئيسي لبلاد المشرق، وكان مركزاً تجارياً يؤمه كثير من التجار الأوربيين والإغريق والقبارصة، هو ميناء أزمير (سميرنا) وكان كلا الميناءين ضمن ممتلكات إمارة أيدين التركمانية[٢١] وشهد هذان الميناءان نشاطاً

---

(١٦) لسترنج : نفس المصدر، ص ١٨٨.

(١٧) دائرة المعارف الاسلامية : م٣ مادة (ايلسلوق) ص ١٧٠-١٧١)

(١٨) Relation rhenana: de la fin duxivsi, cle,publiee dans orient und occidant, de Benfey, p.637

(١٩) ابن بطوطة : الرحلة، ص ٢١٨

(٢٠) انظر : رحلات ماركوبولو، ترجمة عبدالعزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ١ ١٩٩٥م، ج١ ص٤٨

(٢١) بنو ايدين: المؤسس الفعلي لهذه الامارة، هو مبارز الدين بك بن ايدين بك وكان احد قادة جيوش قرمان في عهد زعيمهم يعقوب بك، وتولى مهمة فتح المناطق البيزنطية المحاذية لبحر ايجة، وبعد ان نجح في تلك لستقر في المناطق الواقعة غرب الاناضول، واستقل بامارته عن امارة قرمان، وبدا يتوسع في حدود دولته لضم مناطق وبدنا مهمة الى دولته انتزع بعضها من البيزنطيين والبعض الاخر من الامارات التركمانية المجاورة، ومن المدن التابعة لهذه الامارة "ايلسلوق"، ازمير (سميرنا)، وكوزل حصار، وبرغي، والاشهر، وقويا، وكان الامير مبارز الدين محمد مقر حكمه بيرغي وهي مدينة وراء نهر كايستروس، وكان

للحركة التجارية الخارجية ومرورها عبر الطرق التي تخترق آسيا الصغرى، والذي انعكس بصورة إيجابية على التجارة المحلية والدولية حتى وإن كانت التجارة الدولية من النوع الذي يطلق عليه تجارة العبور - الترانزيت-

ويمكن القول بأن تجارة هذين الميناءين كانت مزدهرة، إلى حد ما، برغم موجات المتعلقة بعدة أزمات نتيجة للأوضاع الأمنية والعسكرية، حيث من البديهي أن تكون لتلك الأوضاع آثار سلبية على التجارة، وإن كانت محدودة ، حيث عانت التجارة في ميناءي الطولوجو وأزمير من عدة انقطاعات، وهذا راجع إلى الغارات التي كان يقوم بها أمراء أيدين – الأمير خضر بك أمير الطولوجو، والأمير عمر بيك حاكم أزمير[٢٢]. حيث عمل هذان الأميران على إخضاع الجزر المجاورة لهم[٢٣]، فأطلقوا

له عدة ابناء اقتسم معهم في حياته قسما من امارته، فجعل ولده خضر بك على ايلسلوق، والاخر عمر بك المعروف (باسور بك) على ازمير (سميرنا)، اما سليمان قفز الى صهوة السلطان فرخان بك من بني عثمان، وابراهيم بهادر فلك جعله على مدينة لوذاميا، فيما بقي ابنه الاصغر عيسى بك معه في تعاصمه بركى (انظر: زامباور: معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، اخرجه زكي محمد حسن وحسن احمد محمود واخرون، دار الرائد العربي، بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، ص٣٢٧. احمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الاسلامية، ج٢ ص ٣٩٩، دفرة المعارف الاسلامية، مادة ايدين، م٣ ص ١٨٧.

Ahmed tewhid 'RumseiGuid Devaietl 'nin Inkerazly Ia tesekkul touif muluk (to Fm) , I/1. 1326, p.35-40

Himmet Akin: Aydin ogullari tarihi Hakkfnd Bir Arastima, Ankara, 1968, p.12-14-22-23

(٢٢) الامير عمر بك تولى الحكم بعده وفاة مبارز الدين محمد بك والده، وكان يسير على نفس سياسة ابيه في محاربة اعدائه، وقد هجموا صليبيا على امارته ازمير مما سياتي ذكره، واتفق مع بني صاروخان – امارة تركمانية مجاورة – على توحيد الجهود ضد اعدائهم النصارى الاوربيين

Ahmed tewhid :. RumseiGuid Develt.1/3 / p. 120

لساطيلهم الحربية، المزودة بالعتاد والأسلحة، على جزر الأرخبيل الكبيرة والصغيرة [٢٤] وتخريبها، وينسخ من جرأة أساطيل أمراء أيدين أن تطوف بسواحل الإمبراطورية البيزنطية، وجزيرة أمورا (المورة) وبوتيه، وخليج كورنثوس[٢٥]، ووقفوا في اقتحام البلقان عدة مرات[٢٦] حتى اضطر أمير نجربونت من دفع الجزية لهم[٢٧]، كما هاجموا مدينة قوجه – على ساحل البحر بأيدي الجنويين–.[٢٨]وهاجموا جزراً في بحر ايجيه

Ahmed tewhid: saruhan ve Aydin- ogullari (tolMenz), Istanbul, 1929, p.47-49

(٢٣) دائرة المعارف الاسلامية، م٣ صـ ١٧١.

(٢٤) جزر الارخبيل : الارخبيل احد اشكال سطح الارض وهي مجموعة جزر متقاربة ومتجاورة، والكلمة لها اصل يوناني (ارخبيلاكوس) وتعني البحر الرئيسي، وهو الاسم التاريخي لبحر ايجة، ويعتقد ان التسمية اشتقت من ذلك البحر بالذات لامتلائه بالجزر المتجاورة وكانت هذه الجزر تحت ادارة فينيقية حيث اقاموا امارة خاصة بها يرأسها عمداء وكان لها سفن حربية تتولى حماية تلك الجزر من غارات الترك (انظر : هايد : تاريخ التجارة في الشرق الادنى، جـ ٣ صـ ١٣٢).

(٢٥) كورنثوس : مدينة باليونان تقع وسط جنوب البلاد وهي تصل شبه جزيرة المورة باليونان انظر (مادة كورنثوس على موقع (ar.m.wikipedia.or)

(٢٦) احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية، جـ٢ صـ٣٩٦، البلقان شبه جزيرة تحاط بمنطقة بحار هي: البحر الايوني والبحر الاطريقي من الجنوب الغربي، ومن الجنوب البحر المتوسط ومن الجنوب الشرقي بحر ايجه ومرمرة، كما تحاط من الشرق بالبحر الاسود (انظر Bar bara jelavich, history of the Balkans : eighteenth and nineteenth centuries , Combridge university press , Melbourne 1983 , p.1.ISBN 978-0-521-27458-6

(٢٧) نجربونت(نقريبون) : مركز مستعمرات فينيقية في جزر الروم ا هي جزيرة واقعة في بحر ايجه (انظر Maulatric , histoire del , ile de shypresous le regne des princes de la maison de lusignan , Paris , MDCCL , vol 2 , p 217)

(٢٨) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، صـ ١٨٨.

واستولوا على بعضها ومنها : بورتآيا، وأعريبوس ، وتصورا[٢٩] ، وحصلوا من هذه الغارات على غنائم وسبايا كثيرة وجابت سفنهم البحار فرحفت لها المدن[٣٠] وهددوا بذلك التجارة المسيحية تهديداً مباشراً [٣١].

واعتبر أمراء أيدين، من خلال تحكمهم في موانئ الساحل الغربي لآسيا الصغرى (انطولوجو – ازمير) أن الإغارة على تلك الدول المسيحية المجاورة لهم، هي نوع من الجهاد في سبيل الله، فيذكر ابن بطوطة [٣٢] في رحلته عن عمر بك (لموريك) أمير أزمير" أنه كان كثير الجهاد وله أجفان غزوية – نوع من السفن الحربية– يضرب بها على نواحي القسطنطينية العظمى فيسبي ويقتني في ذلك كرماً وجوداً ثم يعود إلى الجهاد"، ومثلت هذه الضربات، التي قام بها أمراء أيدين، تهديداً واضحاً للقوى الأوروبية الغربية، على تجارتها ومواصلاتها، واعتبرتها نوعاً من القرصنة ، فاستشعروا الخطر من جانب بني أيدين، حتى تمنت تلك القوى اللحظة التي يتمنى لهم فيها طرد هؤلاء التركمان من شواطئ آسيا الصغرى، ودفعهم إلى داخلها[٣٣].

ومع تكرار ضربات بني أيدين على القوى الغربية المسيحية، والتهديدات المستمرة لسفنهم وتجارتهم، قام دوق البندقية برفع الأمر إلى البابا يوحنا الثاني

---

(٢٩) Ahmed tewhid : RumaeiGuld Develeti. 1/3. p.42-43

(٣٠) يذكر ابن فضل الله العمري ان بني ايدين لهم اسطول مرهوب الجانب في البحر، ولهم مع اعدائهم بواسطته حروب كثيرة (انظر: مسالك الابصار، جـ٢، ق٢، صـ ٣٥١-٣٥٢).

(٣١) هايد : تاريخ التجارة في الشرق الادنى، جـ٢، صـ ٥٣٨.

(٣٢) انظر: رحلة ابن بطوطة، صـ٣١٩.

(٣٣) هايد: نفس المرجع، جـ ٢ صـ ٢٠٧، يرى بعض المؤرخين ان الحروب البحرية يكسوها ويغلب عليها طابع القرصنة حتى يصعب على الكثير التفرقة بين تلك الحروب واعمال القرصنة (انظر: سعيد عاشور: الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٣، ٢٠٠٣م، ص٧٢).

والعشرين (٧١٦-٧٣٤هـ/١٣١٧-١٣٣٤م) الذي أمر بتأليف حلف سمي بالاتحاد المقدس، يضم القوى التي يهمها الأمر مثل دوق البندقية (ملهم الحركة) وإمبراطور القسطنطينية (أندرونيك الثالث) (٧٢٨-٧٤٠هـ/١٣٢٨-١٣٤١)[34] وملك قبرص (هيو الرابع) (٧٠٠- ٧٢٥هـ/١٣٠١- ١٣٢٤م)، وفرسان رودس[35] وصادف وقتذاك أن ملك فرنسا (فيليب السادس) كان يعد لحملة صليبية جديدة، فوجدت البندقية الفرصة في ذلك، وأوفدت عام ٧٣٤هـ/١٣٣٤م رسولين إلى فرنسا لإقناع الملك فيليب بالانضمام إلى الحلف الجديد[36]، وتمخض عن هذا الاجتماع اتفاق مضمونه أن

(34) يذكر ان عمر بك الايديني وقف بجانب الامبراطور البيزنطي اندرونيك الثالث في صراعه ضد الجنويين، حيث امده بقوة بحرية، فاستطاع انتزاع جزيرتي ميتلي وفوتا من الجنويين، ومكافأة له تسلم عمر بك من البيزنطيين جزيرة صقزص، كما امد له يد العون مرة اخرى عندما طلبه بمساعدته لاخماد ثورة قام بها الالبان، واشترك معه ايضا في غزوة لمدينة اثينا عاصمة اليونان، وغزا معه سواحل البحر الاسود نواحي كيلي واقتش، غير ان تلك العلاقات وفوائدها لم تتقلب دائما على دعوة الدعاة للحروب الصليبية اذ كان هدفهم الاساسي ضرورة سحق قوة الاتراك لتحقيق الهدف الصليبي. (انظر : Ahmed Tewhid : RumselGuki, 1/3. p.209.Kaprulu: Anadolu Beylikleri Tarihi Is Not Iar.1928:p.120-122

(35) فرسان رودس: هم فرسان الاسبتارية الذين قاموا بدور في بلاد الشام في خدمة القضية الصليبية، وعندما زالت دولة الصليبيين بالشام غادروها الى رودس ليواصلوا نشاطهم العدائي ضد المسلمين في شرق حوض البحر المتوسط (انظر: عبدالرحمن الرافعي وسعيد عاشور: مصر في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، صـ٥١٤).

(36) استطاع دوق البندقية اقناع ملك فرنسا بانه سيحتاج من اجل تموين جيشه ان يضمن حرية مواصلاته، وصلاته بمستودعات الحبوب على سواحل البحر الاسود، وان هذه المواصلات مهددة من امراء ايدين انا لم يضع حدا لجرأة هؤلاء التي تشتد اعمال قرصنتهم على السواحل يوما بعد يوم (انظر : هايد : نفس المرجع، جـ٢ صـ٢٠٧، عاشور : قبرص والحروب الصليبية صـ ١٣٥)

يجهز للحلف حملتين ضد تركمان بني ايدين، الحملة الأولى عام ٧٣٤هـ/١٣٣٤م لتكون بمثابة حملة تمهيدية، يخرج فيها أسطول مكون من أربعين سفينة لتطهير البحر من السفن التركية، استعداداً للحملة الثانية التي تتألف من اثنتين وثلاثين سفينة حربية، ومثلها من ناقلات الجنود لحمل ثمانمائة محارب، وراوا وجوب مساهمة إمبراطور القسطنطينية، وملك صقلية بعدد من السفن، وان لم يفعلا قامت بينزا وجنوا بمد ما عساه أن يكون من عجز في عدد السفن[37].

وبهذا التحالف تم الإعداد للحملة الأولى، وتحركت السفن الأوروبية عام ٧٣٤هـ/١٣٣٤م لتطهير البحر من التركمان، وصادفوا سفن التركمان التي كانت بقيادة شخص يدعى (إياكشي) وكان وقتذاك يجوب بحر إيجه، فلما علم إياكشي بأن السفن الأوروبية تمروا بعض سفنه عقد كاستداوا، وأنهم جادون في البحث عنه، فر بسفنه إلى منطقة تسالونيا، وفي أعقابه الأسطول الصليبي، حيث التقى الخصمان في شهر سبتمبر من العام نفسه وانتهى الأمر بتدمير معظم السفن التركمانية، وأغرقوا لهم عدداً من أساطيلهم في خليج أزمير، ووصل الأمر إلى أن قوة من الصليبيين نزلت إلى البر، وأحرقت قلعة أزمير، ورجع الصليبيون إلى بلادهم.[38]

وأثناء الاستعداد للحملة الثانية، وافق ذلك موت البابا يوحنا الثاني والعشرين، فأهمل ذلك التحالف فترة من الزمن، مما أوعز لأمراء أيدين بالإغارة مرة أخرى على تلك الدول، تلثأر مما فعلوه، وخاصة أنه لم يعد هناك من يتصدى لهم، حتى تولى البابوية البابا (كليمنت السادس) (٧٤٢-٧٥٢هـ/١٣٤٣/١٣٥٢م) الذي أحيا التحالف

(37) عاشور: نفس المرجع، صـ ١٣٥-١٣٦، سالم الرشيد : محمد الفاتح، مكتبة الارشاد، جدة، ط٢، ١٩٦٩، صـ ٢٤

Atiya, (A.S) : The Crusade in the later Middle Ages, London, 1938. P.112

(38) هايد : نفس المرجع، جـ٢ صـ٢٠٨، عاشور : قبرص والحروب الصليبية، صـ ١٣٦ – Atiya: opcit, p.112-113

مرة أخرى[٣٩]، فوجه نداءاً إلى ملك قبرص، والبرنيس الأكبر لفرسان الاستبارية، ولجمهورية البندقية، للقيام بحملة جديدة ضد بني أيدين [٤٠]، ونظم الحلفاء أسطولاً ضمّه عشرين سفينة، أسهم فيه البابا وملك قبرص بأربع سفن، وفرسان رودس بست سفن، والبندقية بالباقي[٤١]، وعهدوا بالقيادة إلى شخص يدعى (مارتينو زكاريا)، واختار زكاريا هذا مدينة أزمير (سميرنا) هدفاً لهجومه، ولم يكن اختياره لها اعتباطاً، ولكن لأنه يراها أكبر مركز لتقاطع القوافل التركمان، ولعلمه بقوة بأس أميرها عمر بك الأيديني[٤٢]، وحسبنا وصف العمري[٤٣] عن رجال تلك المدينة بأنهم أهل حرب وكفاح، ضج البر والبحر من حروبهم مع الفرنج، وأن كل ملوك الأتراك في عز الكفار عليهم عيال".

---

(٣٩) يذكر ان مركز البابوية كان له قوة والسلطة والتأثير في الحكم الديني والسياسي ولاسيما منذ بداية تأسيس كرسي البابوية في روما، وخاصة بعد تقسيم الامبراطورية الرومانية، وجعل القسطنطينية قاعدة لحكم الامبراطور، لتظل روما تعاني من حالة تفراغ السياسي للحاكم والذي شغله ويسيطر عليه منصب البابوية، وظل الحال حتى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي حيث الت قرارات البابوية على نواح عديدة في الحياة، وتظهر دورها في تشجيعها قرارات الحرمان عندما حاولت تشجيع الحملات الصليبية ضد المسلمين، وكسر اقتصاد دولة المماليك، ودورها ايضا في بدايات الحركات الكشوف الجغرافية (انظر: ايلاف عاصم مصطفى : دور البابوية والفرنسة في شل حركة التجارة الشرقية في البحر الابيض المتوسط، مجلة كلية التربية الاساسية، الجامعة المستنصرية، العدد(٧٣) ١٢، ٢م، ص ٢٨٠، شارل ديل: البندقية جمهورية ارستقراطية، ترجمة احمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م، ص ٢٢١

(٤٠) سعيد عاشور: قبرص والحروب الصليبية، ص١٣٧

(٤١) Atiya:opict, p.292

(٤٢) سعيد عاشور: قبرص والحروب الصليبية، ص ١٣٧.

(٤٣) انظر مسالك الابصار في ممالك الامصار، جـ٢ ق٢ ص ٣٥٢.

وتقدم الصليبيون نحو أزمير، ونشبت معركة بحرية بين الطرفين انتهت بتدمير خمسين سفينة تركية، وتمكنت تلك القوى الصليبية من الاستيلاء على المدينة، وملكوا مراسيها في ٢٨أكتوبر ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. ومما سهل لهم الاستيلاء على المدينة: أنه كان بأزمير عدد كبير من التجار المسيحيين، الذين لم يدخروا وسعاً في مساعدة الصليبيين[٤٤]، وبسقوط أزمير في أيدي تلك القوى الأوروبية – غنموا مغنماً عظيماً، لما لها من أهمية واضحة في عالم التجارة، حيث لم تكن موقعاً حربياً فحسب، بل كانت مركزاً تجارياً يؤمه كثير من التجار الأوروبيين والإغريق والقبارصة[٤٥].

ولم يستسلم الأمير "عمر بك" لهذا الأمر الواقع، بل حاصر أزمير من كل ناحية حتى اختنقت، وانقطعت عنها الحاصلات الآسيوية، وحاولت بدورها الدول الأوربية دفع تلك الحصار، فهاجموا التركمان في يناير ٧٤٦هـ/١٣٤٥م، ولكن مني الأوربيون بهزيمة كبيرة وخسارة فادحة[٤٦]، عندئذ فكرت القوى الأوربية في عقد صلح مع هؤلاء التركمان أملاً في توطيد العلاقات بين الطرفين على أسس ودية، ولولا أن البابا كليمنت رفض ذلك، عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م[٤٧]، لما كان من الأمير عمر إلا أنه استمر في توجيه ضرباته عدة لأزمير، أملاً في استردادها من الفرنج، ولكن محاولاته

---

(٤٤) ابن بطوطة الرحلة، ص ٣١٩، احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ، جـ٢ ص٣٩٦، Atiya:opcit,p.p.294-295 ويذكرهايد ان السلطان العثماني منح قنصلية الحرية التامة في التعامل مع التركمان على انهم اعداء (انظر : تاريخ التجارة، جـ٣ ص١٣٦)

(٤٥) Latrie (L.deMas): Lalle de chypresu situation presente et ses souvenirs du moyen Ages, paris, 1870 , P.326

(٤٦) Atiya:opcit, p.295

(٤٧) عاشور: قبرص والحروب الصليبية، ص ١٣٨.

باءت بالفشل وأصيب بهزيمة فادحة، واستشهد على أثرها هو وجماعة من أتباعه، واستقر الفرنج بأزمير مدة نصف قرن[48].

وفي أغسطس عام٧٦٦هـ/١٣٦٥م أعد ملك قبرص "بطرس لوزجنان" للعدة لحملة جديدة ضد أمراء التركمان، وقدر لها أن تنطلق من جزيرة رودس، ويبدو أن هذا الأمر ألقى الذعر في قلوب أمراء التركمان، لذا أسرع الأمير (خضر بك) أمير الطولوجو بإرسال سفراء يطلبون الأمان، وهذا بسبب ضعف قوته أمام التحالف الغربي، وبسبب كثرة الضربات الموجعة التي مني بها من قبل، ومقتل أخيه عمر، فأرسل وفداً إلى البابا تعهد فيه بعطف السفن التركية كلها، حتى سفن أخيه، ونزع عتادها، وتكفل بسلامة أرواح التجار المسيحيين وأموالهم؛ على أراضي ميناء الطولوجو، وموافقته على إقامة قناصل لقبرص ورودس وللبندقية[49]، والسماح بتولي

(48) ابن بطوطه، الرحلة، ص ٣١٩، احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية، جـ٢ ص٣٩٦، احمد حطيط: دور قبرص في العلاقات بين المماليك و الغرب الاوربي في اواخر القرون الوسطى، الجامعة اللبنانية، بيروت، مجلة التاريخ العربي، يذكر ان الملك "هو الرابع" ملك قبرص سبب قوائه من ازمير عام ١٣٥٠/٧٥١م، مما ادى الى تصدع الجبهة المسيحية المضادة للتركمان، وبالتالي استدعى البنادقة سفنهم خشية من وقوع صدام بينهم وبين الجنوية، وانتهى الامر بحل الحلف في ٨ سبتمبر ١٣٥٠م، واصبح عبء الاحتفاظ بهذا الثغر الهام واقعا على اكتاف الاسبتارية حتى استيلاء المغول – تيمور لنك، عليه عام ٨٠٤هـ/١٤٠٢م. انظر (Atiya: op.cit, p. 297).

(49) البندقية: تمتعت بنفوذ عظيم في حوض شرق البحر المتوسط ولها محاط التجارية مثبته على شواطئه، وكان لها علاقات تجارية ومالية قوية بوسط اوربا حيث تقوم بتسويق تجارتها في هذا النطاق، كما كانت لها علاقات متينة مع مصر و شرق البحر المتوسط ومع العالم الاسلامي ركزت على تجارة الشرقين الاقصى والادنى، وكانت مركز اتصال حضاري بعيد المدى بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي (انظر: سعيد عاشور: العصر المماليك في مصر الشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٩٤ –٢٩٥).

القضاء بين مواطنيهم[50]، وتعهد بدفع ضريبة مالية سنوياً، نظير عدم الاعتداء على مدنه وقلاعه[51].

وقد حرصت القوى الأوربية على تلك المعاهدة، وتجديدها مراراً، مع أمراء الطولوجو، وبذلت تلك الدول كل عنايتها لتجنب ما يؤدي إلى وجود نزاعات، بينهم وبين أمراء الطولوجو، تؤدي إلى خرقها، حرصاً منهم على تجارتهم في موانئ الطولوجو[52].

وكان ميناء الطولوجو من الموانئ المهمة بين آسيا من جهة، وأوروبا من جهة أخرى، حيث كان يصل إليها التجار الغربيون من ناربون، وبرينبا، وتولوز – مدن فرنسية – وكذلك التجار البنادقة والجنويين، ومعهم أقمشة صوفية وحريرية مختلفة الألوان والأنواع، والتي كانت تلقى رواجاً في هذا الميناء، وتباع هناك بربح كبير[53] كما كانوا يجلبون معهم أواني فضية (المشرية) ونبيذا وصابون[54]. وكان الأوربيون يجلبون من ميناء الطولوجو، سلعاً عديدة غير متوفرة لديهم مثل: شب كوتاهية عاصمة كرميان[55]، وقمح وشمع وأرز وقنب غير مغزول[56].

(50) عايد : نفس المرجع، جـ٢ ص٢١٣

(51) عاشور: قبرص والحروب الصليبية، ص ١٥١.

(52) مما يؤيد ذلك ان الملك اويس ملك المجر طلب من البندقية تزويده بسفن لحرب التركمان عام ٧٦٥هـ/ ١٣٦٦م ولكنها رفضت معللة انها مرتبطة بمعاهدة مع سادة قطولوجو وولاتها (انظر: عايد : تاريخ التجارة، جـ٢ ص٢١٣).

(53) عايد: نفس المرجع، جـ ٢ ص٢١١، ويذكر ابن بطوطة في رحلته انواع مختلفة من الثياب المصنوعة من قمشة متنوعة في تلك المنطقة منها المنف، والمرعز، والقسي، والكمخا (انظر: الرحلة، ص٣١٩ هامش (٢٧).

(54) عايد: نفس المرجع، جـ٢ ص ٢١١.

(55) الشب مادة، خام تدخل في كثير من الصناعات مثل الصباغة والدباغة والتذهيب حيث تعتبر مادة ضرورية لتثبيت الالوان على الاقمشة، وكانت اراضي آسيا الصغرى تنتج اجود انواع الشب، وخاصة من كوتاهية ويصدر منها الى اوربا الغربية وبلاد الشام ومصر

وكانت هذه التجارة تدر على ميناء أطولوجو وإمارة أيدين مكاسب كثيرة، حيث إنها كانت منفذاً للسلع الأوروبية إلى آسيا الصغرى والعكس، أضف إلى ذلك ما يحصله هذا الميناء من أموال الرسوم الجمركية، التي كانت تفرض على البضائع التي تجلب مع التجار، حيث كانت تفرض رسوم بنسبة ٤% من جملة البضائع، أما بالنسبة للشمع ٢% من أثمانها، ولم يكن هناك رسم للدخول إلا على الخمور والصابون[٥٧].

كما قام أمراء أطولوجو بسك نقود على الطراز البيزنطي المعروف بـ(جيلياتي) مكتوب بالاتينية، وكان يضرب في أيازملوق (أطولوجو)[٥٨]. وهو ما يسمى بالدوكات[٥٩]. وذلك لتسهيل المعاملات التجارية مع التجار الأوربيين، ويبدو أن البنادقة لم يعترضوا على ذلك، واستمرت تجارة الغرب تمارس نشاطها بموانئ أيدين (أطولوجو - أزمير) وأنها بلغت درجة من الازدهار [٦٠]، برغم مرور تلك الموانئ بعدة

وقبرص والقسطنطينية وغيرها، وكانت تجارته حكرا على البنادقة والجنويين، ويستثمرون فيه اموالا طائلة (انظر: علي الغامدي: ايطالية في عصر الحروب الصليبية، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م صـ٤٩-٥٠، نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م، صـ٢٣٧).

(56) هايد: نفس المرجع، جـ٢ صـ٢١٢، القنب هو نبات حولي يقل ارتفاعه حيالا وهناك قنب يستخرج منه المخدر الحشيش، او هو شجر للعنب غير مثقم (انظر المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م، مادة قنب، صـ ٥١٦

(57) هايد : تاريخ التجارة، جـ٢ صـ٢١١

(58) احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية، جـ٢ صـ ٣٩٤-٣٩٧.

(59) الدوكة : دينار يضرب في البندقية نسبة الى صاحبها الدوك او الدوق (انظر : جوزيف نسوم : علاقات مصر بالممالك التجارية الايطالية في ضوء وثائق صبح الاعشى، بحث مقدم في ندوة احمت عن القلقشندي القاهرة ١٩٧٣م، صـ١٩٥-١٩٦).

(60) Hopf.Griechen land dons Ersehet Gruber. p.p.449.456

لأزمات، نتيجة للأوضاع السياسية والحروب البحرية، بين تركمان أيدين والقوى الغربية، مما كان له آثار سلبية على التجارة، لكنها تبقى محدودة.[٦١]

وفي الجنوب من ميناء أطولوجو ميناء آخر لا يقل أهمية، بل كان أكثر حيوية وامتداداً للنشاط التجاري، حيث لم يكتف في تجارته بالقوى المسيحية المقابلة لموانئه، بل امتدت إلى مصر والشام وهو ميناء (بالاتيا)، ويطلق بالتركية بلات أو بلاط، وموضع هذا الميناء قائم على مدينة ميليتوس، بالقرب من نهر مياندر، على ضفته اليسرى[٦٢] ويتبع هذا الميناء أمراء منتشا[٦٣]، الذين استخلصوا لأنفسهم هذا الإقليم، في جنوب غرب آسيا الصغرى[٦٤].

وأمراء منتشا شكلوا قوة بحرية إقليمية كبيرة، ومارسوا على نفس نهج أمراء أيدين، من مهاجمة السفن التجارية المقابلة لسواحلهم، ولذا شكلوا خطراً مستمراً على

---

(61) المولوي: صحائف الاخبار في وقائع الاعصار، نسخة مصورة على ميكروفيلم بمعهد احياء التراث الاسلامي بجامعة ام القرى رقم ١٠٤٢ عن نسخة مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم ١٢٤٥، جـ٠، ورقة ٥٩٠ ب .

(62) البغدادي : مراصد الاطلاع، صـ٩١٥، هايد : نفس المرجع، جـ٢ صـ ٢١٥.

(63) بنومنتشا : اسست هذه الامارة باقليم كاريا (قاريا) وكانت تضم تحت لوائها بالاتيا، وميلاس، وبيجين (برجين)، وطوس، ومكري، وغيرها، ويهدهم هوجاج بهاء الدين كردي والي سيواس وملك السواحل حتى علايا من قبل السلاجقة، وكان المؤسس الفعلي لها هو منتشا بك بن غورو بك احد الامراء القاطنين غرب الاناضول وكان يلقب ساوساتي اي رئيس او امير السواحل واستمرت هذه الامارة من عام (٧٠٠-٨٩٢هـ / ١٣٠٠-١٤٢٥م) انظر (ابن بطوطة : الرحلة صـ٣٠٧، احمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الاسلامية، جـ٢، صـ٤٠١، زامباور: معجم الانساب، صـ٢٣٠، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، صـ ١٨٧).

(64) هايد : تاريخ التجارة، جـ٢ صـ٢١٤-٢١٥.

البحرية الأوروبية، وخاصة البندقية، بل كانوا يسهلون عمليات القرصنة والإغارة، على بعض الإمارات المجاورة، من القوى المسيحية المقابلة لإمارتهم[٦٥].

و يذكر أن الأمير مسعود بك منتشا (٦٨٢-٧١٩هـ /١٢٨٢-١٣٢٠م) قام بغزوات بحرية عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، حاصر في إحداها جزيرة رودس، وإقتحم هو وجنوده قسماً منها، وسيطر عليها، وكانت تلك خطوة أولى مهدت لغزو الجزيرة في حملة إسلامية مشتركة، بين تركمان منتشا، وقوات المماليك عام ٧١٠هـ /١٣١٠م، وبرغم هذا النجاح إلا أن قوات صليبية، معظمها من الفرنسيين، استطاعت استرداد الجزيرة من أيدي المسلمين، استجابة لنداءات البابا للملك فيليب ملك فرنسا[٦٦]. حيث استطاعت هذه الحملة إعادة السيطرة على الجزيرة، وطرد التركماني والمماليك عن شواطئها[٦٧] ولكن مسعود بك لم يتخل عن محاولاته لضم الجزيرة إلى إمارة منتشا، ونجح بشكل مؤقت في ذلك، حيث انتزعها من أيدي الجنويين الذين سيطروا عليها، من الحملة الصليبية الأنفة الذكر، لكن البابا كليمنت الخامس جند جيوشاً من أوربا، وطرد التركمان منها في عام٧١٢هـ/١٣١٢م[٦٨]. وتميز عهد مسعود بك منتشا بالحروب مع النصارى، وخاصة حول جزيرة رودس[٦٩]، وهذا راجع لدورها العثماني

---

(٦٥) يذكر ان امراء منتشا كانوا يسمحون لامراء كرميان وعلصمتها كوتاهية المقيمين داخل اسيا الصغرى بعبور اساطيلهم للقرصنة عن طريق الهيلسبونت تنهب جزر الارخبيل (انظر. هايد: نفس المرجع والصفحة).

(٦٦) متعب حسين : تركيا في عهد المغول، ص٥٥٥

(٦٧)Ahmed tewhidi Muze-iHumayun-Meskukat Kadim Islam, 1321, p 12

(٦٨) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، نقله للعربية نور الدين خليل، مكتبة الشروق، ط٢ د.ت، جـ٣ ص٤٢٦.

(٦٩)Edhem,Halil: Anadolud Islam Kitablere toem.7/2'1330' . p.139-146

ضد العثمانيين و الممالك التركمانية، حيث كانت تقدم سفنها، جنباً إلى جنب، مع القوات الأوربية لمحاربة التركمان .

وسار على نهج مسعود بك، ابنه شجاع الدين أورخان[٧٠]، في الجهاد البحري والإصرار على غزو جزيرة رودس، لكن ضعف إمكاناته مقارنة بقوة خصومه، وقفت دون تحقيق هدفه[٧١]، ولكي تؤمن القوى المسيحية الأوربية تجارتها، لم تجد سوى أن توثق علاقتها مع سادة منتشا، وذلك من خلال عقد عدة معاهدات تضمن من خلالها أماناً لتجارتها، وعدم الإغارة على سفنها، أثناء إبحارها قبالة سواحل بالاتيا، ولا سيما جمهورية البندقية.

ويذكر هايد[٧٢] تلك المعاهدات، وكان أولها في الفترة ما بين ٧٥٢-٧٥٥ هـ / ١٣٥٢-١٣٥٥م، عن طريق دوق البندقية في كريت (مارينو موروسيني) وفيها حصل البنادقة على امتياز بكنيسة سان نيكولاس، وإنشاء قنصلية خاصة بهم بميناء بالاتيا، وتم تجديد هذه المعاهدة عام ٧٩٥هـ/١٣٩٣م، في عهد الأمير مظفر الدين إلياس بك (٧٩٣-٨٢٤هـ / ١٣٩١-١٤٢١م)، وفيها أعطى الأمير إلياس كل الضمانات لتجديد هذه المعاهدة، بل وسمح لهم باسترداد بيوت كانت للبنادقة، في بالاتيا، عن طريق الشراء، أو يبنوا بيوتاً جديدة على قطعة أرض يمنحها إياهم بلا مقابل، ويدير شئون المستوطنة قنصل يعينه دوق كريت، ويذكر أن هذه المعاهدة جددت مرة أخرى، عام ٨٠٦هـ /١٤٠٧م.

وقد حرص أمراء منتشا على تلك المعاهدات، حفاظاً على رواج التجارة بميناء بالاتيا، حيث كان التجار من جميع البلاد يترددون عليه، وذلك لوجود مجرى مائي

---

(٧٠) يذكر العمري في مسالك الابصار نقلا عن ياران قجتوي ان شجاع الدين اورخان كان له اسطول بحري كبير وجنود في البر والبحر يربو عددهم على مئة الف وهو منصرف بالكلية للغزو والجهاد (انظر : مسالك الابصار، جـ٣ ص١٧٥)

(٧١) متعب حسين : تركيا في عهد المغول، ص٥٥٦

(٧٢) انظر : تاريخ التجارة في الشرق الادنى، جـ ٢ ص٢١٦-٢١٦.

كبير وهو نهر مياندر (مندريس)، يصل من خلاله إلى سوق وميناء بالاتيا، ويوجد في هذا السوق منتجات آسيا الوسطى الطبيعية مثل: الزعفران، والسمسم، والعسل، والشمع والعفص[٧٣]، وعنب دمشق، وشب كوتاهية، ومواد مصنعة مثل المخيتان الأحمر[٧٤] أو السجاجيد، كما كان يباع به العبيد من الجنسين، والمنسوجات الحريرية، كما كانت تهبط به سفن من كرميان، حاملة شحنات مختلفة من البضائع[٧٥].

ومن ميناء بالاتيا يصدر القمح إلى جزيرتي قبرص ورودس، أما الملح الأخرى فكان الجنويون يشترونها ويصدرونها إلى مصر، حيث شغل الجنويون والبنادقة الدور الأكبر في هذا الميناء؛ من ناحيتي النقل أو التسويق، وشكلوا أكبر جالية في بالاتيا، حيث كانت لهم أحياء خاصة بهم، وكانوا يتولون عملية تصدير الملح إلى ميناءي الإسكندرية ودمياط بمصر، مثل: الشمع، والعسل، والزعفران، والسمسم، والحرير، والصوف، وكانت تجارة الرقيق من أهم هذه التجاريات[٧٦]. وفي المقابل يستوردون من مصر جوخاً، وصابوناً، وقصديراً ورصاصاً[٧٧]، وفرض ميناء بالاتيا على البضائع الواردة ٢% كرسم جمركي، يعفي منها الصابون والمنسوجات الصوفية، والشمع، والفراء، والقنب[٧٨].

ويبدو أن تلك الرواج التجاري، في ميناء بالاتيا، راجع إلى سياسة بعض أمراء منتشا؛ من حيث اهتمامهم بأمور التجارة، حيث يذكر أن الأمير شجاع الدين أور

---

(٧٣) العفص: نوع من شجر البلوط ومن ثمره يتخذ الحبر والصمغ (انظر: ابن بطوطة: الرحلة، ص المعجم الوجيز مادة عفص، ص٤٢٥).

(٧٤) المخيتان الاحمر: جلد ماعز مدبوغ وملون (انظر: عايد: تاريخ التجارة، جـ٣ ص ٢٢١).

(٧٥) عايد : نفس المرجع، جـ ٢ ص ٢١٤

(٧٦) عايد : نفس المرجع والصفحة، نعيم زكي: طرق التجارة الدولية و محطاتها . ص ٢٠ .

(٧٧) عايد : نفس المرجع، جـ٣ ص٢٢

(٧٨) عايد : تاريخ التجارة، جـ٣ ص٢٢.

خان بك؛ نشطت الحركة التجارية في عهده، وكانت إمارته ملتقى للتجار من أوربا وآسيا وأفريقية، كما يذكر أن هناك نقوداً فضية ضربت في عهده[٧٩].

ويبدو أن أمراء منتشا ساروا على نهج أمراء أيدين؛ في سك نقود على النمط الجيلاني (الدوكات) لتسهيل المعاملات مع رعاياهم من البنادقة وغيرهم[٨٠].

ويتضح من خلال ما استعرضناه لحركة التجارة، على المواحل الغربية لآسيا الصغرى، أن ما شجع الأوربيين على تفضيل التجارة، من خلال تلك الموانئ عن موانئ دولة المماليك؛ أن التركمان لم يطلبوا مكوساً باهظة على البضائع الصادرة ببلادهم، وهذا واضح من الرسوم الجمركية التي فرضت على البضائع في موانئ الساحل الغربي، على حين بلغت مكوس المماليك، على بضائع الشرق وغيرها، أضعاف ثمن البضاعة نفسها، وبلغ من انخفاض الأسعار، بتلك المناطق، أن أقصى سعر للبضائع، في حالة الغلاء، عادل أرخص سعر لها في بلاد الشام في حالة الرخاء[٨١]، إضافة إلى أن الأسعار كانت رخيصة، والملح متوفرة والشراء ظاهر[٨٢]، وعزا العمري أسباب ذلك إلى قلة المكوس، وكثرة المراعي المباحة واتساع سبل التجارة، و اكتشاف البحر[٨٣].

واعتبرت الدوكة هي العملة السائدة في تلك الموانئ، وذلك لتنشيط التجارة بين تلك الموانئ والتجار الأوربيين في المواحل المقابلة لهم، برغم احتجاج جمهورية

---

(٧٩) Ahmed Tewhid:Muze-iHumayun.Meskukat Kadim-i Islamiyye catalogue, Istanbu, 1321, p.127

(٨٠) احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية، جـ ٢ ص٢٠٢

(81) العمري : مسالك الابصار، جـ٢ ق ٢ ص٣٣

(82) ابن بطوطة : الرحلة، ص ٢٩٩، كوبريلي : قيام الدولة العثمانية، ص ٩٦

(83) انظر: مسالك الابصار، جـ ٣، ص١٥١ -١٥٥، القلقشندي صبح الاعشى ، جـ ٥ ص ٢٩٩ .

البندقية أحياناً على ذلك الأمر، ولكن استمر التعامل بتلك العملة؛ تسهيلاً وتنشيطاً للمعاملات التجارية.

ولذا أدرك البنادقة والجنويون، وغيرهم من تجار الغرب، أهمية الموانئ التي تقع تحت سيطرة التركمان، باعتبارها منافذ إلى وسط آسيا، فعقدوا معهم معاهدات تجارية، وحرصوا عليها لما لها من فوائد جمة تعود عليهم، ولما حصلوا من خلالها على امتيازات تجارية.

الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى :

اعتبرت موانئ الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى، في كثير من الأحيان، إبان القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي – أوكاراً لسفن التجار الأوربيين، هروباً من الأوامر البابوية بمنع التجارة مع دولة المماليك بمصر والشام؛ حيث إن سفن هؤلاء التجار احتمت بتلك الموانئ، وكان ملك قبرص "هيو الرابع لوزجنان" عاكفاً على مضايقة هؤلاء التجار – بتحريض من البابا– حيث اعتمدها الغرب الأوربي رأس حربة لعملياته العسكرية ضد المسلمين، على طول الشريط الساحلي، من شواطئ آسيا الصغرى شمالاً إلى الشواطئ المصرية جنوباً، ولم تلبث أن أصبحت قبرص مركزاً للمقاومة الصليبية في الشرق، والقلعة الحصينة التي أخذ أصحاب المشاريع الصليبية يعتمدون عليها في تنفيذ سياسة الحصار، ضد الدولة المملوكية في مصر والشام [٨١] فلجأ هؤلاء التجار إلى تلك الموانئ التابعة للتركمان، حتى إنا ما ابتعدت عنها السفن القبرصية المطاردة، وتأكدت أن الطريق إلى مصر أصبح آمناً، أسرعت إلى الإسكندرية محملة بالأسلحة والأخشاب التي تحتاجها دولة المماليك؛ لبناء قوتها العسكرية ، وتعود محملة بالتوابل والسكر والأقمشة والطيب، ثم تنطلق إلى "أياسلوق"

(٨٤) ايلاف عاصم : دور البابوية و القرصنة في شل حركة التجارة، صـ ٢٢٥

(أنطونوجو) وأزمير، حتى إذا وثقت من سلامة الطريق أبحرت إلى الموانئ الأوروبية، متحدية القوارصة والأوامر البابوية جميعاً[٨٥].

لذا عمد هيو الرابع إلى مهاجمة تلك الموانئ[٨٦]، وشاركه في تلك العمليات الحربية قائد يدعى (همبرت)، أرسله البابا على رأس قوة من الفرسان المتطوعة، لمعاونة ملك قبرص، وكان من أهم تلك العمليات: معركة بحرية في بحر إيجة، أسفرت عن تدمير ست وعشرين سفينة من سفن التركمان، في فبراير ٧٤٦هـ /١٣٤٦م[٨٧].

ولم يكن فرسان رودس أقل نشاطاً من ملك قبرص، في مهاجمة تلك الموانئ، إذ أحرقوا عدداً من سفن القراصنة الأتراك في أحد موانئ جزيرة "أميروز" قرب الدردنيل[٨٨]، وأحاطوا عدداً منهم في مايو ٧٤٧هـ/١٣٤٧م[٨٩].

ويعد ميناءي أنطاليا[٩٠] والعلايا[٩١] من أهم موانئ الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، حيث كان لهذين الميناءين شأن عظيم في تاريخ التجارة، بشرق البحر

(٨٥) نعبت دولة المماليك دورا كبيرا بفك الحصار الاقتصادي الذي فرضته البابوية وذلك بتقديم التسهيلات وعقد الاتفاقيات التجارية التي كان بموجبها للاوربيين حق في اقامة قناصل دائمة في اراضيها والحصول على امتيازات تجارية (زعيم زكي : طرق التجارة، صـ٣٤)

(٨٦) Iatria:op.cit.p.25

(٨٧) Atia: op.cit.p.311

(٨٨) مضيق الدردنيل : ممر مائي دولي يربط بين بحر ايجه وبحر مرمره، ويفصل المضيق ما بين شاطئ اسيا الصغرى وشبه جزيرة جاليبولي في الجانب الاوربي (انظر Latria,Hic, de chypress , pp . 253-254)

(٨٩) عاشور: قبرص والحروب الصليبية، صـ١٣٨-١٣٩.

(٩٠) انطاليا ورد اسمها في الحروب الصليبية بصورة سطالية Satalia او اتالية Attalia، اما في حروب تيمورلنك ورد اسمها بصورة عدالية او اضاليا (انظر : دائرة المعارف الاسلامية، م٥ صـ٤٤٣)

المتوسط، واعتبرا من أهم ثغور آسيا الصغرى، وكانت لهما تجارة ضخمة مع مصر والشام.

وأنطاليا بلد كبير من بلاد الروم، وهو حصن على شاطئ البحر منيع كثير الأهل، بالقرب من خليج القسطنطينية[٩٢]، وقد وصفها ابن بطوطة[٩٣]، في رحلته لآسيا الصغرى، بأنها مدينة متسعة قائمة في مؤخرة خليج فسيح، "وأنها أجمل ما يرى من البلاد، وأكثره عمارة وأحسنه ترتيباً"، وأن كل فرقة من سكانها منفردة بنفسها عن الأخرى، وبها أسواق ضخمة مرتبة بأبدع ترتيب، وعليها سور عظيم يحيط بها.

وأنطاليا حاضرة أمراء بني تكه[٩٤] وربما ظهر هذا الاسم لأول مرة عام٧١٨هـ/ ١٣١٨م، حيث تولى "يونس بك بن حميد" حكم أنطالية في عهد أخيه منك الدين "ونداز"، وبعد وفاته خلفه على أنطاليا ابنه محمود بك بن يونس[٩٥]، وفي عهد ولده "مبارز الدين محمد بك بن محمود بن يونس" وجهت حملات جهادية واسعة

---

(٩١) أنطاليا مدينة اسمها علاء الدين السلجوقي فوق كوراكصيوم، ولها ميناء يسمى باسمها، ويسميه الأتراك ميناء (الايجا) وهذا الاسم متداول في الوقت الحاضر، اما الفرنجون فيطلقون عليه اسم (كاتليور) في العصور الوسطى (انظر : ابن بيبي : اخبار سلاجقة الروم، ترجمة محمد اسعيد جمال الدين، جامعة قطر، الدوحة، ١٩٩٤م، ص ١٢٠، انظر احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية، جـ٢ ص٤١٥، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص١٨٣، هابد : تاريخ التجارة، جـ٢ ص٢١٧) .

(٩٢) البغدادي: مراصد الاطلاع، ص١٢٥.

(٩٣) انظر: رحلة ابن بطوطة، ص٣٠١.

(٩٤) بنو تكة: هم شعبة من عشيرة تركمانية وفرع من بني حميد، وكانوا يحكمون "تكة ايني" وهي منطقة نيكيا الخصبة، وحاضرتهم انطاليا على ساحل البحر المتوسط ومن املاكهم "قلقشي، قاش، قرة حصار، تكه، فتكه، اسناتوز، وحكمت هذه الاسرة من (٧٠٠-٨٣٠هـ/ ١٣٠٠-١٤٢٦م) (انظر : احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية جـ٢ ص٤١٠، متعب حسين : تركيا في عهد العثمانيين، ص٥٢٢)

(٩٥) علي محمد الغامدي : انطاليا في عصر الحروب الصليبية، ص ٦

النطاق ضد أهالي جزيرة قبرص وحكامها[٩٦]، وذلك في أعقاب استيلاء الملك بطرس لوزجنان ملك قبرص، على بلاد أرمينية الصغرى عام ٧٦١هـ/١٣٦٠م، وتأسيس حامية قبرصية بها[٩٧]. وعلى أثر هذا العمل قام ملك قرامان[٩٨] علاء الدين خليل، بعمل حلف ضم فيه أمير أنطالية والعلائية، للإغارة على قبرص، لعلمه بأطماع ملكها ورغبته في تصفية حسابه مع المسلمين، وأن استيلاءه على قلعة "جورهيجوس" بأرمينيا الصغرى، سوف يتخذها قاعدة لتهديد شواطئ آسيا الصغرى الجنوبية بأسرها[٩٩].

فأعد هذا الحلف التركي عدداً من السفن للإغارة على قبرص، فما كان من ملك قبرص إلا أنه استعان برئيس الاسبتارية، بجزيرة رودس، وطلب منه النجدة، فأمده بأربع سفن حربية انضمت إلى ست وأربعين سفينة، وانضمت إليه سفن أوربية أخرى، حتى أصبح لديه أسطول مكون من مئة وتسع عشرة سفينة، منها سفينتان أرسلهما البابا[١٠٠]. ولما سمع لمير العلايا استعدادات بطرس لوزجنان؛ أرسل رسله إليه يحملون الهدايا، ويرجون الملك عدم مهاجمة مدينته، وبذلك انفض الحلف التركي الذي كان يجمع بين أمراء أنطاليا والعلائية.

---

(٩٦) Suleyman fikri : Antuliya Livasi tarihi, Istanbul, 1338, P.2]

(٩٧) Sempad:chroniqueduroyaume de la petite Armenie (Rec.Hist.cr.tom1), p.638

(٩٨) قرمان : بنو قرمان من اكبر الدول التي ورثت السلاجقة، وقد استوطنوا قرمان بعد ان قضى السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد الاول عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م، ويعتبر محمد الدين المعروف بنور صوفي مؤسس هذه الامارة ثم عين ابنه كريم الدين قرمان على ارمناك سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، ومن املاكهم ارمناك، لارنده، قونية، ارغلي و قد حكموا من الفترة (٦٥٤- ٨٨٨هـ/ ١٢٥٦ - ١٤٨٣م) (انظر : احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية، جـ ٢، ص ٤١٥ : ٤١٩).

(٩٩) Makhiaras, (L.) :Recital concerning the sweet land of cyprus Edited by Dawkins, vol2, oxford 1932, p.99, Note.6 ,Mas Latrie: opcit, p.p. 261-262

(١٠٠) Makhiavas,opcit,vol.I, p.103

وفي ٢٣ أغسطس ٧٦١هـ / ١٣٦٠م، أبحر ملك قبرص بسفنه الحربية قاصداً شواطئ آسيا الصغرى، وربما قرب أنطاليا[١٠١]، وأنزل الخيل في البر استعداداً لمهاجمتها، ودخل الميناء مساء ٢٤أغسطس من نفس العام، وأمر بتدمير المدينة وإحراقها، بعد نهبها، أثناء غياب أمير تكة[١٠٢]، ونبح الفارسة كل ما صادفوه من أهالي تكه، رجالاً ونساء[١٠٣]، وعين أحد رجاله نائباً عنه فيها، وترك بها حامية كبيرة، وثلاث سفن حربية للدفاع عنها وحراسة ميناءها، بعد أن أطمن الأمان لأهلها، وأباح لهم الذهاب إلى قبرص[١٠٤].

ويبدو أن الخوف تملك أمير العلايا بعد فتح الفارسة لأنطاليا، فما كان منه إلا أنه أرسل رسوله مرة أخرى لملك قبرص، يطلب منه الأمان ويتعهد بدفع ضريبة مالية سنوياً، ورفع راية قبرص ببلاده رمزاً للولاء، فسر الملك بذلك وأرسل علمه، فرفعه في أماكن أعلى من أماكن علم العلايا[١٠٥]. ثم توجه بطرس إلى العلايا في سبتمبر ٧٦١هـ/١٣٦٠م، فخرج إليه أميرها ومعه حاشيته للقاء ملك قبرص، وأدى له فروض الولاء والتبعية ، وقدم له مفاتيح القلعة وبعض الهدايا الثمينة، لكن بطرس رد إليه مفاتيح القلعة، وعقد معه اتفاقاً تعهد فيه أمير العلايا بأن يظل نائباً أميناً للملك، ثم

---

(١٠١) عاشور: قبرص والحروب الصليبية صـ١٤٢، يرى العمري ان اهل انطاليا ليسوا اهل حرب (انظر : مسالك الابصار، جـ ٢ ق٢ صـ٣٥٥)

(١٠٢) Makhiavas,opcit,vol.1, p.107

(١٠٣) Machaut (G) : la prise d, Alexandrie ou chronique de roipierr elcr lusigna publiee par mes latrie, Geneve, 1877, p.20

(١٠٤) Makhieras. opcit, vol.1, p.107-109

(١٠٥) Makhiavas,opcit,vol.1, p.107-109

ويبدو ان امير العلايا سارع لتقديم الولاء لملك قبرص بهذه الصورة السريعة خوفا من امير قرمان، وكان ذلك نوعا من المناورة السياسية للاستعانة به في التوقوف في وجه اطماع ال قرمان (انظر Atiya: opcit, p327)

غادر ملك قبرص العلايا متوجهاً إلى بلاده[١٠٦]، بعد أن أخضع أنطاليا حربا والعلايا سلماً.

وبذلك أتم ملك قبرص "بطرس لوزجنان" أعماله الحربية ضد تركمان السواحل الجنوبية، وتم له الاستيلاء على أنطاليا التي تعد من أهم المراكز التجارية الفريدة، على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، حيث كان لهذا الحدث دوي في الشرق والغرب، حتى إن بطرس توماس – من كبار الشخصيات الصليبية، في القرن الرابع عشر الميلادي – عزم على الذهاب إلى أنطاليا لتنظيم رجال الدين اللاتينيين بها، وتعريك كنائسها بعد أن دنسها الكفار – الأتراك – تلك المدة الطويلة"[١٠٧]، لكن لم تدم فرحة الفارسة طويلاً، لأن أمير أنطاليا "تكه"، لم يمكث على بقائه في أيديهم، وهي عاصمة إمارته ومركز حكمه[١٠٨]، فجمع "تكه"[١٠٩] جيشاً لاسترداد المدينة إلا أن الحامية القبرصية أنزلت به الهزيمة، ومع ذلك لم يثن عزم "تكه" فعكف على مضايقة المدينة وحاميتها، بسبب الهجمات المتتابعة التي شنها عليها، فبعد أن فشل في حمل حاكمها القبرصي على قبول الرشوة، لجأ تكه إلى سلاح آخر هو: ضرب حصار على المدينة ومنع القوت عنها، وطلب من كافة التركمان المجاورين عدم بيع الأطعمة، أو إرسالها إلى المدينة، وصادف ذلك فصل الشتاء، حيث يتعذر على السفن القبرصية السير في البحر المتوسط وحمل الأقوات، فقاسى رجال الحامية القبرصية الكثير من الصعوبات، حتى إن الخيل لم تجد شيئاً تأكله سوى أوراق شجر الليمون[١١٠].

---

(١٠٦) Makhieras. opcit. vol.1. p109

(١٠٧) Latri (L.deMas): L.I le dechpresa situation presenteet sas souvenivs dumoyen Ages., P. 267

(١٠٨) Makhiavas. opcit. vol.1, p.111

(١٠٩) "تكه" لقب يطلق على امراء الطلايا، وتكه فمذكور هنا بايع امراء تلك السنة، لتظر (سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية صـ١١٤، هامش (٣)

(١١٠) عابد : تاريخ التجارة، جـ٢ صـ ٣٢٠

ظن تكه أن خطته نجحت؛ فأرسل إلى حاكم أنطاليا يطلب منه التسليم أو القتال، فرفض حاكمها التسليم فهاجمها تكه بكل قواته، ولكن هزم أيضاً تلك المرة[١١١] فعاد تكه إلى أعماله الانتقامية من جديد، حيث هدم الدور والمنازل المحيطة بالمدينة، وأحرق النخائل والحدائق القريبة منها، ثم قطع مجرى الماء الذي يمد أنطاليا بمياه الشرب، وبالرغم من ذلك كله كانت الحامية القبرصية صامدة، تعمل على تحصين المدينة، وإقامة الاستحكامات اللازمة لمرجهة هجمات أمير تكه[١١٢].

وفي مايو ١٣٦٢/٧٦٢م، وصلت أنطاليا الإمدادات من قبرص، تشمل أربع سفن حربية وست ناقلات للجنود، ورأى حاكم أنطاليا (حنا الصوري) أن يخفف الضغط عن المدينة، بمهاجمة البلاد الساحلية القريبة منها، وبذلك ينتهي الحصار المضروب عليها، فأغار على الجهات الساحلية المحيطة بأنطاليا، ونهب كثيراً من المدن والقرى[١١٣]، وأدرك القبارصة أن الأمل في الاحتفاظ بأنطاليا لا يتم إلا إذا رضي الأتراك بتبعيتها لقبرص، خاصة وأن تلك الهجمات أثرت على تجارة المدينة، حيث لم يستطع التجار الأوروبيون القيام برحلات تجارية داخل المدينة وميناءها[١١٤].

في تلك الأثناء؛ قام ملك قبرص برحلة إلى الغرب، لطلب الإمدادات لقيامه بحملة توسعية ضد الأتراك المسلمين[١١٥]، وعندما علم أمير "تكه" بعزم بطرس؛ قرر غزو ممتلكات قبرص في آسيا الصغرى، وتحالف مع أمير العلايا، واتفق الأميران على مهاجمة أنطاليا براً وبحراً[١١٦]، فما كان من نائب الملك بأنطاليا إلا أن يطلب الإمدادات، فوصلت إليه ثلاث سفن حربية قبل وصول التركمان بيوم واحد، ووصل

---

(١١١) عاشور : قبرص والحروب الصليبية، ص ١٤٥.

(١١٢) عاشور : نفس المرجع والصفحة.

(١١٣) Latrie: opcit, P.270

(١١٤) عواد: تاريخ التجارة، جـ٢ ص٢٢٠.

(١١٥) عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص١٤٦.

(١١٦) Makhlavas, opcit, vol.I, p117

أمير تكه على رأس جيش كبير، وضرب خيامه أمام أنطاليا، وهاجم هو وأمير العلايا المدينة من جهة البر، على حين سدت سفنهم، وعددها ثمان، مدخل المدينة[١١٧].

وكان هجوم التركمان شديداً، حيث حاولوا تسلق أسوار المدينة لعلهم يأخذونها عنوه، لكن الحامية القبرصية أمطرتهم بوابل من القذائف الحجرية والسهام، فتراجعوا بعد أن خلفوا قتلى كثيرين، فطاردهم القبارصة حتى نشبت شمل جيش تكه وتفرق جنده، وصادف ذلك مجيء السفن القبرصية؛ فطاردت السفن التركية، فاضطر رجالها إلى الفرار؛ تاركين سفنهم للقبارصة ليحرقوها[١١٨]. ولكن هذه الهزيمة لم تثن في عضد التركمان، فظلوا يغيرون على المدينة من حين لآخر، ويقلقون حاميتها.

وفي عام ٧٦٣هـ/١٣٦٢م، انتشر بقبرص طاعون أهلك كثيراً من الناس، وامتد أثره حتى أنطاليا، فكر أمير تكه في الهجوم على القبارصة في عقر دارهم، وملكهم غائب في أوربا، وأحوالهم لا تساعد على المقاومة بعد تفشي الوباء بينهم ؛ فأعد اثنتي عشرة سفينة تحت قيادة (محمد رايس) – أحد رجال تكه الخبيرين بالبحر – فخرجت السفن قاصدة قبرص، وأغارت على بندايا[١١٩]، وأسروا عددا كبيرا من القبارصة، وغنموا عدداً وفيراً من الماشية. ويبدو أن أمير تكه أراد من هذه الحملة إشغال نائب الملك بتحصين تلك المدينة، والدفاع عنها ليشغله عن إمداد أنطاليا وتموينها[١٢٠]، لكنه خاب ظنه، حيث وصلت لأنطاليا سفينتان تحملان المؤن والإمدادات من قبرص[١٢١].

لذلك عاود أمير تكه الكرة على قبرص، وشجعه على ذلك ما أخبره به قائد أسطوله (رايس) من خلو السواحل القبرصية من وسائل الدفاع، فأرسله على رأس ست

---

(١١٧) عاشور: قبرص والحروب الصليبية، ص١٤٧.

(١١٨) عاشور: نفس المرجع والصفحة.

(١١٩) بندايا : بلد مطل على خليج مورفو بقبرص (Makhlavas, opcit, vol.I, p.107)

(١٢٠) Latrie : opcit ,p.273

(١٢١) Makhlavas, opcit, vol.I, p.121

سفن، واتجه محمد رايس تلك المرة إلى قرياص – على الشاطئ الشمالي الشرقي لجزيرة قبرص– فنهب كثيراً من القرى، وعاد وسفنه محملة بالأسرى والغنائم، فما كان من نائب الملك إلا أنه سمح لقبرصان الجزيرة بالإغارة على شواطئ آسيا الصغرى ونهبها[١٢١]، وقبض على جميع التجار الأتراك بالجزيرة، ولم يقنع بذلك، بل أعد حملة للهجوم على تكه في عقر داره، فأغار على "أنامور"[١٢٣] ونهبها بعد أن أسروا عدد كبيراً من التركمان، ثم قصدوا "سيكي" وهي بالقرب من "أنامور" وحاصروها، ولكن اضطروا إلى مغادرة الشواطئ التركية والعودة إلى قبرص مسرعين، بعد علمهم بإغارة محمد رايس على قبرص من جديد[١٢٤]، غير أن السفن القبرصية طاردت محمد الرايس، مما اضطره إلى الالتجاء إلى طرابلس الشام، ويبدو أن السلطان المملوكي (الأشرف شعبان، (٧٦٤–٧٧٨هـ/١٣٦٣–١٣٧٧م)، أيد محاولات أمير تكه، وغيره من التركمان، في طرد القبارصة من على شواطئ بلادهم، ودعموا جهودهم العسكرية لإخراج القبارصة من بلادهم، وإن كان هذا التأييد خفياً ومستتراً، نظراً للصلح القائم بين المماليك والقبارصة[١٢٥].

وفي عام ٧٦٤هـ /١٣٦٤م، أرسل نائب الملك بقبرص أربع سفن تحت قيادة (سيريول دي بون)، لتقوية حامية انطاليا، فأرست واحدة بالميناء، على حين توجهت السفن الثلاث للإغارة على الشواطئ الجنوبية لآسيا الصغرى، ثم وصلت إلى ميناء العلايا وهاجمت قلعتها، ودمرت جزءاً كبيراً منها، ثم تقفت راجعة إلى قبرص، عندما

---

(١٢٢) Latrie : opcit , p.274

(١٢٣) أنامور بلدة تقع بين سلفايا وجورهيصوص على شاطئ اسيا الصغرى الجنوبي .
انظر (Makhlaras : opcit, vol. 1 , p.108)

(١٢٤)Makhlaras : Opict, vol. 1 , p.125

(١٢٥) احمد حطيط : دور قبرص في العلاقات بين المماليك و الغرب الاوربي، Latrie : opcit , p.275

فوجئت بخمس سفن للتركمان[١٢٦]، وتكررت المحاولة مرة أخرى عام ٧٦٦هـ /١٣٦٦م، حيث هوجم ميناء العلايا أملاً في الاستيلاء عليه، ولكن لم يتمكن لمناعتها وقوة تحصينها، واكتفي بنهب الضياع والقرى المحيطة بها، كما استولى على السفن التركية الراسية في ميناءها وساقها إلى انطاليا[١٢٧].

أما أنطاليا فيبدو أن مشاكل بطرس لوزجنان الداخلية جعلته يتأخر عن حمايتها بإرسال الرواتب والمؤن، فأدى ذلك إلى حدوث ثورة تزعمها أحد رجال الحامية يسمى (بطرس كانل) الذي أخذ مفاتيح القلعة، وهدد بتسليمها للتركمان إذا لم تصل الرواتب المتأخرة والمؤن الكافية فوراً، ولكن تمكن بطرس من إخماد هذه الثورة وقتل زعيمها[١٢٨].

أدرك ملك قبرص "بطرس لوزجنان" أنه لابد من مهادنة الأتراك، والوصول معهم إلى اتفاق هدنة ومعاهدات، لكي يهدأ الحال بميناء انطاليا، بسبب الهجمات المتواترة التي تشنها أمير "تكه"، وأثرت بشكل كبير على الرحلات التجارية للميناء[١٢٩]، فذهب بطرس بنفسه إلى انطاليا، وبعث مندوباً عنه إلى أمير تكه يدعوه لمقابلته هناك، وحضر أمير تكه إلى انطاليا ومعه الهدايا الفاخرة، وقدم فروض الطاعة والتبعية لملك قبرص، وكذلك حضر كثير من التركمان المجاورين وأعلنوا ولاءهم له[١٣٠].

وأصيبت قبرص بعد ذلك بعدة ضربات أضعفت قدرتها على الاحتفاظ بأنطاليا، منها: فشلهم في عام ٧٦٧هـ/١٣٦٧م في الإغارة على طرابلس، وغيرها من

---

(١٢٦)Makhlaras : Opict, vol. 1 , p.131

(١٢٧) عاشور : قبرص والحروب الصليبية، ص١٥٢.

(١٢٨)Makhlaras : Opict, vol. 1 , p.81

(١٢٩) عايد : تاريخ التجارة، ج٢ ص٢٢٠.

(١٣٠) عاشور : نفس المرجع، ص١٥٦

البلاد والموانئ المملوكية على طول سواحل الشام، وأرمينيا الصغرى[١٣١]، وانقلاب فرسانه عليه عندما شعروا بضعف ملكهم، فأخذوا يحيكون المؤامرات ضده، حتى انتهى الأمر بقتله في عام ٧٦٩هـ/١٣٦٩م[١٣٢]، مما جعل التركمان يجدون الفرصة مهيأة لاستئناد هيبتهم على أملاكهم، فأرسل أمير "العلائيا" خمس سفن للإغارة على أطراف قبرص، فنهبت كثيراً من الضياع، وأسروا عدداً من القبارصة[١٣٣]. أما أمير تكه فجدد محاولاته لاستئناد أنطاليا، فلجأ إلى الحيلة، وأرسل بعض أتباعه متنكرين إلى المدينة، عام ٧٧٠هـ/١٣٧٠، لتنفيذ مخطط قد دبره ، فأشعل أولئك الأتباع النار داخل المدينة وفق تعليمات أمير تكه، على حين قام هو بشن هجوم خاطف عليها، لكن الحامية القبرصية تنبهت وقاومت هجوم تكه، حتى ارتد التركمان على أعقابهم، وكبدوهم خسائر جسيمة[١٣٤].

وتولى ملك قبرص، بعد مقتل لوزجنان، ولده بطرس الثاني عام ٧٧٢هـ/١٣٧٢م، واتبع بطرس الثاني، في سياسته الغربية، ميله للبنادقة دون الجنوية بالجزيرة، فأدى هذا إلى حدوث نزاع بين الجنوية والبنادقة، حتى أعلنت جنوا الحرب على قبرص، وأرسلت حملة لغزوها[١٣٥]، شعر بعدها بطرس بصعوبة الاحتفاظ بميناء

---

(١٣١) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٤ صـ٦٠، ابو المحاسن : النجوم، جـ٥ صـ٢١٢.

(١٣٢) Makhiaras : Opict, vol. 1 , p.273

(١٣٣) التواريخ : الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في واقعة الاسكندرية، مخطوط بدار الكتب المصرية، جـ٢ صـ٦٣ پ.

(١٣٤) عاشور ، قبرص والحروب الصليبية، صـ١٥٨.

(١٣٥) جنوا والبنادقة حصلوا على امتيازات تجارية عديدة داخل قبرص، وظهر بينهم تناقض تجاري لامتلاكهم قواعد ثابتة في الجزيرة تتكون مراكز لنشاطهم التجاري في ذلك الجزء الهام من حوض البحر المتوسط فاخذ هذا التناقض التجاري طريقه الى السياسة الداخلية في قبرص، واستطاعت جنوا ان تستولي على (فاماجوستا) واسرت بطرس الثاني وعمه حنا ثم

أنطاليا، وخشي أن تستولي عليها جنوا، وتتخذها قاعدة لطعن قبرص بين الحين والآخر، فضلاً عن أن حامية أنطاليا القبرصية أصبحت محرومة من المؤن والإمدادات القبرصية، لانقطاع المواصلات بينها وبين الجزيرة، بسبب تربص الجنوية لهم في البحر، فضلاً عن حاجة الملك إلى رجال تلك الحامية للدفاع عن الجزيرة[١٣٦].

ولهذه الاعتبارات، السالفة الذكر، عقد بطرس الثاني مجلساً من كبار فرسانه، وتقرر إعادة أنطاليا إلى التركمان، و رأى أن ذلك أفضل من وقوعها في يد الجنوية، فأرسل ملك قبرص رسولين إلى أمير تكه يعرضان عليه إعادة أنطاليا إليه، بشرط أن يظل على ولائه لملك قبرص، ويدفع له مبلغاً مالياً بشكل سنوي، ويتعهد بالقيام بكل التزام آخر في المستقبل[١٣٧]. فوافق أمير تكه على ذلك، وغمر الرسولين بهدايا ثمينة، وكان هذا الأمر عام ٧٧٣هـ/١٣٧٣م، فأسرع أمير تكه إلى أنطاليا، وأقسم يمين الولاء والتبعية لملك قبرص، ويعدها غادر القبارصة المدينة ، وبذلك فقد القبارصة أنطاليا وهي الحصن المنيع، والموقع التجاري الفريد، وذات الميزات الطبيعية والتجارية الهامة[١٣٨]، وكانت بيدهم لمدة تزيد على اثني عشر عاماً، جعلت القبارصة من كل ثغر من الثغور الإسلامية المحيطة بها، أثناء احتلالهم لأنطاليا، عدوا متربصاً، فضلاً عن الجمهوريات الإيطالية، لاسيما جنوا، التي كانت تحسد قبرص على موقعها التجاري، وتنظر إليها بعين الحسد، وعادت أنطاليا إلى أمير تكة التركماني، الذي ما لبث أن رفض دفع الضريبة المالية المفروضة عليه للقبارصة[١٣٩]، وأعاد ميناء أنطاليا

اطلقت سراحهما نظير اعترافهم باحتلالها فضلا عن دفع فدية كبيرة في عام ٧٧٤هـ /١٣٧٤م (انظر Makhiaras:opict, p.309--511).

(١٣٦) عاشور : قبرص والحروب الصليبية صـ١٥٨

(١٣٧) عاشور: نفس المرجع والصفحة.

(١٣٨) Mas latrie:opcit, p.309

(١٣٩) يذكر لم يبق للقبارصة في اسيا سوى قلعة جورهيجوس (انظر Maslatrie: op.cit, p309).

إلى ما كان عليه، حيث كان من أكثر الأسواق التركية على الساحل الجنوبي رواجاً[١٤٠].

ولم تقتصر التجارة في ميناءي انطاليا والعلايا على بلاد آسيا الصغرى والغربيين، بل صح هذان الميناءان بتجارات مصر والشام، حيث كانت لهم معاملات تجارية واسعة في هذين الميناءين[١٤١] وحصولهم فيها على كل التسهيلات لاستيراد الأشياء الضرورية، فكانت سفن الإسكندرية تأتي محملة بالسلع الثمينة، من توابل، وكتان، وسكر، إلى ميناءي أنطاليا والعلايا، ولذا اشتهرت أنطاليا بالتوابل الشرقية التي تجلب من مصر وسوريا، ووجد بها مخازن قائمة على موانئها، وبها كميات كبيرة من الفلفل، والقرفة، والقرنفل، والبخور[١٤٢]، وفي المقابل كانت انطاليا تصدر إلى ميناءي دمياط والإسكندرية أغلب منتجات آسيا الصغرى، مثل: الشمع، والعسل، والزعفران، والصوف، والمشمش[١٤٣]، وكان يُجلب أيضا من ميناء أنطاليا الرقيق، كما كان لهذا الميناء دور كبير في تجارة الموارد الحربية مع مصر، حيث كانوا يزودونهم بالأخشاب اللازمة لبناء الأساطيل والأسلحة، ومواد الحرب مثل الحديد والقار[١٤٤].

---

(١٤٠) هايد : تاريخ التجارة، جـ٢ صـ٢١٨ .

(١٤١) ترجع كثرة تجارة مصر والشام بموانئ انطاليا والعلايا؛ الى ان امراء هذين الميناءين شعروا بحاجاتهم الى حليف قوي من جهة سلاطين مصر – المماليك – الذين دعموا جهود التركمان الصنوبرية و خاصة القرامنيين لاخراج الفرنجة من بلادهم حيث كانوا مرتاحين لتزايد نفوذهم في اسيا الصغرى (هايد : نفس المرجع صـ٢١٩)

(١٤٢) هايد: تاريخ التجارة، جـ٢ صـ٢٢١.

(١٤٣) هذا المشمش يسمى في مصر قمر الدين في نواته لوز وهو يابس (انظر ابن بطوطة: الرحلة، صـ٣٠٢)

(١٤٤) روشيلد: القوى البحرية و التجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ – ١٠٠١ م)، ترجمة احمد محمد عيسى، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة ١٩٥٩م، صـ ١٧٩، سمير الخادم: الشرق الاسلامي الغرب المسيحي (١٤٥٠– ١٥١٧م)، القاهرة، ط١،

و للبندقية دور كبير في تجارة الموارد الحربية مع مصر، بالرغم من تحريم البابوية لهذا النوع من التجارة، ولكن لم يترددوا في جلب كل ما تحتاجه مصر من الأدوات الحربية، كالأسلحة، والحديد، والأخشاب، والكبريت، والقار، والرقيق، وخرقت البندقية هذا التحريم بمختلف الحلل والمعاذير، سعياً وراء المكسب[١٤٥].

وأصبحت التجارة القائمة، بين أنطاليا ومصر، تضمن لميناء انطاليا رخاء نامياً، حيث كان التجار المصريون والسوريون كثيري التجوال بآسيا الصغرى، ينزلون ميناء أنطاليا الذي اعتبر لهم محطة عبور ترانزيت، يستطيعون من خلاله الوصول إلى موانئ شمال آسيا الصغرى، حتى ميناني سينوب، ومسعدون ومنها إلى سودداك[١٤٦].

أما من حيث المنتجات الداخلية، فكان ميناء انطاليا يتلقى مباشرة منتجات آسيا الصغرى، كالشمع، والعفص، والصمغ والشب. ومن ناحية أخرى كانت أجواخ

١٩٨٩م، صـ٣٥، فايد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الادنى الاسلامي، تقديم جوزيف نسيم يوسف، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م، صـ٢٤٨.

(١٤٥) عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، صـ٢٩٤–٢٩٥م، حاول تجار البندقية التوفيق بين مصالحهم المتمثلة في البحث عن ارباح وبين احترام القوانين التي وضعها بعض البابوات او بعض الاباطرة البيزنطيين والتي تحاول منع بيع مواد مهمة كالاسلحة والاخشاب للمسلمين (انظر: Lamhard (M.'' Arsenaux et bois de mar ine dans la Mediterranee musulmane ; v 2" dens espaces et reseaux , p (p 107 -151)

(١٤٦) هايد: تاريخ التجارة جـ٢ صـ٢١٩، عباس اقبال: تاريخ المغول، نقله من الفارسية الى العربية: عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي في ابو ظبي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، صـ ١٠٨، نعمان جبران: محاولات المغول للسيطرة على طريق الحرير، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية، العدد ٣٩، السنة ١٢، ديسمبر ١٩٩٦ م، صـ ١٤٦: ١٤٨.

شالون، وناربون، وبربنيان، ولمبارديا، تباع بوفرة في أسواق انطاليا، بشرط أن تكون زاهية، وأن تكون نصف ممزوجة، حيث لم يكن بأنطاليا من يجيد جز الصوف[١٤٧].

والعلايا لم يكن ميناؤها أقل أهمية من أنطاليا، حيث كانت كثيرة الخشب الذي تصنع منه السفن، وينقل منها إلى ميناء الإسكندرية ودمياط، وكذلك للقسطنطينية[١٤٨]، واعتبر ميناء العلايا وانطاليا مورداً هاماً لتجارة الرقيق إلى مصر والشام، حيث كان يصدر إلى مصر عبيداً من المسيحيين والأتراك، لاستخدامهم في الأعمال العسكرية، خاصة وأن الرقيق كانوا مصدراً للقوة العسكرية أيام المماليك[١٤٩]، ويمتلئ تجار هذا الميناء من مصر القوابل والبكتان والسكر. ويذكر لنا المارشال (بوسيكو) زار هذا الميناء (العلايا) إبان رحلته للشرق الأدنى، ورأى فيه مخازن وحوانيت مملأى بوفرة من السلع[١٥٠].

ويتضح من خلال ذلك أن: ميناء أنطاليا والعلايا كان لهما شأن عظيم في تاريخ التجارة في آسيا الصغرى، واعتبرا من أهم ثغور آسيا الصغرى الجنوبية وذلك لقربهما، في حوض البحر المتوسط، من موانئ مصر، وتمتع الجنويين والبنادقة بالمكانة الأولى، بين الجاليات الأوربية، في هذين الميناءين، حيث اشتغلوا بالحجم الأكبر من التجارة الشرقية والغربية، من ناحيتي النقل أو التسويق، ولذا شكلوا جاليات كبيرة في هذه الموانئ، وكان لهم حي خاص، ويشرف على مصالحهم قنصل معين

---

(١٤٧) هايد: نفس المرجع والصفحة، نعيم زكي: طرق التجارة الدولية، ص٢٤٥.

(١٤٨) ابن بطوطة: الرحلة، ص٣٠١.

(١٤٩) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٤٣١.

علي الفاسدي: النفوذ المشوقي في حوض البحر الأسود، ص ١٨٠، فايد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي، ص٢٧٦، هايد تاريخ التجارة، جـ٢ ص٢١٩، نعيم زكي: طرق التجارة الدولية، ص٢٢٠-٢٢١.

(١٥٠) هايد: نفس المرجع، جـ٣ ص٢٢٢

من قبل جمهورية البندقية، كما كانت العملة المتداولة هي عملة البندقية التي عرفت باسم الدوكات[١٥١].

الخاتمة:-

ونخلص مما سبق إلى: أن آسيا الصغرى تميزت بموقعها الفريد، حيث كانت حلقة وصل بين آسيا من جهة وأوربا من جهة أخرى، كما كانت حسراً بين دولة المماليك، في الجنوب، والمناطق الواقعة، شمال البحر الأسود، وزادت أهمية موقعها من الناحية التجارية، بعد سيطرة بعض أمراء الدول التركمانية التي نشأت على أنقاض دولة سلاجقة الروم، على موانئ السواحل الغربية والجنوبية (الطراوجو، أزمير، وبلاتيا، وأنطاليا، والعلايا). وقد كان التركمان مهتمين إلى حد كبير بهذه الموانئ، مما أدى إلى نشاط الحركة التجارية، حيث إنها تعتبر منافذ تخترق من خلالها تجارة أوربا إلى آسيا الصغرى، مما ينعكس بصورة إيجابية على التجارة المحلية ، وكذلك التجارة الدولية، حتى وإن كانت من النوع الذي يطلق عليه تجارة العبور - الترانزيت ، ومما شجع الأوربيين على تفضيل تلك الموانئ: حصولهم على المحاصلات الآسيوية، التي تعذر الحصول عليها من بيروت أو الإسكندرية، بسبب الحروب الصليبية والأوامر البابوية، كذلك فإن التركمان لم يطلبوا مكوساً باهظة على البضائع المارة ببلادهم، على عكس المماليك.

أما عن المناخ السياسي لهذه الموانئ التي كانت خاضعة لأمراء تركمان: نجد أنه قد أثر بشكل واضح على النشاط التجاري، حيث مارس أغلب أمراء التركمان دور القرصنة على جيرانهم المسيحيين في الغرب، واعتبروا ذلك نوعاً من الجهاد، فمواجهة القرصنة الأوربية في حوض البحر المتوسط واتضح أن المنطقة شهدت فصلاً جديداً من فصول الحروب الصليبية، انتقل مسرحها من مصر والشام إلى سواحل آسيا

---

(١٥١) نعيم زكي : طرق التجارة الدولية، ص ١٥٥

الصغرى الغربية والجنوبية، مما سيؤثر على تعطل التجارة بشكل ملحوظ في تلك الموانئ، وبالرغم من ذلك: يمكن وصف التجارة بها بأنها كانت مزدهرة إلى حد ما، برغم مرور المنطقة بعدة أزمات، نتيجة الأوضاع الأمنية والعسكرية، ومن البديهي أن تكون لتلك الأزمات آثار سلبية على التجارة، لكنها تبقى محدودة، وربما أدى هذا إلى إدراك كل من الفريقين أنه لابد من عقد معاهدات تجارية بينهما، تضمن سلامة التجارة والسفن العابرة في البحر المتوسط، بل والحصول على امتيازات تجارية.

ويتضح أن تلك المراكز التجارية المهمة، التي كانت تحت يد التركمان، لم تزحزح السفن الإيطالية والتجار الإيطاليين عن السيطرة على تجارة البحر المتوسط، فظل أهل بيزا، وجنوه، والبندقية، طوال القرن الثامن الهجري، وما تلاه، على ما كانوا عليه: أصحاب النصيب الأوفر من ملاحة البحر المتوسط، ولم يتأثر مركزهم، لذا استخدموا شتى الوسائل من حروب، أو عقد معاهدة، في سبيل مصالحهم التجارية، ومدى الاستفادة الاقتصادية التي تعود عليهم، حيث تأتي في المقام الأول، ومن بعدها يأتي ولاؤهم للبابا ، وذلك تيسراً لأمورهم التجارية .

ومما يؤكد ذلك، أن (الدوكة) عملة البندقية كانت عماد اقتصاد هذه الموانئ، وهذا يثبت أن الدوكة كانت من القوة بحيث إن الإمارات التركمانية اتخذتها عملة للتداول التجاري، بل وسكتها بإماراتها، ولم يعترض البنادقة على ذلك، لكي تسهل التعاملات التجارية بينهم وبين الموانئ التركمانية، وهذا يدل على تمتع البندقية بنفوذ كبير في حوض البحر المتوسط.

كما كان لتجار مصر والشام دور ملحوظ، وخاصة في ميناءي أنطاليا والعلايا، حيث إن هذين الميناءين اعتبرا مصدراً مهماً لتوريد الأشياء الضرورية لبناء قوتهم العسكرية، من خشب وقطران لبناء أساطيلهم الحربية، فضلاً عن الرقيق الذين يُجندون في الجيوش المملوكية، ولذا كانت التجارة القادمة من مصر تكفل لهذين الميناءين رخاءً نامياً، كما اعتبرا محطة ترانزيت لعبور التجار المصريين والشاميين إلى موانئ الشمال (صينوب وسمسون) ومنها يبحرون إلى سودداك وكافا ويزورون بلاد

خانات التتار، ولكن المماليك لم ينظروا بعين الرضا لسيطرة القبارصة، على مواني آسيا الصغرى الجنوبية، بتشجيع من ملوك أوربا وبمباركة بابوات كنيستها، لذا حبذ المماليك أمراء التركمان، سراً، ودعموا جهودهم العسكرية، لإخراج القبارصة من بلادهم .

أما بالنسبة للتجار الأوربيين، فقد وجدوا من موانئ الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى (العلايا-أنطاليا) أوكاراً لسفنهم، حيث احتمت بتلك الموانئ، بسبب مخالفتهم للأوامر البابوية في شأن التجارة مع دولة المماليك، وعندما تتأكد أن الطريق إلى مصر أصبح آمناً تسرع إلى الإسكندرية محملة بما يحتاجه المماليك من لوازم بناء قوتهم العسكرية، وبعود محملة بالتوابل والأقمشة والطيب، مما يدر عليها دخلاً ومكاسب هائلة.

ولقد اتضح من خلال تلك النظرة التاريخية، على المواطن الغربية الجنوبية لآسيا الصغرى، مدى الدور السياسي والتجاري الذي لعبه التركماني في تلك المنطقة، في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، مما شكل منحاً مهماً لتاريخ هذه الموانئ، في فترة العصور الوسطى.

الملاحق

ملحق رقم (١)

جدول بأسماء أمراء بني آيدين

م	اسم الأمير	فترة الحكم
١	آيدين بك بن محمد	(٧٠٠-٧٢٤هـ / ١٣٠٠-١٣٢٣م)
٢	مبارز الدين غازي محمد بن آيدين	(٧٢٤-٧٤١هـ/ ١٣٢٣م - ١٣٤٠م)
٣	عمر بك الأول (أمور بك) بن محمد	(٧٤١-٧٤٩هـ / ١٣٤٠-١٣٤٨م)
٤	عيسى بك الأول بن محمد	(٧٤٩-٧٩٣هـ / ١٣٤٨-١٣٩١م)
٥	فاصلة (السيادة العثمانية)	(٧٩٣-٨٠٥هـ / ١٣٩١-١٤٠٢م)
٦	موسى بك بن عيسى	(٨٠٥هـ / ١٤٠٢م)
٧	عمر بك الثاني (أمور بك)	(٨٠٥-٨٠٦هـ / ١٤٠٢-١٤٠٣م)

(ثم بنو العثمانيون)

ملحق رقم (٢)

جدول بأسماء أمراء بني منتشا

م	اسم الأمير	فترة الحكم
١	منتشا بك مسعود بن بهاء الدين الكردي	(٧٠٠- ؟هـ / ١٣٠٠- ؟م)
٢	شجاع الدين أرخان بك	(في ميلاس له نقش بتاريخ ٧٤٥هـ/ ١٣٣٠م)
٣	إبراهيم بك بن شجاع الدين	(في مغنه له نقش بتاريخ ٧٤٥هـ / ١٣٤٥)
٤	محمد بك إبراهيم	(٧٥٥-؟ هـ / ١٣٥٥ - ؟م)
٥	تاج الدين أحمد غازي بك	(٧٧٧-٧٩٣هـ / ١٣٧٦-١٣٩١م)
٦	مظفر الدين إلياس بك (المرة الأولى)	(٧٩٣هـ / ١٣٩١م)
٧	فاصلة (السيادة العثمانية)	(٧٩٣-٨٠٥هـ / ١٣٩١-١٤٠٢م)
	مظفر الدين إلياس بك	(٨٠٥-٨٢٤ هـ / ١٤٠٢-١٤٢١)
	ليث بن إلياس بك	(٨٢٤-٨٢٩هـ / ١٤٢١-١٤٢٧م)

(ثم بنو العثمانيون)

ملحق رقم (٣)

جدول بأسماء أمراء تكه

م	اسم الأمير	فترة الحكم
١	تكه بك	؟
٢		
٣	مبارز الدين محمد بن محمود بن يونس	(٧٧٠هـ -٧٨٨هـ / ١٣٧٠-١٣٨٨م)
٤	السيادة العثمانية بأنتشاه انطاليا	٧٨٨-٨٠٥هـ
٥	عثمان چلبي	(٨٠٥-٨٣٠هـ / ١٤٠٥-١٤٣٠م)
٦	تحالف آيدين، وصاروخان، ومنتشا، وعثمان چلبي بن بايزيد الأول، ضد محمد الأول السلطان العثماني	
٧	ظهر عثمان مرة أخرى وهزمه حمزة بن فيروز وأتى قرى حصار من قبل العثمانيين	

ملحق رقم (٤)

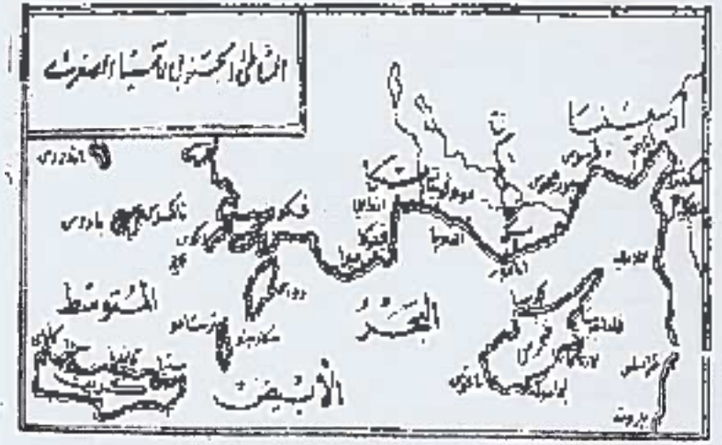

مصادر ومراجع البحث

أولاً – المصادر المخطوطة :

- الحوادث (منجم باشا أحمد بن لطف الله المؤيد ، عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي): صحائف الأخبار في وقائع الإعصار ، نسخة مصورة على ميكروفيلم بمعهد إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى رقم ١٠٤٣ عن نسخة مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم ١٢٤٥ ، الجزء الأول .
- الدويري (محمد بن قاسم بن محمد النويري المالكي الاسكندري ، ت ٧٧٥ هـ) ثانياً بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية، مخطوط في جزأين ، دار الكتب المصرية .

ثانياً : المصادر العربية المطبوعة:

- ابن الأثير: (أبو الحسن عز الدين علي بن محمد الجزري، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢ م) الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء، عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ابن بطوطة (أبوعبدالله محمد بن عبدالله اللواتي ، ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) شرح : طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ابن بيبي (ناصر الدين بن ا لحسين بن محمد الرنكوي ، ت ٦٨٠هـ/١٣١٨م) أخبار سلاجقة الروم (مختصر سلجوق نامه) نقله من الفارسية إلى العربية د. محمد السعيد جمال الدين، جامعة قطر، الدوحة ١٩٩٤م
- ابن سعيد: (أبو الحسن بن علي) كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٧٠م.
- ابن العديم: (كمال الدين أبو القاسم عمر بن احمد ، ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٦٨ م.
- أبو الفداء (الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة، لابن الأفضل علي الأيوبي، ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)

تقويم البلدان، باريس، ١٨٤٠م.

- البغدادي: (عبدالمؤمن بن عبد الحق البغدادي)

(مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

- العمري: (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)

– التعريف بالمصطلح الشريف، مصر، ١٣١٢هـ/١٩٨٤م.

– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، طبعة بالتصوير: فؤاد سزكين، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- العيني (بدر الدين محمود بن احمد بن موسى، ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)

العسجد المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق فهيم شلتوت، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.

- القلقشندي: (أبـو العبـاس أحمـد بـن علـي بـن أحمـد بـن عبـد الله بـن أبـي الـيمن، ت٨٢١هـ/١٤١٨م).

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧.

- القزويني : (زكريا بن محمد ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)

آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت ، (د.ت).

- المقريزي : (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)

السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٧١م.

ثانياً: المراجع والبحوث العربية والمعربة:

- أحمد توفي عبدالعطيف (الدكتور)

الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب قسم التاريخ ، جامعة المنيا ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- أحمد حطيط (الدكتور)

أثر الفرس في العلاقات بين المغول والغرب الأوربي في أواخر القرون الوسطى، الجامعة اللبنانية، بيروت، مجلة التاريخ العربي من موقع (http:/ Islami pint .com)

- أحمد السعيد سليمان (دكتور): تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف، مصر، د.ت.

- ارشيبالد:

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ – ١٠٠١ م)، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة ١٩٥١م، صـ ٢٧٩.

- ايلاف عاصم مصطفي :

دور البابوية والفرصنة في شل حركة التجارة الشرقية في البحر الأبيض المتوسط، مجلة كلية التربية الأساسية ، الجامعة المستنصرية العدد (٣٣)، ٢٠١٢م.

- جوزيف "سيم" :

علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية في ضوء وثائق صبح الأعشى، بحث مقدم في ندوة أعدت عن القلقشندي القاهرة ١٩٧٣م.

- دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ١٤جزءاً نقلها إلى العربية: أحمد الشنتناوي وإبراهيم خورشيد، وعبدالحميد يونس، مراجعة محمد سعدي علام، دار الفكر ،١٩٣٣م.

- رنسيمان "ستيفن"

تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية نور الدين خليل، مكتبة الشروق، الطبعة الثانية، د. ت

- زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: زكي محمد وحسن أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- سالم الرشيدي (الدكتور)

محمد الفاتح ، مكتبة الإرشاد، جدة، ط٢، ١٩٦٩م.

- سعيد عبدالفتاح عاشور (الدكتور) :

- العصر المماليكي في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

- الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢.

- سمير الخالم:

الشرق الإسلامي والغرب المسيحي (١٤٥٠ – ١٥١٧ م) ، القاهرة ، ط ١ ١٩٨٩ م .

- شارل ديل :

البندقية جمهورية ارستقراطية ، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم ، دار المعارف مصر ، ١٩٨١ .

- عباس إقبال:

تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ، نقله من الفارسية إلى العربية ، عبد الوهاب علوب ، المجمع الثقافي في أبو ظبي ، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م .

- عبدالرحمن الرافعي وسعيد عاشور :

مصر في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، القاهرة١٩٩٢م .

- علمان اوزان:

الأناضول في عهد المماليك والإمارات التركمانية ، ترجمة ، محمد علي القاسمي ، مكة المكرمة ، ط١ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

- العريني : السيد الباز (الدكتور)

المغول، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

- علي محمد القاسمي (الدكتور) :

-الطلبة في عصر الحروب الصليبية ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

-الثورة السلجوقية في حوض البحر الأسود في أوائل القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري ، العدد ١٩ يناير ١٩٨٨م.

- فايد حماد عاشور (الدكتور) :

العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي ، تقديم جوزيف تسير ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٠م.

- كوبريلي محمد فؤاد :

قيام الدولة العثمانية، نقله إلى العربية، د/ أحمد السعيد سليمان، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

- لسترنج " كي " :

بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .

- ماركو بولو : رحلات ماركو بولو ، ترجمة عبدالعزيز جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م.

- مكتب حسين القثامي : (الدكتور) :

تركيا في عهد المغول ، إيتراك للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م.

- نعمان محمود جبران :

محاولات المغول السيطرة على طريق التجارة أسباب ونتائج، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية، العدد ٣٩، سنة ١٢، ديسمبر ١٩٩١ م.

- نعيم زكي فهمي: (دكتور)

طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م.

- هايد " ف" :

تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ٤ أجزاء ، ترجمة : أحمد رضا محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١م.

رابعا: المصادر والمراجع الأوربية:

- Ahmed twhid.

– RumseloukiDevoleti 'ninirkerazly le tesekkultaulfmuluk to FM 1/1 '1326'.

– SaruhanyeAydin – ogullari (TOEM cuz 10, Istanbul , 1929)

– Muze – | HamayunMaskukatiKadim– | IslamiyyeKatalogue Istanbul.1321.

- Atiya, (A.S)

The crusade in the later Middle Ages, London, 1938.

- Bar bara Jelavich, history of the Balkans: eighteenth and nineteenth centuries. Combridge university press. Melbourne 1983.

- Bol,lein:

the successors of the seljuks in Asia Minor , JARAS, 1881.

- Cahen , clud :

Recital concerning the sweet land of Cyprus Edited by Dawkins, 2 vols' Oxford,1932.

- Suleyman Fikri

Antalia(Livasitarihi, Istanbul , 1338.

- Turan , Osman

Selcuklular Zamaninda Turkiye, Istanbul, 1996.

The mongols and the near east. ession, a history of the crusaded.vil

- Cambridge Medieval History

Cambridge History of Islam, 2vols, Cambridge the university , press, 1970.

- Edhem, Halil

Anadolu da Islami Kitabler (TOEM V ½ /2a).1330.

- Grand larousse :

Encga Ipadlua, 2 vols , paris , 1974

- Himmet Akin

Aydinoglar Tarihi Hakkinda Bir.Arastima , Ankara, 1968.

- Hopf (M)

Griechen land dans Erschet Gruber.

- Kepruluzade (M.F)

Anadolu Beylikleri tarihi in Alt Notlar 'TM.II' '1928'

- Maslatrie

histoire del , lle de shypresous le regne des princes de la maison de lusignan , Paris , MDCCL , vol 2 .

- Latrie, (l.de Mas)

L, lle de chypresa situation presente et sessouvenirs du Moyen Ages , Paris , 1870.

- Lambard

(M.' Arsenaux et bois de mar ine dans la Mediterranee musulmane : v 2ª dens espaces et reseaux , p p 107 –151)

- Machoun (G)

La Prise de L, Alexandrie ouchronique de roi pierre ler lusignan publiee par mas latrie, Geneve, 1877.

- Makhiaras , (L)

الإهداءات المتبادلة
بين الخلفاء العباسيين وحكام الأقاليم
(١٣٢ – ٦٥٦هـ/ ٧٤٩ – ١٢٥٨م)

د. صلاح سليم طايع
أستاذ بكلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادي

مقدمة :

تناول هذا البحث معالجة في التاريخ السياسي والاقتصادي للخلفاء العباسيين، وقد تمثل ذلك في الهدايا التي أعطوها لحكام الأقاليم، وأيضًا شرائح مختلفة من المجتمع، ولا يزال البحث في فتاريخ الإداري للدولة العباسية ميدانًا خصبًا، يجد الباحث فيه آفاقًا جديدة، لطبيعة السلطة التي حكمت فيها، وفي بحثنا المتواضع: محاولة لتتبع الهدايا التي منحها الخلفاء العباسيون لحكام الأقاليم والعكس، ومدى علاقتها بسلطانهم.

وكان خلفاء بني العباس يتعاملون بسخاء مع حكام الأقاليم النائبين لهم، وضعت ميزانية الدولة بندًا خاصًا من هدايا الخلفاء، فقد جاء البند " ومن ذلك ما قدر إنفاق أمير المؤمنين، أعزه الله، في الجوائز والنهبات بقسط شهر من ثلاثة أشهر، ومن ذلك فيها إحدى وعشرين ألف دينار "(١).

وبما أن البحث يعني بالإهداءات المتبادلة بين الخلفاء العباسيين وحكام الأقاليم، فقد قسمته إلى ثلاثة محاور يمكن عرضها على النحو الآتي :

- **مقدمة.**
- **الهدية لغةً واصطلاحًا.**

المحور الأول: هدايا خلفاء بني العباس لحكام الأقاليم.

المحور الثاني: هدايا حكام الأقاليم لخلفاء بني العباس.

المحور الثالث: دور المناسبات الاجتماعية في الإهداءات المتبادلة بين الطرفين:

أ- المصاهرات:

ب- الختان.

ج- الاحتفال بالانتصارات العسكرية.

د- الاحتفال بمجيء الوفود.

وقد أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وملحقًا يتضمن خلفاء بني العباس وفترة حكمهم، ثم المصادر والمراجع.

الهدية لغة واصطلاحًا:

تأتي الهدية لغة بمعان ومشتقات على النحو الآتي:

الهدية ما أتحف به، يقال: أهديت له وإليه... والتهادي: أن يهدي بعضكم إلى بعض، والجمع هدايا، وهداوى[٣]، وهديته أي أهديته هداية[٣]... وهديت العروس إلى بعلها هداءً وأهديت الرجل كنا: بعثت إليه إكراماً فهو هدية، وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: {من هدى زقاقا كان له مثل عتق رقبة}[٣]، والهادي من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: {وكفى بربك هاديًا ونصيرًا}[٣].

أما الهدية اصطلاحًا: هي كل شيء يعطى للمودة، ويراد بها إكرام المهدي إليه لا غير، يقصها القريب أو الصديق. "الهدية هي ما يؤخذ بلا شرط الإعانة"[٣].

وهي دفع عين، سواء كان مالاً أو منفعة، إلى شخص معين من غير طلب ولا شرط، إلا لله وللثواب والأجر من الله سبحانه وتعالى[٣].

المحور الأول: هدايا خلفاء بني العباس لحكام الأقاليم.

كان الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) أول من منح مبلغاً قدره (١٠,٠٠٠,٠٠٠) درهم في يوم واحد، فرّقه بين أعلامه لكل واحد منهم مليون درهم[٣].

وأيضًا من الأمثلة التي تندرج في هذا السياق ما أهداه الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) لقائده طاهر بن الحسين، عند تصديه لحركات التمرد في مصر، حيث قدرت هذه الهدية في حدود ثلاثة آلاف دينار[٣]، ومما يدل على إجزال المأمون العطاء ما فعله عندما قدم أحد ولاة السند حاملاً فضل ما بقي معه من خراج إقليمه، وجمعته سبعة ملايين درهم، وهي تمثل حصة بيت المال المركزي من خراج الإقليم، فأراد الخليفة المأمون منحه المبلغ بأمره، فأبى الوالي قبوله، فأقسم عليه المأمون أن يأخذ منه (٤,٠٠٠,٠٠٠) درهم فأخذها[٣].

ولشغف الخليفة المعتصم بالله العباسي (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م) بكثرة عطاياه وهباته إلى الرعية، ومنهم القادة العسكريون، حيث منح "الأفشين" (ت٢٢٦هـ/٨٤٠م) عند انتصاره على "بابك الخرمي" سنة (٢٢٢هـ/٨٣٦م) مبلغ (٢٠,٠٠٠,٠٠٠) درهم و(١٠,٠٠٠) درهم أخرى يفرقها في عسكره[٣]، وخلع عليه وشاحين وتاجاً من الجواهر وفرساً، كما احتوت بعض الهدايا الصينية على الجواهر وأشياء أخرى[٣]، ومنح ثلاثة وسبعين ألف دينار للشاعر أبي تمام على قصيدة قالها بمناسبة الانتصار على الروم في عمورية[٣]، مطلعها:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ ... في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللَّعِبِ[٣]

كما أهدى الخليفة المستنصر بالله العباسي (٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٢٥-١٢٤٢م) الأمير "مجاهد الدين بن الميامن أيبك الخاص المستنصري" المعروف بالدويدار الصغير، هدية عبارة عن مبلغ من المال، مع الكثير من أواني الذهب والفضة والثياب

والجواهر، فضلاً عن بعض الخيول الأصيلة، قدمت له من اصطبل خيول الخليفة، مع مركب ذهب وسرج مرصعة بالجواهر [٧٥].

المحور الثاني: هدايا حكام الأقاليم لخلفاء بني العباس.

ومن أبرز الهدايا التي قدمت للرشيد، هدية ملك الهند، المتضمنة حوت زمرد، وعلى رأسه تمثال طائر من ياقوت أحمر، لا نظير له من النفاسة[٧٦]. ومن هدايا حكام الأقاليم للخلفاء العباسيين هدية "علي بن عيسى بن ماهان" في سنة (١٨٩هـ/٨٠٤م) قُدِّرَ ثمنها بثلاثين ألف ألف دينار[٧٧]، وتبدو المبالغة واضحة في ثمن هذه الهدية، إلا أنه يشير إلى كبر حجم الهدايا المقدمة من الولاة.

ومن الخلفاء العباسيين الذين قبلوا هدايا حكام الأقاليم: الخليفة المأمون العباسي، حيث أهداه ملك الهند هدية اشتملت على جام – كأس – ياقوت أحمر، مملوء درًا، وزن كل درة مثقال، والعدد مئة درة وفرشا في جلد حية، وثلاثون مَنًا كافوراً مجبباً كل حبة مثل الفستقة[٧٨]. كما أهدى ملك الروم هدايا كثيرة، فقال المأمون: (أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الإسلام)، ففعلوا ذلك، فكانت مئتا رطل مسكاً ومئتا قارورة بنفسج[٧٩].

ومن الهدايا الغريبة التي قدمت إلى الخلفاء، من قبل الرعية، ما قدم إلى الخليفة المعتصم، فقد أهدى له "الحسن بن سهل" (والي خراسان) ألف طبق مصنوعة من المعادن الثمينة[٨٠]، وأهدى للخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) هدايا ثمينة منها: نواة في داخلها منعقة كبيرة من الياقوت الأحمر، لم ير مثلها، حتى قال المتوكل: (ما رأيت ولا سمعت أن هناك مثل هذه)[٨١]، وأهدى إليه "محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين" (والي خراسان) هدية قيمة منتا وسيف بوصيفة[٨٢]، وكانت

إحداهن تدعى محبوبة تميزت بمكانتها في زمن المتوكل[٨٣]، وأهدى له "الحسن بن وهب" (وزير الخليفة الواثق) جاماً من ذهب فيه ألف مثقال عنبر[٨٤].

كما أرسل صاحب عمان [٨٥] هدية ثمينة إلى الخليفة المقتدر بالله[٨٦] (٢٩٥-٣٢٠ هـ/٩٠٧-٩٣٢م) سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م، ويذكر لنا صاحب كتاب العيون والحدائق تفاصيل هذه الهدية فيقول: (ومنها من الكافور الرياحي عشرة أمناء، عود تربيع قماري عشرة أمناء، رواند صيني عشرة أمناء، وقطعة عود طولها أحد عشر ذراعاً ووزنها مئة وتسعون منا، ومن الرماح المنوزة عشرة أرماح، ومن العلعة وخير بيغشه صيني وبقاء أحمر، وطير لم يعلب إلى ناحية العرب مثله، وبط من ناحية الصين أسود بعرفين يتكلم بالهندية والفارسية ومن الشبان السود صبيان) [٨٧].

كما جاء إلى بغداد سنة ٦٠٥ هـ/١٢٠٨ رسول من صاحب جزيرة قيس (كيش)[٨٨] فاستقبل بحفاوة وتكريم، وكان في مقدمة المستقبلين "عمر التبريزي" صاحب الحجاب للخليفة العباسي الرضي، وتقدم ذلك الرسول ببعض الهدايا من جملتها (... وقطاع عود وأبنوس وصندل وساج وغير ذلك) [٨٩].

ومما سبق يتبين أن الهبات والهدايا التي كانت تقدم للخلفاء والأمراء وغيرهم في العصر العباسي، لها أسباب، منها:

١- تقوية مراكز الخلفاء السياسية.

٢- جذب الناس واستمالة قلوبهم.

٣- إظهار كرمهم في المناسبات المختلفة.

٤- إجزال العطايا لمن يمدحهم ويظهر محاسنهم.

٥- تشجيع العلم والمعرفة.

٦- البذخ والإسراف غير المبرر الذي يصل إلى حد المباهاة.

٧- إظهار الولاء للخليفة من قبل الولاة ورجالات الدولة الآخرين.

٨- إظهار الولاء لرجال الدولة ومحاولة التقرب منهم من قبل العامة[٢٤٨].

المحور الثالث: دور المناسبات الاجتماعية في الإهداءات المتبادلة بين الطرفين

أ- المصاهرات.

يُعد الزواج من المناسبات المهمة التي تقدم فيها الهدايا الخاصة والعامة[٢٤٩]، وتميزت مصاهرات الخلفاء والأمراء والسلاجقة بالإفراط في بذل الأموال والهدايا والخلع[٢٥٠]، فضلاً عن تحقيقه لأغراض سياسية تتمثل في ارتباط الخلفاء ببيوت أمراء البويهيين، وسلاطين السلاجقة، حيث قصد الخليفة "الطائع" بزواجه من ابنة عضد الدولة البويهي سنة (٣٦٩هـ/٩٧٩م) حماية لاستقرار ملكه وضمانه[٢٥١]، وقصد عضد الدولة من هذا الزواج تحقيق الانتساب إلى الخلافة، وتعلق أن يرزق الخليفة ولداً فيتولى الخلافة فتصبح لبني بويه[٢٥٢].

وتزوج الخليفة "القائم بأمر الله" سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) من أرسلان خاتون ابنة أخ السلطان "طغرلبك"[٢٥٣] وكان زواجاً متميزاً بكثرة الهبات وفخامتها، فقدم الخليفة هداياه إلى العروس، فيها تاج من جوهر ثمين، مع مئة ثوب ديباج، وطاسة من ذهب نبت فيها الجواهر والياقوت، وأقطعها من ضياعه ما يبلغ اثني عشر ألف دينار وغير ذلك[٢٥٤].

والجدير بالذكر أن السلاجقة لم يكتفوا بالانتساب إلى بيت الخلافة من جهة النساء فقط، بل طمعوا في أكثر من ذلك وهو الزواج من بنات الخلفاء، فقد قام السلطان طغرلبك بالزواج من ابنة الخليفة "القائم بأمر الله" في سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) على مبلغ صداق (٤٠٠,٠٠٠) دينار[٢٥٥]، كما قدم الكثير من الهبات والهدايا من قبل السلطان طغرلبك إلى الخليفة، منها ثلاثون غلاماً تركياً، مع ثلاثين فرساً وخادمين، وفرس بمركب ومسرج من ذهب مرصع بالجواهر الثمينة، مع عشرة آلاف

دينار، ومثلها لكريمته، وعقد من الجوهر فيه ثلاثون حبة، وثن الحبة مثقال، مع إعطائها جميع ما كان للخاتون المتوفاة من الضياع بالعراق، وإرسال مبلغ ثلاثة آلاف دينار لوالدة العروس[٢٥٦].

كما شهدت بغداد احتفالاً كبيراً، فسارت مواكب العرس مصحوبة بالفرسان المرتدين الثياب الزاهية، حاملين السلاح بأيديهم، يتقدمهم موكب الوزير ورجالات الدولة، مع شحنة بغداد، وتم توزيع الأموال على المتواجدين في تلك المناسبة[٢٥٧].

وكان زواج الخليفة "المقتدي بالله" من خاتون ابنة "ملكشاه" سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) مناسبة لتقديم الهبات والهدايا والخلع، ومشاركة رجالات الدولة وعامة الناس في هذا الاحتفال، حيث أرسل الوزير أبو شجاع[٢٥٨] إلى بيت أهل العروس موكباً يحمل ثلاثمائة شمعة مع مشاعلها، يتقدم الموكب سعد الدين كوهرائين قائد شحنة بغداد[٢٥٩]، واصطحب الموكب جهاز العروس محملاً على مئة وثلاثين جملاً مجللاً بالديباج الرومي، يحمل الكثير من أواني الذهب والفضة[٢٦٠]، فضلاً عن أربعة وسبعين بغلاً مجللاً بالديباج الملكي، تحمل صناديق الذهب والفضة مع ثلاثين فرساً[٢٦١]، وكانت العروس في محفة مجللة وعليها من الذهب والجواهر ما لا تحصى قيمته، وقد أحاط بالمحفة ستة جارية تركية، بالمراكب العزيزة العجيبة، وخلع على الخاتون زوجة السلطان أم العروس[٢٦٢]، وتم نثر الأموال من الدنانير والدراهم على الحضور[٢٦٣]، وأقيم في تلك المناسبة الكثير من الأطعمة، ابتهاجاً بهذا العرس[٢٦٤].

وعند زواج الخليفة "المستظهر بالله" من ابنة ملكشاه الثانية سنة (٥٠٢هـ/١١٠٨م) زينت شوارع بغداد، وأغلقت الأسواق، ونشرت الطبول والأبواق، وانتشر صدى هذا الفرح في سائر أنحاء المدينة[٢٦٥].

وقد نقل جهاز العروس على مئة واثنين وسبعين جملاً، وسبعة وعشرين بغلاً تحمل الكثير من الأموال والجواهر[٢٦٦] مع أعداد من الجواري والخدم والمماليك، وتم نثر الأموال من دنانير ودراهم على الناس المحتشدين على طريق سير الموكب[٢٦٧].

وفي سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م) تزوج الخليفة "المقتفي" من فاطمة ابنة محمد بن ملكشاه، وشهدت تلك المناسبة نثر الأموال والجواهر، مع كميات من الكافور والعنبر، على الحاضرين، وعلى نفس المنوال تم توزيع العديد من الهدايا الصينية والحريرية[١].

ومن المصاهرات السياسية: زواج الخليفة "المستنجد بالله" في سنة (٥٦٢هـ/١١٦٦م) من ابنة عمه أبي نصر "المستظهر"[٢]، وتميز ذلك الزواج بإعادة الأواصر الاجتماعية التي أكدت على النسب الهاشمي، في دار الخلافة، وصاحب هذه المصاهرة احتفال واسع، تزامن مع الانتهاء من تشييد قصره، في شهر رجب من السنة نفسها[٣]، وحضر الاحتفال رجالات الدولة، وكثير من مشايخ الصوفية أيضاً، حيث اعتاد الخليفة المستنجد بالله أن يقيم لهم دعوة كل شهر رجب، وتغنى المغنون، ومما أنشد في تلك المناسبة:

تقولُ رجالُ الحي تطمعُ أن ترى ... محاسن ليلى موت بداء المطامع

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها وما أظهرتها المدامع[٤].

وشهد زواج السلاطين والأمراء تقديم الهدايا، ونثر الأموال من دراهم ودنانير[٥]، واحتفالات مصحوبة بمسير المواكب المزينة، وإقامة الولائم لتلك المناسبات[٦]، منها على سبيل المثال: زواج السلطان مسعود من سفري ابنة دبيس بن صدقة، وأقيم احتفال استمر سبعة أيام، تخلله توزيع الكثير من الهدايا وانخلع على الحضور والمهنئين بتلك المناسبة[٧].

وكان زواج الأمراء صورة واضحة لكثرة الهدايا في مثل تلك المناسبات، ففي سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٤م) تم زواج الأمير "علاء الدين الطيرسي" الدويدار الكبير، من ابنة "بدر الدين لؤلؤ" صاحب الموصل، على صداق قدره عشرون ألف دينار[٨]، وشهد هذا الزواج احتفالاً عسكرياً من قبيل التكريم له، فصُفّت المواكب العسكرية في شوارع بغداد، مع حضور رجالات الدولة وأمراء الأقاليم، واحتشد الناس في تلك اليوم

ونثرت الأموال[٩]، وقدم له الكثير من الهبات والهدايا، منها هدية الخليفة المستنصر بالله، وهي عبارة عن مولغ مئة ألف دينار، مع الكثير من الخلع، وضيعة قوسان[١٠].

وفي سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) تم زواج الأمير "مجاهد الدين بن الميامن أيبك" الخاص المستنصري، المعروف بالدويدار الصغير، وقُدِّمت له الكثير من الهدايا بتلك المناسبة، لاسيما أن زواجه جاء مع تولية الإمارة، فاجتمع له فرحتان، فرحة الإمارة وفرحة العرس[١١]، فمنحه الخليفة المستنصر بالله هدية، عبارة عن مبلغ ثلاثمائة ألف دينار[١٢]، مع الكثير من أواني الذهب والفضة والثياب والجواهر[١٣]، فضلاً عن ثلاثة خيول عربية أصيلة، قُدِّمت له من اصطبل خيول الخليفة، مع مركب ذهب ومسرج مرصعة بالجواهر[١٤].

كما قدمت له الكثير من الهدايا والتحف، من قبل المماليك الأتراك ورجالات الدولة، منها هدية الأمير شرف الدين إقبال الشرابي[١٥] وهي عبارة عن خمسة عشر فرساً مجللة بالثياب الملونة، مع ستين بقجة[١٦] بها فاخر الثياب، وصندوق احتوى على أنواع الطيب، وستة مماليك ترك، وقد قبل الهدية ورد عليها بإكرام الخادم الواصل بها، وأعطاه خمسمائة دينار، وهكذا كان يفعل مع كل هدية مرسلة له[١٧].

وكانت الوفود تأتي من مدن وأقاليم الدولة للمشاركة في تلك المناسبة وتقديم التهاني، منها وفد صاحب الموصل، برئاسة "بدر الدين لؤلؤ" (ت ٦٥٧هـ/١٢٥٨م) الذي قدم للخليفة "المستعصم بالله" هدية عبارة عن ثوبين أطلسين[١٨]، كما حضر وفد صاحب شهرزور "نور الدين أرسلان شاه"، ووفدا صاحب حلب، وصاحب اترزوم، لتقديم التهاني بتلك المناسبة[١٩].

كما انسم زواج بقية فئات المجتمع للعباسي بتقديم الهبات والهدايا، فكان زواج العامة يشهد إقامة الاحتفال طوال النهار، ويتم تقديم الهبات والهدايا من قبل الأهل والأقارب والأصدقاء، كل حسب مقدرته المادية المتاحة له، منها على سبيل المثال:

المشاركة في تقديم الحلي والزينة للعروس، أو المشاركة في تقديم الأطعمة المعدة لتلك المناسبة، ويتم نثر الأموال، ولكن بكميات أقل مما هو في زواج الأغنياء[١١٤].

مما سبق نستدل على أن مناسبات الزواج كانت من الأسباب التي تقدم فيها الهبات والهدايا، وعكست أيضاً حياة البذخ والمبالغة والفخامة، والروحة في تصوير تلك المناسبات، بحيث تصبح مضرباً للأمثال، بما احتوت عليه من الهبات والهدايا، والولائم المقامة فيها.

ب- الختان.

في سنة (٥٥٢هـ/١١٥٨م) تم ختان ولد الخليفة "المقتفي لأمر الله" مع جماعة من أبناء الأمراء، وأعطيت الخلع والتحف، ولم يبق أحد من رجالات الدولة إلا وحمل من التحف والهدايا، وهذا يشير إلى كثرة الهدايا المقدمة في تلك المناسبة، كما عُمِلَ سماط كبير للحاضرين[١١٥].

وفي سنة (٥٦٨هـ/١١٧٢م) تم ختان أولاد الخليفة "المستضيء بالله" مع عدد من أبناء الأمراء، وفرقت بتلك المناسبة خلع كثيرة، مع إعداد الكثير من الولائم المتنوعة، التي يولع فيّ وصفها فقيل: إنه تم ذبح أكثر من ثلاثة آلاف دجاجة، وألف رأس من الغنم، وعُمِلَت إحدى وعشرون ألف خشكنانكة، وأنواع أخرى من الحلويات، وخلع على رجالات الدولة والأمراء والفقراء، وكثير من الحضور[١١٦].

وفي سنة (٦٤٤هـ/١٢٤٦م) تم ختان ابني الخليفة "المستعصم بالله" وهما الأميران: أبو العباس أحمد، وأبو الفضل عبد الرحمن، مع عدد من أبناء الأمراء والقادة، للتفاؤل بتلك المناسبة، ومنهم الأمير علي بن أبي القاسم عبد العزيز المستنصر، وغازي بن الأمير أيبك الخاص الدويدار الصغير، وغازي بن الأمير

أصلان تكين الناصري، وقام بعملية الختان تلك: الحكيم مسعود بن القس ساعور، مدير – المستشفى – المارستان، وإخوة أبي الحسين، وخلع عليهم[١١٧].

وتم تقديم الهبات والهدايا والخلع على الحضور والمهنئين، من رجالات الدولة والأمراء وعامة الناس، فقد خلع بتلك المناسبة على شرف الدين إقبال الشرابي، وقد سيفين، وخلع على الأستاذ كافور الظاهري، وعلى جميع الخدم وعددهم أربعمائة، وعلى القراشين والبوابين، وحاشية دار التشريفات[١١٨]، كما قدمت للأميرين هدية: قرساً لكل منهما[١١٩]، ونثر شرف الدين إقبال الشرابي، بالمناسبة نفسها، من الأموال ما قدر بألف دينار، وأهدى ثياباً قيمتها خمسمائة دينار، كما أنعم على المقيمين بعشرة آلاف درهم[١٢٠].

وتكرر حفل الختان أيضاً، سنة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م)، حين تم ختان الأمير أبي المناقب ابن الخليفة المستعصم بالله، وختن معه جماعة من أبناء الأمراء والقادة، ومنهم الأمير أبو جعفر منصور بن الأمير أبي القاسم عبد العزيز بن المستنصر بالله، وكشلوخان بن الأمير الدويدار الصغير أبيك المستنصري، والأميران محمد الله وإسحاق ابنا الدويدار الكبير الطيرسي الظاهري، ونكي بن الأمير محمد بن قيران، وقدمت الهبات والهدايا والخلع لهم، فأنفذ مع ابن الخليفة صندوق به فاخر الثياب والزركش، ما قيمتهُ ثلاثة آلاف دينار، مع سبعة أكياس فيها سبعة آلاف دينار، ونفذ مع ولدي الدويدار كذلك، ونفذ مع ولد ابن قيران صندوق فيه ألف دينار، وثياب تناسب ذلك، كما خلع على الطبيب الذي تولى عملية الختان، وعلى ممتول التشريفات، وعلى وكيل الخليفة، وجمعت للخلع خلقاً كثيراً[١٢١].

ج- الاحتفال بالانتصارات العسكرية.

تحتل الانتصارات العسكرية دوراً مهماً في حياة الدولة، باعتبارها انحكاساً لقوة الدولة في تحقيق أمنها واستقرارها، ورفع معنويات الجند وقدراتهم الجهادية على

القتال[١٥٧]، إذا فقد عد تحقيق النصر العسكري، على الأعداء، مناسبة يحتفل بها من قبل الخلفاء والأمراء والولاة، بمشاركة فئات المجتمع، ويتم فيها تكريم القادة والجند[١٥٨].

وكان حكام الولايات والأقاليم يبعثون أخبار انتصاراتهم وفتوحاتهم العسكرية إلى الخلفاء العباسيين[١٥٩]. ففي سنة (٤١٠هـ/١٠١٩م) ورد الخليفة "القادر" كتاب من محمود الغزنوي، يبشره فيه بالانتصارات التي حققها في بلاد الهند، من فتح للقلاع والحصون[١٦٠]، مع إرسال الكثير من الهدايا والتحف، مع الرسول الحامل بشرى النصر، وقام الخليفة القادر بمنحه الألقاب تكريماً له، منها لقب (كهف الإسلام والدولة)[١٦١]، كما منحه الخليفة نفسه – عندما أرسل له خلعة السلطنة – لقب (سيف الدولة، ويمين الدولة)[١٦٢].

وكانت تلك الانتصارات، التي تحققت على الجبهة الهندية، قد أمدت الخلافة العباسية بدعم سياسي كبير، لأنها جاءت لتقابل التناقضات التي كانت موجودة في بعض أقاليم الدولة العباسية، في القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين، أمثال: سيطرة الروم على كثير من الأراضي التي كانت بأيدي العرب المسلمين[١٦٣].

إلا إن مجيء المعلاجة حقق بعض الانتصارات العسكرية، منها الانتصار الكبير الذي حققه السلطان "ألب أرسلان" (٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م) على الروم في معركة "ملاذكرد" سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) وتم دحر الجيش البيزنطي وأسر ملكهم[١٦٤]، الذي تم فداؤه بمبلغ ألف ألف وخمسمائة ألف دينار، وبكن أسير من المسلمين، ولما أطلقه خلع عليه[١٦٥].

وكانت تلك الانتصارات مناسبات تحظى بالفرح الغامر؛ الذي ينعكس صداه في مدن العالم الإسلامي، والعراق خصوصاً، إذ شهدت بغداد احتفالات، بتلك المناسبة، زينت فيها الأحياء السكنية، ونصبت القباب والأعلام، وضربت الطبول والأبواق، وكبر في المساجد والجوامع[١٦٦].

وتم مباركة ذلك النصر من قبل الخليفة "القائم بأمر الله" بكتاب التهنئة بالفتح، متضمناً منحه الخلع والألقاب الكثيرة تكريماً له، منها (السلطان الأعظم) و(ملك العرب والعجم) و(سيد ملوك الأمم) و(ضياء الدين) و(غياث المسلمين)[١٦٧].

وفي سنة (٥٤٧هـ/١١٥٢م) تم الانتصار على جيش السلطان "مسعود" الذي حاصر بغداد، بعد صمود المدينة بفضل خليفتها "المقتفي لأمر الله" وجهود وزيره ابن هبيرة، وتعاون أهلها، وعد ذلك الانتصار مناسبة للاحتفال، بأمر الخليفة، استمر لمدة سبعة أيام، تم خلالها إقامة الولائم للناس[١٦٨]، وتغنى الشعراء قصائد المدح، ومنهم العماد الأصبهاني، الذي نظم قصيدة بمدح الخليفة المقتفي، قال في مطلعها:

أضحكت ثغورُ النصرِ ثغرَ الظفرِ ... وغدت خيولُ النصرِ واضحةَ الغُرر[١٦٩]

د- الاحتفال بمجيء الوفود:

استقبلت بغداد، عاصمة الخلافة العباسية، الكثير من الوفود القادمة إليها من الأقاليم التابعة لها، والدول المجاورة، ولأسباب عديدة منها: عقد المواثيق والتحالفات، أومن أجل الصلح والفداء، أو لغرض إقامة مصالح مشتركة بين البلدين، عن طريق علاقات المصاهرة الاجتماعية، أو العلاقات الودية، لتقديم التهاني والتعازي[١٧٠].

وكان استقبال الوفود يتم ضمن مراسيم خاصة تتضمن تكريم الرسل، باعتبارهم ضيوفاً على دار الخلافة، فضلاً عن أن الاستقبال لهم يعكس فخامة الدولة وقوتها[١٧١].

وكانت تلك الوفود تأتي مصحوبة بأنواع من الهدايا والتحف، لكي تبرهن عن حُسن نواياها، وتعود مُحَمَّلة بالهدايا أيضاً[١٧٢].

ففي سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) قدم إلى بغداد وفد من ملك الروم قسطنطين السابع، لطلب فداء الأسرى بين الطرفين[١٧٣]، وكان الوفد يتكون من شاب وشيخ ويصحبهم عشرون غلاماً[١٧٤]، وقد خرج وزير الخليفة لاستقبالهم في موكب ضخم،

وتم تجهيز دار الخلافة لذلك الأمر[xxv]، وصنع الخليفة "المقتدر" الكثير من الهدايا للوفد، منها خمسون بدرة ورقاً فضة، وخلع عليهم ثياباً وطيلسة ومطارف خز مذهبة[xxvi]، كما خلع على أبي عمر الطرسوسي الذي رافق الوفد الخلع مع فرس عربي[xxvii].

وفي سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) وصل إلى بغداد وفد برئاسة مظفر الدين كوكبري صاحب اربل، فخرج لاستقباله وفدٌ مكون من نائب الوزارة، فخر الدين أحمد مؤيد القمي، مع قادة الجيش والقضاة وكبار المدرسين، من قبيل التكريم لصاحب الوفد[xxviii]، وحظي بمقابلة الخليفة "المستنصر بالله" وقلدهُ سيفين، وقدم له فرساً بمركب ذهب، ورفع وراءهُ سنجقان (علمان) مذهبان[xxix].

ولم يكتف أمراء البحرين وعمان بإرسال الرسل وما يحملونه من هذا، بل كان هناك تواصل لهؤلاء الأمراء مع الخلفاء، فقد وصل أمير البحرين محمد بن أحمد، سالكاً طريق البر إلى بغداد، وتزامن وصوله مع وصول صاحب هرمز، الذي وصل هو الآخر لكن من طريق البحر، واستمر بمسيره، وركب دجلة إلى بغداد، وذلك سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م وقد ازدحمت بغداد بأعداد كبيرة من عرب البحرين وهرمز. وبالمقابل أفاض الخليفة المستنصر[xxx] (٦٢٢-٦٤٠هـ/ ١٢٢٥-١٢٤٢م) على الناس وعلى الوفود: منة عطاياه المعتادة[xxxi]. ووصول أمير البحرين، أو غيره، له دلالات كبيرة تصب في مصلحة الطرفين، وتزيد من عمليات التبادل الاقتصادي فيما بينهم، كما تعمق من العلاقات والصلات بينهما.

الخاتمة:

تطرق البحث إلى الإهداءات المتبادلة بين الخلفاء العباسيين وحكام الأقاليم (١٣٢- ٦٥٦هـ/٩٧٠- ١٢٥٨م) ويمكن عرض أهم نتائج البحث على النحو التالي:

- أن خلفاء بني العباس كانوا يغدقون الأموال على حكام الأقاليم، وكان ذلك في شكل هدايا، وقد اقترنت هذه الهدايا، في الأغلب الأعم، ببعض المناسبات مثل: إخماد حركات التمرد في مصر، أو تقديم خراج الإقليم، أو الانتصارات، أو إلقاء قصائد المدح في الخليفة.

- أن ولاة الأقاليم كانوا يظهرون ولاءهم، وتقربهم من الخليفة، من خلال تقديم الهدايا، وذلك لتقوية مراكزهم السياسية، وقد تنوعت هدايا الولاة للخلفاء، ما بين الأموال ونفائس المعادن والآنية المصنوعة من الياقوت الأحمر، وغيره من المعادن النفيسة، كما تخللت هذه الهدايا الأموال والمعادن إلى إهداء الجواري والغلمان.

- تنوعت المناسبات التي تقدم من الخلفاء إلى حكام الأقاليم، أو العكس، ما بين الزواج والختان، أو الاحتفال بالانتصارات العسكرية، أو قدوم الوفود إلى الخلفاء، لعقد المواثيق والتحالفات، أو الصلح أو الفداء، أو إقامة اتفاقيات ومصالح مشتركة بين البلدان، أو تقديم التهاني والتعازي.

ملحق رقم (٩)

أسماء خلفاء العصر العباسي الأول

(١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٤٩-٨٤٧م) [cii]

١- أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٤٩-٧٥٤م).

٢- أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٤م).

٣- محمد المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م).

٤- موسى الهادي (١٦٩-١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م).

٥- هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٨م).

٦- محمد الأمين بن الرشيد (١٩٣-١٩٨هـ/ ٨٠٨-٨١٣م).

٧- عبد الله المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م).

٨- المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤١م).

٩- الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤١-٨٤٧م).

ملحق رقم (١٠)

أسماء خلفاء العصر العباسي الثاني

(٢٣٢-٦٥٦هـ/ ٨٤٧-١٢٥٨م) [ciii]

١- المتوكل (٢٣٢-٢٤٨هـ/ ٨٤٧-٨٦١م).

٢- المنتصر بن المتوكل (٢٤٧-٢٤٨هـ/ ٨٦١-٨٦٢م).

٣- المستعين (٢٤٨-٢٥٢هـ/ ٨٦٢-٨٦٩م).

٤- المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥هـ/ ٨٦٦-٨٦٨م).

٥- المهتدي (٢٥٥-٢٥٦هـ/ ٨٦٨-٨٦٩م).

٦- المعتمد (٢٥٦- ٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م).

٧- المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠٢م).

٨- المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠٢-٩٠٨م).

٩- المقتدر (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م).

١٠- القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ/ ٩٣٢-٩٣٤م).

١١- الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٤-٩٤٠م).

١٢- المتقي (٣٢٩-٣٣٣هـ/ ٩٤٠-٩٤٤م).

١٣- المستكفي (٣٣٣هـ-٣٣٤هـ/ ٩٤٤-٩٤٦م).

١٤- المطيع (٣٣٤-٣٦٣هـ/ ٩٤٦-٩٧٤م).

١٥- الطائع (٣٦٣-٣٨١هـ/ ٩٧٤-٩٩١م).

١٦- القادر (٣٨١-٤٢٢هـ/ ٩٩١-١٠٣١م).

١٧- القائم (٤٢٢-٤٦٧هـ/ ١٠٣١-١٠٧٥م).

١٨- المقتدي (٤٦٧-٤٨٧هـ/ ١٠٧٥-١٠٩٤م).

١٩- المستظهر (٤٨٧-٥١٢هـ/ ١٠٩٤-١١١٨م).

٢٠- المسترشد (٥١٢-٥٢٩هـ/ ١١١٨-١١٣٥م).

٢١- الراشد (٥٢٩-٥٣٠هـ/ ١١٣٥-١١٣٦م).

٢٢- المقتفي (٥٣٠-٥٥٥هـ/ ١١٣٦-١١٦٠م).

٢٣- المستنجد (٥٥٥-٥٦٦هـ/ ١١٦٠-١١٧١م).

٢٤- المستضيء (٥٦٦-٥٧٥هـ/ ١١٧١-١١٨٠م).

٢٥- الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٨٠-١٢٢٥م).

٢٦- الظاهر (٦٢٢-٦٢٣هـ/ ١٢٢٥-١٢٢٦م).

٢٧- المستنصر (٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٢٦-١٢٤٢م).

٢٨- المستعصم (٦٤٠-٦٥٦هـ/ ١٢٤٢-١٢٥٨م).

ملحق رقم (٣)

البويهيون في العراق[٤٧]

١- معز الدولة أبو الحسين (٣٣٤-٣٥٦هـ/٩٤٥-٩٦٦م)

٢- عزالدولة أبو منصور بختيار (٣٥٦-٣٦٧هـ/٩٦٦-٩٧٧م)

٣- عضد الدولة ابو شجاع فنلخسرو (٣٦٧-٣٧٢هـ/٩٧٧-٩٨٢م)

٤- صمصام الدولة أبوكاليجار المرزبان (٣٧٢-٣٧٦هـ/٩٨٢-٩٨٦م)

٥- شرف الدولة ابو الفوارس (٣٧٦-٣٧٩هـ/٩٨٦-٩٨٩م)

٦- بهاء الدولة أبو نصر فيروز (٣٧٩-٤٠٣هـ/٩٨٩-١٠١٢م)

٧- سلطان الدولة أبو شجاع (٤٠٣-٤١٢هـ/١٠١٢-١٠٢١م)

٨- مشرف الدولة أبوعلي الحسن (٤١٢-٤١٦هـ/١٠٢١-١٠٢٥م)

٩- جلال الدولة أبو طاهر (٤١٦-٤٣٥هـ/١٠٢٥-١٠٤٣م)

١٠- عماد الدين أبوكاليجار المرزبان (٤٣٥-٤٤٠هـ/١٠٤٣-١٠٤٨م)

١١- الملك الرحيم أبونصر خسرو فيروز (٤٤٠-٤٤٧هـ/١٠٤٨-١٠٥٥م)

هوامش البحث:

(١) الصابي: رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٢٥-٢٦.
(٢) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ١٩٩٤م، ج ١٥، ص٣٥٧.
(٣) الفيومي: المصباح المنير، دار النشر المكتبة العلمية، ج١، ص ٧٨٣-٧٨٤.
(٤) الترمذي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٤، ص٣١٠.
(٥) سورة الفرقان: آية ٣١.
(٦) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م، ج٢، ص٩٨٩.
(٧) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، طهران، ١٨٦٢، جـ٢، ص٤٣٠.
(٨) الثعالبي: لطائف المعارف، تحقيق د/ عمر الأسعد، بيروت، ١٩٠٠م، ص٢٢. انظر الملحق الأول من ملاحق البحث.
(٩) الأصفهاني: الأغاني، أشرف عليه، محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ج٢، ص ١٢٣؛ في رواية الخطيب البغدادي ثلاثة ملايين دينار. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج٩، ص٤٨٤.
(١٠) موفق سالم نوري: هبات الخلفاء العباسيين وعطاياهم، مجلة المجمع العلمي العراقي، م٤٦، ج٤، بغداد، ١٩٩٩، ص٦٦٧.
(١١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، ١٩٧٩م، ج٣، ص٢٦١.
(١٢) نفسه، ج٣، ص٢٦١.
(١٣) الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك، تصحيح: مكي السيد جاسم، بغداد، د.ت، ص٢٢١؛ عمر فروخ: أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله، بيروت، ١٩٧٤م، ص٧٣.
(١٤) أبو تمام: ديوانه، تحقيق: محمد عبد عزام، القاهرة، ١٩٦٤م، ج١، ص ٤.
(١٥) بدري لهيد: تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٣م، ص٢٥٣، ٢٧٦.
(١٦) ابن الزبير: الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، مراجعة: د.صلاح الدين المنجد، منشأة التراث العربي، الكويت، ١٩٥٩م، ص٢٢؛ صلاح الدين المنجد: بين الخلفاء والخلفاء في العصر العباسي، ط٢، بيروت، ١٩٧٤م، ص٥٨.
(١٧) ابن الزبير: الذخائر والتحف، ص١٩.
(١٨) نفسه، ص٢٩.
(١٩) نفسه، ص ٢٢-٢٣.
(٢٠) نفسه، ص٣٦-٣٧.
(٢١) التنوخي: نشوار المحاضرة، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت، ١٩٧٣م، ج٨، ص١٤٥-١٤٦.
انظر الملحق الثاني من ملاحق البحث.
(٢٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف أسعد داغر، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٥م، ج٤، ص١٢٤-١٢٥؛ بينما يشير الأصفهاني إلى أن عدد الجواري أربعمائة جارية، الأغاني، ج٢/٢٢-٢٠.
(٢٣) الأصفهاني: الإماء الشواعر، تحقيق: نوري حمودي القيسي وياسين أحمد السامرائي، ط١، بيروت، ١٩٨٤م، ص٨٦.
(٢٤) الجاحظ: المحاسن والأضداد، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٦٩م، ص١٨.

(٢٥) عمان: تقع بلاد عمان في الركن الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، وهي تطل على كل من البحر العربي والخليج العربي، وهي تتصل من الشمال بالبحرين، ومن الجنوب بالشحر، أما من الغرب فهي تتصل بالربع الخالي، ومن الطبيعي أن حدودها في الشرق والجنوب الشرقي هي البحر. عبد الرحمن عبد الكريم الغافي: عمان في العصور الإسلامية، منشورات جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٧م، ص٢٧.
(٢٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، ج١٠ص١٤٠-١١٤٩؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، الموصل، ١٩٨٨م، ص١٢٢ وما بعدها.
(٢٧) مؤلف مجهول: كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج١، تحقيق: ليلى عبد المنعم داود، مطبعة التعمان، العراق، ١٩٧٢م، ص٢٧٢.
(٢٨) جزيرة قيس (كيش): أهم مراكز التجارة في الجانب الشرقي للخليج العربي في العصر العباسي، انحصر دور أهلها في الوساطة التجارية، وقد خاضت جزيرة قيس حروب طاحنة ومستمرة مع صاحب هرمز وذلك سنة ٦١١هـ/١٢١٤م. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صفر، بيروت، ١٩٦٥م، ج١٢، ص ٣٠٣-٣٠٤.
(٢٩) ابن الساعي: الجامع المختصر في عيون التواريخ وعيون السير، تحقيق: مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤م، ج٩، ص٣٦٢ وما بعدها.
(٣٠) وكانت هذه الأموال تصرف من بيت مال المسلمين، وبالتالي فهي أموال المسلمين، وهذا ما نبه له الخليفة عمر بن عبد العزيز، فقد كان متحفظا تجاهه_كما ورد آنفاً_في حين يلاحظ أن خلفاء العصر الراشدي كانوا أكثر حفاظا على أموال الناس، يؤكد ذلك قول الخليفة عمر بن الخطاب (رض) عندما غذ أموال المسلمين بمثابة مال اليتيم ينبغي الحفاظ عليها وعلى مشروعية توزيعها. ابن سلام: الأموال، تحقيق، محمد خليل هيرا، ط١، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٥، ٢٩٧، ٣٥٥.
(٣١) جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، ١٩٦٦م، ص ٢٧.
(٣٢) الشابشتي: الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٧٥-١٧٦.
(٣٣) الصابي: رسوم دار الخلافة، ص١٣٩؛ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج١، ص٣٩؛ البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م، ص١٣.
(٣٤) ابن مسكويه: تجارب الأمم، تصحيح: هـ.ف. امدروز، مصور بالوفست مكتبة المثنى، بغداد، ج١، القاهرة، ١٩١٤م، ج٦، ص٤١٤.
انظر الملحق رقم (٣) من ملاحق البحث.
(٣٥) حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد، ١٩٦٥م، ص٦١.
(٣٥أ) ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ط١، مطبعة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م، ج١٢، ص٦٨.
(٣٦) ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الملوك والأمم، مطبعة دار المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، ج٨، ص٢٢٦.
(٣٧) نفسه، ج٨، ٢٢٦؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٧٠هـ، ج٨، ص٩٥.
(٣٨) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ١٦٠.

(٤٨) هو ظهير الدين أبو شجاع الروذراوري محمد بن الحسين بن عبد الله، من الوزراء الذين اشتهروا بأعمال البر والإحسان، توفي سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م). ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٩٠.

(٤٩) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص١٠.

(٥٠) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٣٦.

(٥١) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص١٦٠؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص٤٤٥.

(٥٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص٤٤٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٣٢-١٣٣.

(٥٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٣٦.

(٥٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٣٣.

(٥٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص١٦٥-١٦٦.

(٥٦) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٤٨٣-٤٨٤.

(٥٧) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية المسمى زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد إقبال، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٤م، ص ١٧١.

(٥٨) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص٦٧؛ البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٧٩.

(٥٩) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص٢٦٧.

(٦٠) نفسه، ج٨، ص٤٦٧؛ بدري فهد: تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٣م، ص ٤١٨.

(٦١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص٣٦٧.

(٦٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص١٦٥.

(٦٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص٢٧٣.

(٦٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١١٣.

(٦٥) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٥٥م، ص ٧٢.

(٦٥أ) نفسه، ص٧٢.

(٦٥ب) نفسه، ص٧٢.

(٦٦) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٧٢؛ بدري فهد: تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، ص ٢٧٦-٢٥٢.

(٦٧) الغساني: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، جزءان، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، ١٩٧٥م، ج٢، ص٤٧٦.

(٦٨) نفسه، ج٢، ص٤٧٦.

(٦٩) بدري فهد: تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، ص ٢٧٦.

(٧٠) هو أبو الفضائل شرف الدين إقبال الشرابي، كان مملوك الخليفة المستنصر بالله واشتهر بأعمال البر والإحسان من تعمير الربط والمدارس، كما كان أشهر قادة الخليفة المستعصم في مقاومة المغول وتوفي سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م). الغساني: العسجد المسبوك، ج٢، ص٦١٣.

(٧١) بلجة: هي كلمة معربة وتعني وعاء من قضاض توضع به الثياب أو الثوب النفيس. شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٧٩.

(٧٢) الغساني: العسجد المسبوك، ج٢، ص٤٧٦.

(٧٣) نفسه، ج٢، ص٥١٣.

(٧٤) نفسه، ج٢، ص٥١٣.

(٧٥) مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٠م، ص٢٩.

(٧٦) نفسه، ج١٠، ص١٨١.

(٧٧) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص٢٤؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص٢٩٣.

(٧٨) الغساني: العسجد المسبوك، ج٢، ص٥٤٤.

(٧٩) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٢٤٥.

(٨٠) الغساني: العسجد المسبوك، ج٢، ص٥٤٤.

(٨١) نفسه، ج٢، ص٥٤٤.

(٨٢) نفسه، ج٢، ص٥٨٦.

(٨٣) ابن الأثير: الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر طليمات، القاهرة، ١٩٦٣م، دار الكتب الحديثة، ومكتبة المثنى، بغداد، ص١١٣.

(٨٤) نفسه، ص١١٣.

(٨٥) ابن الأثير: الباهر، ص١١٤-١١٥.

(٨٦) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري، بيروت، د.ت، ج٣، ص١٨٩.

(٨٧) الدينوري: تاريخ الخميس في أحوال النفس نفيس، مؤسسة الشعب، بيروت، د.ت، ج٢، ص٣٥٦.

(٨٨) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٥، ص٤٦٢؛ حسن الجفة: الوجيز في تاريخ إيران، ط١، بغداد، ٢٠٠٣م، ج٢، ص١١٣.

(٨٩) Bosworth: Mohamud of Ghazan in Contemporary eyes and in Later Persian Literature, A lecture given at the British of Persian Studies, Vol. 4, Tehran, 1977, p. 89.

(٩٠) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٦٦.

(٩١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٣، ص٣١١.

(٩٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص٣٦٤.

(٩٣) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص١٩٥.

(٩٤) نفسه، ج٩، ص٣٨.

(٩٥) الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء العراق، تحقيق: محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٤، وقسم شعراء الشام، تحقيق: شكري فيصل، دمشق، ١٩٥٩م، ج١، ص٣٦.

(٩٦) ابن الطقطقا: رسم الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧م، ج٢، ص١٥٢-١٥٣.

(٩٧) الصابي: رسوم دار الخلافة، ص٩١.

(٩٨) المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، الجزء الثاني، القاهرة، ١٢٧٠هـ، ج١، ص٣٠٤.

(٢٥٥) الصابي: رسوم دار الخلافة، ص١٤.
(٢٥٦) ابن الساعي: الجامع، ص٢٦٩.
(٢٥٧) ابن الزبير: الذخائر والتحف، ص١٣٨.
(٢٥٨) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٩، ص١٠٥؛ إبراهيم أحمد العدوي: العمارات الإسلامية في أوربا في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٥٧م، ص٩٠.
(٢٥٩) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٤١.
(٢٦٠) نفسه، ص٢٦.
(٢) تولى المستنصر بالله أبو جعفر الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م وحكم مدة سبعة عشر سنة وخمسة بصفات طيبة توفي سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م. ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٤٥٨؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٦٤٣.
(٢٦١) ابن الساعي: الجامع، ص٢٦٩.
(٢٦٢) فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، السقوط والانهيار، دار الشروق، عمان، الأردن، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٧١-٢٧٢.
(٢٦٣) نفسه، ج٢، ص٢٧٢-٢٧٦.
(٢٦٤) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن، حسن أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٢٢-٣٣٣؛ كليفورد ـ أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دراسة في التاريخ والأنساب، ترجمة حسين علي اللبود، مراجعة سليمان إبراهيم العسكري، الشراع العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٤٣.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر:

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

- الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر طليمات، القاهرة، ١٩٦٣م، دار الكتب الحديثة، ومكتبة المثنى، بغداد.
- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

الأربلي، عبد الرحمن سنبط قديتو، (ت٧١٧هـ/١٣١٧م):

- خلاصة الذهب المسبوك، تحقيق: علي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الكاتب (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م):

- الأغاني، أشرف عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- الإماء الشواعر، تحقيق: نوري حمودي قيسي ويونس أحمد السامرائي، ط١، بيروت، ١٩٨٤م.

الأصفهاني، عماد الدين الكاتب، (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

- خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء العراق، تحقيق: محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٤م، وقسم شعراء الشام، تحقيق: شكري فيصل، دمشق، ١٩٥٩م.

البنداري، قوام الدين الفتح بن علي (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م):

- تاريخ دولة آل سلجوق، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م.

الترمذي:

- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

- ديوانه، تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة، ١٩٦٤م.

التنوخي، أبو علي المحسن بن أبي القاسم (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م):

- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣.

التهانوي، محمد علي بن محمد حامد الفاروقي، (ت بعد ١١٥٨هـ/١٧٤٥م):

- كشاف اصطلاحات الفنون، مصححة: المولوية محمد وجيه وعبد الحق وغلام قادر، طبعة بنكال، طهران، ١٨٦٢.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م):

- لطائف اللطف، تحقيق د/ عمر الأسعد، بيروت، ١٩٠٠م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م):

- المحاسن والأضداد، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٦٩م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

- المنتظم في أخبار الملوك والأمم، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

الحسيني، صدر الدين أبو الحسن علي بن أبي الفوارس (ت بعد ٦٢٤هـ/١٢٢٦م):

- أخبار الدولة السلجوقية المسمى زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد إقبال، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٤م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م):

- تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

الدينوري، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ/١٥٥٨م):

- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة الشعب، بيروت، د.ت.

ابن الزبير، أبو الحسن أحمد بن القاضي الرشيد (ت في القرن الخامس للهجرة، الحادي عشر للميلاد):

- الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، مراجعة: د.صلاح الدين المنجد، سلسلة التراث العربي، الكويت، ١٩٥٩م.

ابن الساعي، تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب الخازن البغدادي، (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م):

- الجامع المختصر في عيون التواريخ وعيون السير، ج٩، تحقيق: مصطفى جواد، المطبعة السريانية للكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤م.

سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابن المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م):

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٧٠هـ.

ابن سلام، أبو عبيد الله القاسم:

- الأموال، تحقيق، محمد خليل هراس، ط١، بيروت، ١٩٨٦م.

الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م):

- الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، ط٣، بيروت، ١٩٨٦م.

الصابي، أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م):

- رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، بيروت، ١٩٨٦م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م):

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري، بيروت، د.ت.

القلقشندي، شهاب الأشراف عماد الدين أبو العباس إسماعيل (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م):

- المسعود المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، جزءان، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، ١٩٧٥م.

ابن القراء، أبو علي الحسين بن محمد (ت في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد):

- رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧م.

ابن القوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق البغدادي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م):

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٥٥م.

القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):

بدري فهد:
- تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٣م.

جمال الدين سرور:
- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، ١٩٦٦م.

حسن الجاف:
- الوجيز في تاريخ إيران، ط١، بغداد، ٢٠٠٣م، ج٢.

خليل إبراهيم السامرائي وآخرون:
- تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، الموصل، ١٩٨٨م.

صلاح الدين المنجد:
- بين الخلفاء والخلفاء في العصر العباسي، ط٢، بيروت، ١٩٧٤م.

عبد العزيز الدوري:
- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٤، (بيروت: ١٩٩٩)، مركز دراسات الوحدة العربية.

عمر فروخ:
- أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله، بيروت، ١٩٦٤م.

فاروق عمر أوزي:
- الخلافة العباسية، السقوط والانهيار، دار الشروق، عمان، الأردن، ١٩٩٨م.

مليحة رحمة الله:
- الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٠م.

موفق سالم نوري:
- هبات الخلفاء العباسيين وعطياتهم (١٣٢-٣٢٤هـ)، مجلة المجمع العلمي العراقي، م٤٦، ج٤، بغداد، ١٩٩٩.

ثانياً: المراجع الأجنبية المترجمة

زامباور:
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن، حسن أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٠م

- صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م):
- مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، تحقيق: كوركيس عواد وميخائيل عواد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٢م.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):
- البداية والنهاية في التاريخ، ط١، مطبعة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م):
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف أسعد داغر، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٥م.

مسكويه، أبو علي أحمد (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م):
- تجارب الأمم، تصحيح: أمدروز، مصور بأوفسيت مكتبة المثنى، بغداد، ج٦، القاهرة، ١٩١٤م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):
- "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار"، المعروف بالخطط المقريزية، الجزء الثاني، القاهرة، ١٢٧٠هـ. وأيضاً نسخه أخرى، طبعة القاهرة، ١١٧٦هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري (ت ٧١١هـ/١٣١١م):
- لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

مؤلف مجهول:
- كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج٤، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٢م

ثانياً: المراجع العربية

إبراهيم أحمد العدوي:
- السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٥٧م.

إبراهيم مصطفى وآخرون:
- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.

أمين، حسين:
- تاريخ العراق في العصر السلجوقي، (بغداد: ١٩٦٥)، مطبعة الإرشاد.

كليفورد – أ– بوزورث:
– الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دراسة في التاريخ والأنساب، ترجمة حسين علي اللبود، مراجعة سليمان إبراهيم العسكري، الشراع العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٥م

Bosworth:
- Mohamud of Ghazan in Cumtemporary eyes and in Later Parsian Literature, A lecture given at the British of Persian Studies, Vol. 4, Tehran, 1977.

النشاط التجاري للإمبراطورية المغولية وآثاره على الشرق الإسلامي

د. آمال سليمان عبد الحميد الروبي
أستاذ بكلية الآداب جامعة

مقدمـــة: لقد تأثرت حركة التجارة في الشرق الإسلامي، إلى حد كبير، بعد غزوات المغول، فقد نشطت عما كانت عليه من قبل، وسهلت عملية التقارب بين القارتين الآسيوية والأوروبية، مما سهل عملية الاتصال بين الشرق والغرب، وخاصة إذا علمنا أن الحملات العسكرية يتبعها عادة فترة هدوء؛ تمتزج فيها حضارة كل من الغالب والمغلوب، وتؤثر إحداهما في الأخرى وتتأثر بها.

وإذا اطلعنا على ما كتب عن تاريخ المغول؛ وجدنا معظمه يركز على التاريخ السياسي والعسكري. وأغلبه حول صراعات بين المغول والدول المجاورة، ولا نكاد نجد حديثاً عن الجانب الاقتصادي.

فقد استطاع المغول، خلال فترة وجيزة، بسط نفوذهم على أراض واسعة، وتكوين إمبراطورية ضمت أراضي مترامية الأطراف، ضمنت الصين، وكوريا، وسط آسيا، وبلاد فارس، والعراق، بالإضافة إلى الهند. وقد ساعدهم في ذلك عدة عوامل، كان من بينها النشاط التجاري، الذي عمل خانات المغول على الاهتمام به، وتنشيطه خلال فترات حكمهم، وهو ما كان له الأثر الكبير في منطقة الشرق الإسلامي.

ومن هذا المنطلق؛ سنحاول في هذا البحث دراسة النشاط التجاري للإمبراطورية المغولية بشكل عام، مع التركيز، بشكل خاص، على منطقة الشرق الإسلامي، وما كان لفترة حكمهم من أثر، بشكل أو بآخر، على تاريخ التجارة في هذه الفترة.

وفق ما تقدم، سنيطرح موضوعَ النشاط التجاري للإمبراطورية المغولية، وأثرها في المشرق الإسلامي، على ضوءِ المحاور الآتية:

أولاً: أوضاع المشرق الإسلامي قبيل مجيء المغول.

ثانياً: المغول والتجارة.

ثالثاً: جهود المغول في تنشيط حركة التجارة.

رابعاً: تجارة المغول وتأثيرها في المشرق الإسلامي.

أولاً: أوضاع المشرق الإسلامي قبيل مجيء المغول.

كان المشرق الإسلامي، إبان غزوات المغول، في حالة شديدة من الضعف والتخاذل، بشمل مناطق تسودها الفتن والدسائس، وتتنازعها الأهواء والأغراض، تتصارع فيها المذاهب والآراء، ويسيطر عليها حكام متنازعون.

وقد أدى اعتماد الخلفاء العباسيين على العنصر الفارسي[1]، وإبعاد العنصر العربي، إلى تضاؤل نفوذهم أمام هذا العنصر، والذي كاد أن يقضي على الدولة العباسية، ونتيجة لذلك، استعان العباسيون بعنصر جديد وهم الأتراك[2]، الذي لم يثبت أن أذل الخلفاء، وتحكم في دولتهم، وأزال هيبتهم، ولولا حاجة هؤلاء الأتراك إلى الاستناد إلى قوة شرعية تشد أزرهم، لكان من المحقق أن تزول الخلافة العباسية من بغداد على أيديهم.

ترتب على الوهن الذي أصاب الخلفاء العباسيين في بغداد، أن ضعفت سلطتهم على دولتهم الشاسعة في الشرق والغرب، ومن ثم انقسام دولتهم إلى دول ودويلات[3] متعادية متنافرة، تتوسع إحداها على حساب الأخرى، ولم تكن الدولة الخوارزمية إلا إحدى هذه الدول؛ التي ظهرت في فترة ضعف الخلافة العباسية.

حين بدأ الضعف يدب في الدولة السلجوقية[4]، التي أخذت في الانهيار بعد وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه، بدأت تظهر في أنحاء الشرق دول مستقلة على

حساب الدولة السلجوقية، وكانت الدولة الخوارزمية التي أسسها "تونتكين" من بين هذه الدول. وقد سعت الدولة الخوارزمية إلى التوسع على حساب القوى الموجودة في ذلك الوقت، والمتمثلة في الدولة السلجوقية والدولة الغورية[5]، واصطدمت مع دولة الخطا[6] في الشرق، ومع الخلافة العباسية في الغرب. كما قوي نفوذ الإسماعيلية في إيران تحت قيادة الحسن بن الصباح، الذي أخذ في الاستيلاء على كثير من البلاد والقلاع المجاورة في "كوهستان"، وكانت أهمها قلعة الموت التي استولى عليها في عام (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)، فصارت عاصمة للإسماعيلية وقاعدة لملكهم. وقد اشتهر الإسماعيلية في التاريخ بأنهم قوم محاربون أشداء، بثوا الرعب في النفوس، وعاثوا في الأرض فساداً، وقاوموا سلاطين السلاجقة والخوارزمية، واهتزت بسببهم السلطنة والخلافة[7]. وهكذا أدى اتساع نشاط هذه الطائفة، في المشرق الإسلامي، إلى إضافة عامل جديد قوي إلى عوامل التفكك، التي تعرضت لها البلاد في عصر الحروب الصليبية.

وبسبب اضطراب الأوضاع السياسية في المشرق الإسلامي، فقد انصرف اهتمام الخلفاء العباسيين، وحكام الولايات الإسلامية، عن النشاط التجاري، فاختل الأمن، وانتشرت الفوضى على طول الطرق التجارية التي كان يسلكها التجار، مما أثر في الاتصال التجاري بين شرق وغرب ووسط آسيا. كذلك أدت حاجة السلاطين والخلفاء إلى المال، إلى كثرة فرض الضرائب والمكوس على التجار، وليس أدل على ذلك مما ذكره "السيوطي" من أن فقيهاً خرج من سمرقند، في أيام الخليفة الناصر، يقصد الحج على فرس جميلة، فقال له أهله: لو تركتها عندنا لئلا تؤخذ منك في بغداد[8]. فيبدو أن جشع الخليفة صار مضرب الأمثال، وأصبح الناس يتقونه لدرجة أنهم يخافون على فرس يركبها رجل بقصد الحج، فترتب على هذا أن يخاف التجار على تجارتهم، ويجعلهم لا يقدمون إلى العراق. ومهما يكن من أمر، فقد

كانت هذه الفترة تعاني كساداً في التجارة؛ وذلك بسبب الحروب التي خاضها الخوارزميون من أجل فرض سيطرتهم على الخلافة العباسية.

ثانياً: المغول والتجارة:

في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، ظهر في الشرق الأقصى عامل كان له أثر كبير وخطير في العالم الإسلامي، وهم المغول. والمغول مجموعة من القبائل الرُحّل نشأت في هضبة منغوليا، وكانت هذه القبائل في حالة حرب مع جيرانها، وخاصة التتار، وقد تمكن يسوكاي، ومن بعده ابنه جنكيزخان، من الانتصار على التتار، وباستطاع أيضاً إخضاع القبائل المنتشرة في صحراء جوبي.

تمكن القائد المغولي جنكيزخان، الذي اختاره المغول ليكون إمبراطوراً عليهم، من تكوين إمبراطورية مترامية الأطراف، اتخذت من قراقورم في أواسط منغوليا عاصمة لها. واستطاع في الشمال الاستيلاء على بكين عاصمة الإمبراطورية الصينية، في عام (٦١٣هـ/ ١٢١٥م)، وفي الغرب استولى على دولة الختا، وكانت أملاكه تقع في إقليم ما وراء النهر على حدود البلاد الإسلامية، حيث أصبحت الإمبراطورية المغولية تجاور أملاك الدولة الخوارزمية[٢٤].

فضل جنكيزخان أن تقتصر علاقته مع الدولة الخوارزمية على العلاقات التجارية، وتبادل الجانبان السفارات إلى أن استقر الصلح بينهما، غير أن أطماع سلطان الدولة الخوارزمية "محمد خوارزمشاه" السياسية، المتمثلة في القضاء على المغول، بدّل بهذه العلاقات الطيبة علاقات عدائية، ولم يكن من بين مطامعه السياسية هذه المصالح التجارية لبلاده، وخاصة إذا علمنا أن التجارة مع هذه الشعوب الحضرية، بالنسبة للمغول، ذوي الطابع البدوي، ذات أهمية كبيرة، وسوف تعود بالفائدة عليهم، وهنا لا بد من الوقوف قليلاً عند هذه النقطة.

كانت للتجارة عند المغول أهمية كبيرة، ولا سيما أن منطقة منغوليا، وهي الموطن الذي نشأ فيه المغول، ذات طبيعة جدباء لا تصلح للزراعة؛ تلك أن تربتها جافة، نتيجة لتعرضها لرياح القبلي في فصل الصيف، وفي الشتاء تتعرض للرياح الباردة، أضف إلى ذلك كثرة الحصى المنتشرة التي تغطي هذه التربة، مما جعل المغول يتجهون إلى الاهتمام بالتجارة. ولا ننسى الدور الذي قام به التجار الذين كانوا يترددون على الصين، ويمرون خلال منطقة منغوليا، وقد التحق عدد كبير منهم بخدمة جنكيزخان، في البدايات الأولى من تكوين الإمبراطورية المغولية، وكان للولاء أثر كبير في تشجيع حركة التجارة[٢٦].

وهكذا نرى مدى أهمية الجانب الاقتصادي في استقرار الشعوب، ولذلك سعى جنكيزخان إلى تعزيز أواصر الصداقة بينه وبين الدولة الخوارزمية، وكان يهمه، بصفة خاصة، حرية التجارة، وتبادلها بين الشرق والغرب على أوسع نطاق، وأن ينهيا للتجارة الحرية في الانتقال من إقليم إلى آخر، إذ إن للتجارة مع الشعوب المستقرة أهمية بالغة عند هؤلاء، وبذلك التقت المصالح التجارية عند كل من جنكيزخان وتجار المسلمين والأويغور، الذين كانوا يقومون بنقل الحبوب من منغوليا، إلى القرى والمدن الموجودة على نهر ينسي[٢٧]. ولما توطد الحكم المغولي في الشرق الإسلامي، سعى خلفاء جنكيزخان إلى نهج سياسة الاهتمام بالتجارة وبالجوانب الاقتصادية الأخرى.

بدأ جنكيزخان اتصاله بالمسلمين عن طريق إرسال سفارة، وقافلة تجارية، إلى الغرب، ووفقاً لقول النسوي فقد استقبل خوارزمشاه هذه السفارة، حين عودته من العراق عام (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، بعد أن فشل في مواجهة الخلافة العباسية، وكان على رأس هذه السفارة محمود الخوارزمي[٢٨] ، وعلي خواجا البخاري، ويوسف كتكا الأترابي، وهذه الشخصيات الثلاث كانت، على التوالي، من أهل بلاد ما وراء النهر عامة وخوارزم خاصة، وهنا يمكن القول: إن جنكيزخان كان حريصاً على

لختيار سفرائه، المرسلين إلى سلطان خوارزمشاه، من جهة، وعلى أن يكون هؤلاء السفراء من المسلمين من جهة ثانية.

ولقد حملهم جنكيزخان من الهدايا، التي تنتجها آسيا الوسطى، الشيء الكثير، فاستقبلهم خوارزمشاه في مدينة بخارى، وكان هؤلاء السفراء يحملون رسالة من جنكيزخان تتضمن المسالمة والمودعة، وسلوك مسلك المجاملة[٢٧٤]، لتكون هذه الرسالة من ثم قد عززت مبدأ التبعية الذي يؤكد قوة جنكيزخان من جهة، وحرصه على إقامة علاقات تجارية، وفتح الطريق التجاري بين مناطقه والمناطق الغربية من جهة أخرى، بعد أن سيطر على أراض غنية بمواردها الطبيعية من معادن وزراعة، وما تبعها من نشاط صناعي كبير في الصين وبلاد الترك، والعمل جاهداً لتأمين التجارة وطرقها بشكل أو بآخر.

عمل جنكيزخان، بنفسه، على تأمين التجارة بين شرق آسيا وغربها، وعلى توسيع نطاقها، فحرص على حماية الطرق، والضرب على أيدي المعتدين، وزود الطرق الرئيسية بحراس من قبله يسمون (قراجة)؛ أي مستحفظين، كانت مهمتهم مرافقة كل أجنبي يحمل تجارة ما إلى معسكرات المغول. ولما كانت هذه الطرق، في آسيا الوسطى، في أيدي القبائل المختلفة المنتشرة، فقد عمل جنكيزخان على إخضاعها، وكان نتيجة لهذه السياسة أن بدأت جموع التجار، من المسلمين والصينيين، تخترق الطرق التجارية في أواسط آسيا بسهولة، وفي ظل هذه الحالة من الهدوء النسبي والأمن، بدأت حركة القوافل التجارية نحو الشرق مباشرة[٢٧٥]، بعد أن كانت تسير شمالاً متحاشية تركستان الشرقية التي كانت خاضعة لكوجنك. ومن القوافل التي ورد ذكرها لدى مؤرخي المشرق: القافلة التي كان على رأسها ثلاثة من التجار هم: أحمد الخجندي، وابن الأمير حسن أو حسين وأحمد، بالجيم، وقيل بنخس، وهم من سكان مدينة بخارى، وكان المغول يكنون احتراماً خاصاً لتجار المسلمين، ولذلك كانوا ينصبون لهم خياماً من الوبر الأبيض، وكانوا يوضعون

موضع التكريم مدة ضيافتهم، وعند تحرك قافلة التجار للرحيل، يرسل معهم قافلة تجارية من المغول، بالإضافة إلى أمراء وقادة عسكريين، وذلك ليصل كل أمير إلى دولته، وكذلك لتحمل معها السلع المغولية لبيعها في الأسواق الخوارزمية، وشراء منتجات هذه البلاد[٢٧٦].

ثم كان أن جهز "جنكيز خان" قافلة تجارية إلى بلاد السلطان "خوارزم شاه"، ظنّه أن هذا الأخير سوف يعاملها بالمثل، وقد شحنها -كما تذكر المصادر التاريخية[٢٧٧]- بالسلع النفيسة؛ كالفرو والحرير الصيني، والمسك واللآلئ وغيرها.

ولكن، عند مدينة "أترار" الحدودية بين الإمبراطورية المغولية والدولة الخوارزمية، وكانت تابعة للسلطان محمد خوارزمشاه، استولى عامله "ينال خان"[٢٧٨] على القافلة، وقتل عدداً كبيراً من أفرادها، وسلب بضاعتهم. وهكذا فقد وقعت القافلة ضحية جشع الوالي وطمعه، وارتياب السلطان الخوارزمي ومخاوفه[٢٧٩].

لم يكن بوسع جنكيزخان أن يتجاهل هذه الحادثة، ولذلك طلب من السلطان تسليمه حاكم أترار، وأرسل رسالة إلى سلطان خوارزمشاه يقول فيها: ((إنك قد أعطيت خطك ويدك بالأمان للتجار، وأن لا تتعرض لأحد منهم، فغدرت ونكثت، والغدر قبيح، ومن سلطان الإسلام أقبح، فإن كنت تزعم أن الذي ارتكبه ينال خان من غير أمر صدر منك، فسلم ينال خان إلينا لأجازيه عما فعل، حقناً للدماء، وتسكيناً للدهماء))[٢٨٠]، لكن السلطان رفض طلبه، وكان ذلك إيذاناً بالحرب بين الجانبين، انتهت باجتياح المغول للشرق الإسلامي، والذي كان من أهم نتائجه سقوط الدولة الخوارزمية، وسقوط الخلافة العباسية، ثم قيام دولة خانات بلاد فارس.

ثالثاً: جهود المغول في تنشيط حركة التجارة:

تأثرت حركة التجارة إلى حد كبير بعد غزوات المغول، فقد نشطت زيادة عما كانت عليه من قبل، وسهلت عملية التقارب بين القارتين الآسيوية والأوروبية، مما

سهل عملية الاتصال بين الشرق والغرب، وخاصة إذا علمنا أن الحملات العسكرية يتبعها عادة فترة هدوء، تمتزج فيها حضارة كل من الغالب والمغلوب، وتؤثر إحداهما في الأخرى وتتأثر بها[٥٤].

ويمكن أن نعد بعض الأسباب التي أسهمت في تنشيط التجارة وازدهارها:

١- اشتملت الإمبراطورية المغولية على أراض واسعة ومترامية الأطراف والميلاد، تمثلت في: الصين، وسط وغرب آسيا، وروسيا، وشرق أوروبا، مما سهل اتصال الشرق بالغرب.

٢- لم يقف تقسيم الإمبراطورية، بين أبناء جنكيز خان، حائلاً دون نشاط التجارة، بل على العكس جعلها في مأمن من أي خطر، إذ إن تكوين هذه الوحدة السياسية الكبيرة قد جعل كلاً منهم يسعى للحفاظ على هذه الطرق التجارية التي تمر من أراضيه. ولا يفوتنا أن صلة الدم بين حكام هذه الأقسام قد شجعتهم على التعاون فيما بينهم، لإيجاد نظام اقتصادي متين، يقوم على تسهيل طرق التجارة بين الأقسام[٥٥].

٣- عمل المغول، منذ البدايات الأولى لتأسيس الإمبراطورية المغولية، على توطيد علاقاتهم التجارية مع جيرانهم، وحرص الخانات المغول أنفسهم على حماية التجارة عبر بلادهم، فأقاموا الحرس على طول الطرق التجارية التي يمرون بها.

٤- بفضل ما أقره المغول من حفظ الأمن والسلام، تشجع معظم التجار على البقاء داخل الإمبراطورية المغولية، ومنها يتجهون مباشرة إلى البحر المتوسط.

٥- كان للضمانات الكبيرة، التي منحها خانات المغول للتجار، دور كبير في تنشيط الحركة التجارية.

٦- إعادة تعمير طرق القوافل القديمة، وإيجاد طرق جديدة، وإعادة تعمير ما تهدم من الجسور، وإقامة شبكة من المحطات التجارية أو الاستراحات. أو ما يعرف

بالخانات[٥٦]، على طول الطريق، بحيث لا تبعد محطة عن أخرى أكثر من تسع ساعات؛ على ظهور الخيل، فكانت بذلك وسيلة من وسائل ربط مدن الإمبراطورية المغولية المترامية الأطراف، ومن الوسائل المهمة لتأمين طرق التجارة والتجار المارين ببلادهم. ومن الأسباب الهامة التي دعت إلى الاهتمام بإقامة المنشآت التجارية؛ حبهم الشديد للتجارة التي تعتبر مورداً مالياً مهماً للإمبراطورية المغولية، مما دفع الخانات المغول إلى بناء هذه المحطات، وتوفير العلف اللازم لدوابهم، لدرجة أن المكان الذي لا يوجد فيه قرية، كان يجمع له العلف من القرى المجاورة[٥٧].

٧- شارك الأمراء وزراءهم المغول في العناية ببناء الخانات، وتوفير الراحة والطعام للمسافرين، وكانت هذه الخانات بدورها تجمع بين القلاع الحربية والمراقبة، ومكان لاستضافة التجار والصناع والعلماء والدراويش، وكان يراعى توفير الأمن والحماية اللازمة لنزلاء الخان، فقد أقيمت معسكرات دائمة على مسافات معينة، وعلى طول خط الطرق التجارية[٥٨].

٨- عملت الإمبراطورية المغولية على حماية النزلاء من التجار، فقد أمرت الحكومة بمراقبة الخانات في جميع المدن، وكان الهدف من وراء ذلك: منع التجار الأجانب من إتلاف نقودهم في المقاصد، وكان صاحب الخان يأخذ مال النزيل قبل أن يتسلّمه منه، ثم يقوم بالصرف عليه، ويحاسبه بعد ذلك عند سفره[٥٩].

٩- شغل التجار مكانة مرموقة في المجتمع المغولي؛ لأن التجارة كانت تعد من المهن المرغوبة، التي قال عنها المؤرخ الدمشقي: ((إذا ميزت من جميع المعايش كلها وجدناها أفضل وأسعد الناس في الدنيا، والتاجر موسع عليه وله مروءة))[٦٠]. وقد ارتبطت هذه الطبقة ارتباطاً وثيقاً بالطبقة الحاكمة؛ فقد كانوا يمدونها بما تتطلبه الحياة المادية من ترف؛ زاد الإقبال عليه، بعد أن أخذ المغول بالاختلاط بسكان البلاد المفتوحة، من الصينيين والمسلمين، ولذلك

كثيراً ما نرى هذه الفئة من التجار داخل قصور الطبقة الحاكمة، يعرضون عليهم سلعهم، أو يشاركونهم في مختلف المناسبات الرسمية، ضمن كبار رجال الدولة والأمراء والقادة. ويذكر العوفي الهمذاني أن بلاط الخان "أوكتاي" كان يعج بالتجار من مختلف الأقطار، ويذكر في هذا المطاف أن الخان قد أصدر أمراً يقضي بأن كل ما يكون بعشرة؛ يدفع عنه أحد عشر، وفي ذلك قال الخان: ((إن معاملة التجار مع الخزانة إنما هي من أجل زيادة الاستفادة والتمتع. ومن المسلم به أن لتلك الطائفة واجب عليكم أنتم أيها الكتاب، وهو دينكم الذي أوديه عنكم حتى لا يعودوا من حضرتنا خاسرين))[xxvii].

١٠- تشجيع حركة التجارة مع غرب أوروبا، فقد أصبح أهالي جنوة والبندقية يمثلون حلقة اتصال بين المغول المتحلشين للتجارة مع أوروبا، وبين الأوروبيين الذين تلهفوا الصحراء؛ بعد أن زالت العوامل السياسية التي عطلت سير التجارة، قبل أن يسيطر المغول على القارة الآسيوية، التي تمثلت في الحملات الصليبية، واضطراب وضع الدولة الإسلامية، على إثر الصراعات الداخلية، وما كان من اضطراب الأوضاع في روسيا، ومن وجود مناطق على طول الطرق التجارية التي تمثلت في مدينة كاتون[xxviii] وبكين وكاف[xxix] وموسكو وتبريز، التي كانت توجد فيها جاليات مسلمة ويهودية ومسيحية، مما كان له الأثر الكبير في انتشار المنتجات الشرقية بين غرب آسيا وأوروبا، ومن ثم ازدهار أسواق الإمبراطورية بمختلف المنتجات، فقد احتوت أسواق بعض المدن الواقعة على بحر الصين الشرقي، كأسواق بانغ تشيو، على الأرز، وكانت أسواق هانغ تشيو بمنزلة مستودع وسوق للسكر والحرير، في حين اشتهرت أسواق "كانغ" بتجارة الرقيق؛ من الروس، والقوقاز، والجراكسة، والبلغار، بالإضافة إلى توافر اللؤلؤ والذهب، في حين أصبحت "نوفجورد" مركزاً تجارياً لتجارة الفراء والحرير، والقطن والصوف الدمشقية، ونشطت أسواق

فارس، وخاصة تبريز، بمنتجات متنوعة من المعادن والأدوات البرونزية، والأواني الفخارية والسجاد الفارسي والتركي. وكان للمعاهدات التجارية التي وقعها الخانات المغول مع سلطان الهند الجنوبية "التمش"، أثر كبير؛ فقد قصد التجار بدورهم المناطق الغنية لبيع الحرير الخام والمنسوجات الحريرية، على أن يجلبوا اللؤلؤ[xxx].

رابعاً: تجارة المغول وتأثيرها على الشرق الإسلامي

أدى اهتمام الإمبراطورية المغولية بالطرق التجارية، من حيث بناء الجسور والمحطات، إلى تمكين المسافرين، والتجار المرافقين للقوافل التجارية، من الحصول على أسباب الراحة، والتزود بالطعام، وعقد الصفقات التجارية. حيث أعاد المغول تعمير كثير من المدن التي كان قد أصابها الخراب والدمار، ونشأت مدن جديدة، وازدهرت المدن القديمة، وأصبحت تبريز من المحطات التجارية الهامة، وسوقاً تجارياً كبيراً، على الطرق التجارية الرئيسية للتجارة الدولية، والذي كان يربط أوروبا وشرقي آسيا، وخاصة بعد أن أصبحت مدينة تبريز حاضرة دولة المغول في بلاد فارس، فجذبت إليها التجار الأوروبيين، بعد أن فقدت بغداد نشاطها التجاري الذي كانت تشتهر به أسواقها، في عهد الخلفاء العباسيين. ومما تجدر ملاحظته: أنه على الرغم من عدم وجود خليفة، ولا بلاط خلفاء في بغداد، يرفد اقتصاد البلاد وتجارتها بحاجاته المستمرة؛ من الأقمشة الفاخرة وأسباب الترف والأسلحة وغيرها – فإن بغداد ظلت بإحدى أكبر وأهم المدن الإنتاجية، خصوصاً في عهد وإليها عطا ملك الجويني؛ الذي حرص على إعادة مكانتها القديمة اقتصادياً[xxxi]، كما ربطت مدينة "سلطانية" التي بناها السلطان "أولجايتو محمد خدابندة" عام ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م، منطقة البحر المتوسط وسواحل البحر الأسود بوسط آسيا والشرق الأقصى[xxxii].

وأدى انتعاش حركة التجارة في الإمبراطورية المغولية، إلى التأثير في حركة الكثير من الطرق التجارية التي كانت بعدن الشرق الإسلامي، فازدهرت بعض الطرق وبعض المدن على حساب بعض الطرق التجارية والمدن الأخرى، وسوف نورد هنا نماذج من هذه الطرق:

١- طريق خليج إياس:

كان لهذا التوسع في الطرق التجارية أثر في فقدان بعض المناطق لأهميتها التجارية، فأنطاكية وحلب فقدتا جزءاً من نشاطهما التجاري لحساب إياس، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة أن كل الحركة التجارية قد تركزت في هذه المناطق الجديدة، بل كان لا بد لجزء هام من التجارة أن يمر عبر بلاد الشام، وبخاصة حلب ودمشق[٢٥٥٤] عند إياس، في حين اتخذ معظم تجار الهند الطريق البري الذي يجتاز بلاد فارس. ونتج عن هذا التغيير أن أصبحت قيرص ولاجازو (على خليج إياس في آسيا الصغرى)، وهي آخر المعاقل المسيحية في شرقي المتوسط، من أهم المراكز للتجارة الدولية.

ومن مدينة "ماغوسطا" ولاجازو أخذ التجار الأوروبيون بشراء مختلف السلع الشرقية، التي كانوا قد اعتادوا على شرائها من الإسكندرية ودمشق. كما كان التجار المسلمون يأتون إلى هناك لعرض توابل المنتجات الشرقية. إن بروز لاجازو كمركز تجاري، كان نتيجة طبيعية لاحتلال العراق من قبل المغول، فأصبحت هذه المدينة بمنزلة نهاية أحد الطرق التجارية المهمة، التي كانت تربط الخليج العربي بالبحر المتوسط، وترتب على ذلك ازدهار بعض المدن في بلاد القرم، وعلى شواطئ البحر الأسود، وأهمها طرابيزون، وبخاصة كافا وتانا، حيث نشطت حركة التجار، وكون التجار القبجاق والإيطاليون مستعمرات لهم في هذه المدن، ومن ثم فقد كان لها دور هام في تجارة غربي آسيا[٢٥٥٥].

٢-طريق حلب القسطنطينية:

يعتبر من الطرق الرئيسية في التجارة الدولية في تلك الفترة، وكان هذا الطريق يربط بين الصين والهند بالبصرة، عبر المحيط الهندي والخليج العربي، ثم من هناك يتجه براً عبر الأنهار إلى بغداد، حيث يتفرع إلى طريقين بريين: الأول يتجه شمالاً نحو ديار بكر، والثاني يتجه غرباً إلى دمشق، ومنها إلى الثغور والعراقين على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، ويتجه هذا الطريق نحو مصر، ومنها إلى عكا، ثم غزة وصحراء سيناء صعوداً حتى القاهرة، ومنها عبر النيل إلى الإسكندرية.

ومن دمشق يتفرع الطريق شمالاً إلى حلب عن طريق البر، ومنها إلى آسيا الصغرى، حيث يلتقي بالطريق القادم من قلب آسيا باتجاه القسطنطينية، ومنها إلى أوروبا عبر البلقان.

وكان لن فقد طريق حلب القسطنطينية أهميته التجارية، وانقطعت اتصالاته بأعماق آسيا؛ وذلك نتيجة للحروب شبه المستمرة بين مغول فارس والممالك، تلك الحروب التي انطلقت من منطقة شرق العراق وشمال الشام مسرحاً لها، حتى نهاية عهد السلطان "غازان" عام (١٢٧١- ١٣٠٤م)، ولم يستعد هذا الطريق نشاطه، من جديد، إلا في العهود التالية للغزو المغولي، وبخاصة في أثناء سيطرة العثمانيين على آسيا الصغرى، فبعد أن وطدوا الأمن في تلك المناطق أعيد فتح طريق حلب القسطنطينية، حتى أصبح من أهم طرق التجارة الشرقية[٢٥٥٦].

٣-طريق البحر الأحمر:

وترتب على اضمحلال طرق التجارة الآسيوية؛ تحول طرق التجارة إلى طريق البحر الأحمر، وهو الطريق البحري الذي يمتد من الصين إلى الهند، مروراً بجزيرة سيلان، حيث يمر بسواحل المالابار، ومنها للمحيط الهندي إلى جزيرة سوقطرا، ومنها إلى عدن، التي تعتبر من أهم محطات التوابل، ومن عدن يتجه إلى

جدة، حيث يتفرع إلى طريقين؛ الأول يتجه إلى الطور والسويس ثم القاهرة والإسكندرية، والثاني إلى عيذاب، على ساحل البحر الأحمر، ومنها إلى قبرص، ثم القسطاطية، ومنها أيضاً إلى الإسكندرية، ومن هناك إلى جنوبي أوروبا[xxxvi]، ومن عدن يتجه هذا الطريق إلى زبيد، ثم المدينة المنورة، ثم تبوك ودمشق، ومنها إلى طرابلس وبيروت وعكا، حيث يتجه التجار إلى جنوب أوروبا.

وأصبح طريق البحر الأحمر من أكثر الطرق التجارية أهمية بين الشرق والغرب، ونتيجة طبيعية، فقد ازدهرت موانئ مصر، وخاصة الطور والسويس، فضلاً عن انتعاش الطريق البري الذي يربط بين هذين الميناءين والقاهرة[xxxvii].

٤-طريق بخارى:

انتعش الطريق التجاري الممتد من وسط آسيا، عبر جبال الهند إلى بخارى، فقد كان له دور مهم في التبادل التجاري بين الشرق والغرب، ويتفرع طريق بخارى إلى فرعين: الأول يتجه نحو بحر قزوين، ومنها إلى بلغاريا ثم إلى جنوب أوروبا، في حين يتجه الثاني نحو البحر الأسود، ومنها إلى موانئ القسطنطينية ثم إلى أوروبا، ويقع هذا الطريق تحت سيطرة المغول.

وكان لهذا الطريق تفرعات ثانوية، أحدها يتجه نحو حلب، ومنها إلى الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، في حين يتجه الآخر إلى بغداد، وديار بكر، وإلى أرمينيا الصغرى. وكانت تحمل القوافل القادمة من الصين والهند بالتوابل، في حين تحمل القادمة من فارس وشيراز وأصفهان وكردستان، بالقماش والحرير، وبلاد ما وراء النهر بالديباج والسجاد. في حين تحمل القوافل القادمة من الغرب، من بلاد البلغار وشواطئ نهر الفولجا، بالجلود والفراء والقمح والأسماك المقددة والرقيق، وكان هذا الطريق تحت سيطرة البنادقة والجنويين، الذين كانوا يمثلون حلقة وصل بين مصب نهر الفولجا، والقسطنطينية، والثغور الشامية[xxxviii].

٥-طريق تبريز هرمز:

هو طريق بري بحري، وقد ازدادت أهمية هذا الطريق، وخاصة بعد أن استولى هولاكو على بغداد، واتخاذه مدينة تبريز عاصمة لدولة المغول في بلاد فارس، ونشط هذا الطريق في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، حتى إن تجار البحر المتوسط الذين كانوا يضطرون إلى دفع الضرائب الباهظة، في أثناء عبورهم أراضي بلاد الشام ومصر، قد فضلوا هذا الطريق الجديد للوصول إلى الهند. وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها المماليك في مصر، لاجتذاب تجارة الشرق إلى مصر، فإن ذلك لم يؤثر في طريق تبريز هرمز[xxxix].

خاتمـــة:

يستخلص مما تقدم، أن النشاط التجاري للإمبراطورية المغولية كان له التأثير الكبير في الشرق الإسلامي؛ فقد سهلت عملية التقارب بين القارتين الآسيوية والأوروبية، عملية الاتصال بين الشرق والغرب، ولا سيما أن الفتح المغولي خلق توجهاً جديداً في تجارة الشرق الأوسط، وأصبحت معه علاقات العراق مع إيران، وهي القاعدة الأساسية للدولة الإيلخانية، أمتن مما كانت عليه في السابق، في حين ازدادت علاقاته مع تركستان، لأن الدولة الإيلخانية كانت- ولو اسمياً- جزءاً من إمبراطورية الخاقان المغولي الذي اتخذ قواعده في تركستان.

وتبعاً لذلك ضعفت علاقات العراق التجارية مع سوريا ومصر وبلاد العرب، لأنها أصبحت تابعة لدولة الممالك العدو الأول للإيلخانيين، وأصبح الطريق البري الذي يربط العراق بالوسط آسيا يصل إلى الشمال نتيجة لاختيار الإيلخانيين لتبريز ثم سلطانية عاصمتين لهم، وكلتاهما في أذربيجان، كما أنه أصبح أكبر أهمية من السابق بالنسبة للعراق؛ لأنه أصبح يربطه بقلب الإمبراطورية المغولية، والتي كانت جزءاً منها.

لم يعد هناك خليفة ولا بلاط خلفاء في بغداد يرفد اقتصاد البلاد وتجارتها بحاجاته المستمرة؛ من الأقمشة الفاخرة وأسباب الترف والأسلحة وغيرها، ولكن بغداد ظلت إحدى أكبر وأهم المدن الإيلخانية.

كان حكام المغول يدركون ما للتجارة من أهمية بالغة في رخاء البلاد ونشاطها الاقتصادي، ولذلك اهتموا بالطرق التجارية وأدركوا ضرورة المحافظة على سلامتها، حتى إن إخضاع جنكيز خان لأواسط آسيا خلق جواً من السلام والأمن على طول الطرق التجارية التي كانت تصلها بالعالم الإسلامي.

الهوامـــش

i انظر: يوسف العش: محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٧٧م، ص٢٩-٣٠.

ii انظر: جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ١٤٢٥هـ، ص ٣٥٢.

iii عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٧-٣٠.

iv يرجع أصل السلاجقة إلى الترك الذين يقيمون في الصحراء الشاسعة التي تمتد من حدود قنصرين حتى شواطئ بحر قزوين، وهم ينتسبون إلى جدهم سلجوق بن دقاق، الفتح بن علي البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٨م، ص٦٢.

v قامت الدولة الغورية على أنقاض الدولة الغزنوية، على يد مؤسسها غياث الدين الغوري. انظر: نور الدين محمد النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ترجمة حافظ حمدي، القاهرة، ١٩٥٣م، ص٩٩- ١٠٠.

vi تعتبر دولة الخطا من الدول الوثنية التي استطاعت أن تقيم مملكة في بلاد ما وراء النهر، وقد قوي شأن الخطا في عهد ملكهم كورخان.
انظر: فاسلي بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٨م، ص٤٧٦.

vii تقي الدين أحمد المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، دار صادر العامة للكتاب، بيروت، ١٩٥٩م، ١/ ٢٨٣.

viii السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٨١.

ix حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر، القاهرة، بدون تاريخ، ص٥٤-٥٦.

x انظر: فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠م، ص٣٠-٣٣.

xi لعبد الباز العريني: التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م، ص١١٦.

xii هو فخر الدين أبو القاسم محمود بن محمد، وكنيته بلواج الخوارزمي وزير خان، ومن أعيان الدولة في عهد جنكيزخان، وكان يجيد اللغة الأيغورية والتركية والفارسية، وينتمي الصينية والهندية والعربية. وقد التحق بخدمة المغول قبل هجومهم على الدولة الخوارزمية، وكان يقوم بمهمة السفير والرسول عند جنكيزخان إلى السلطان محمد خوارزم شاه، وكانت أول سفارة لمحمود في عام (٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، عندما حمل رسالة جنكيزخان إلى السلطان محمد خوارزم شاه حول حرية التبادل التجاري بين الجانبين، ومنذ تلك الوقت استمر في خدمته مستشاراً ووزيراً، حتى استطاع الخان وأولاده الاستيلاء نهائياً على أملاك الدولة الخوارزمية، فعينه نائباً عنه في منطقة ما وراء النهر.

[xiii] انظر: النسوي: سيرة السلطان، ص ٨٣- ٨٥.

[xiv] المصدر السابق، ص ٣٣.

[xv] بي ليو جوتساي: التاريخ السري للمغول، ترجمة فرنسيس كلوز، جامعة هارفرد، نشر، ١٩٨٢م، ١/ ١٩٦- ١٩٨.

[xvi] غريغوريوس أبو الفرج ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، دار الرائد اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٤٠٠- ٤٠١.

[xvii] عز الدين أبو الحسن ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ١٠/ ٤٠١. عطا ملك الجويني: تاريخ جهانگشاي، ترجمة محمد القزويني، دمشق، ١٩٨٥م، ص٩٨. بارتولد: تركستان، ١/ ٦٨٠.

[xviii] يتال خان: هو أحد أقرباء قصيدة تركان خاتون، والدة خوارزمشاه، ويذكر أنه خال السلطان.
حسين بن محمد الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مطبعة الوهبية، القاهرة، ١٨٦٦م، ٢/ ٣٦٨.

[xix] النسوي: سيرة السلطان، ص ٣٤.

[xx] المصدر السابق، ص ٣٤-٣٥.

[xxi] حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية، ص ٢٩١.

[xxii] ول ديورنت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٥م، م١، ٤/ ٢١١.

[xxiii] الخان: لفظ فارسي معرب يعني (الحانوت)، وهي منازل يسكنها التجار، وينسب إليها عدد من المصلحين.
شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان، مؤسسة حلبي، بيروت، بدون تاريخ، ٢/ ٣٤.

[xxiv] جوتساي: فتاريخ السري للمغول، ١/ ١٩٧.

[xxv] محمد أمين صفا: جنكيزخان، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٨م، ص٣٢٤- ٣٢٢.

[xxvi] بارتولد: تركستان، ص ٦٥٧.

[xxvii] أبو الفضل جعفر الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، بغداد، ١٣١٨هـ، ص ٧٤.

[xxviii] رشيد الدين فضل الله الهمذاني: جامع التواريخ، ترجمة فؤاد الصياد، القاهرة، ١٩٦٠م، م١/ ١/ ٩.

[xxix] مدينة خانفو: أو خانفا، تقع جنوب الصين، وهي أولى المدن الصينية التي وصل إليها المسلمون، وتعتبر من الموانئ الصينية المهمة.
محمد زكي: المسلمون في العالم، ص ٨٧.

[xxx] مدينة كانا: تقع على سواحل بحر قزوين شمال صحراء القبجاق، وتعتبر من أهم الموانئ التجارية، إذ يجلب إليها أصناف متعددة من مواد التجارة؛ كالتوابل والذهب والأحجار الكريمة.
طاغور: رحلة طاغور، ترجمة حسن حبشي، دارة المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٥٨.

[xxxi] Halperin: Russia and the colden hord Bloomington, London, 1987. p. 80.

[xxxii] نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية وسلطانها بين الشرق والغرب، القاهرة، المكتبة العربية، ١٩٧٣م، ص٦.

[xxxiii] أبو الفداء الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م، ١٤/ ٩٧.

[xxxiv] المرجع السابق، ص١٥٧.

[xxxv] سمير علي الدلدم: الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٦.

[xxxvi] فهمي: طرق التجارة الدولية، ص١١٧.

[xxxvii] الشامي: الشرق الإسلامي، ص٣٨.

[xxxviii] محمد حمزة إسماعيل الحداد: السلطان المنصور قلاوون، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣٨.

[xxxix] فهمي: طرق التجارة الدولية، ص١٦٦.

[xl] Huzayyin,S.A: Arabia and the fareast their commercial and culbural relations in greeco-roman and Irano -arabian limes. Cairo,1942. p174 -179.

التأثير والتأثر بين المرأة العمانية والمرأة الهندية منذ القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين الملابس والزينة أنموذجا

د. عفاف السيد عبد المجيد العلي
مدرس بكلية الآداب جامعة دمياط

توطئة : يبقي موضوع التأثيرات الحضارية بين الثقافات في شتي القارة الآسيوية – وما ينتج عنه من تأثير حضاري متبادل بين الشعوب والأمم والإثنيات والأيدولوجيات – هو الذي يبدي مدي ما بين الحضارات، سواء أكان صراعا و صداما، أم تفاعل وتلاقح.

ومن هذا المنطلق تحاول الورقة البحثية أن تقدم أنموذجين لثقافتين مختلفتين، وإن كانتا جميعاً تندرجا تحت لواء حضارات آسيا، لكن ثمة اختلافات عظيمة بينهما، وبرغم ذلك فقد لوحظ كثير من التأثيرات المتبادلة، حتي درجة التطابق، في بعض العادات والتقاليد والسلوكيات والاتجاهات ؛ مما يؤكد أيضا علي أن عمليات التفاعل مازالت مستمرة، ويؤكد أيضاً أن ثمة تأثيرات أخري بين الحضارات تتم في الواقع وفي التاريخ ، بعيدا عن تلك الدائرة التي يريد أن يحصرنا فيها منظرو الغرب من : العولمة – الصدام – ونهاية التاريخ.

و لعل الخطوة الأولى، في أي عمل علمي، أن يُعرف الباحث موضوع الدراسة، وأن يبين جوانبها المختلفة، وأن يحاول ربطها بالظواهر الأخرى المحيطة، مما يسهم في تقديم فهم أوفى وأدق لهذه الظاهرة. وفي مجتمع مثل المجتمع العماني، في النصف الأول من القرن العشرين، تكشف العادات والتقاليد عن جوهر التراث الثقافي الذي امتزجت فيه قيم المجتمع العماني ومبادئه وأخلاقياته؛ التي تميزت بسمات عامة أهمها المرونة، بحيث استطاعت استيعاب قدر كبير من ثقافات مجتمعات الجوار .

ويمكن القول، باطمئنان شديد، أن هذه الثقافة أظلته دائما لقبول الآخر، وهي ثقافة منشودة في كافة الأوساط الدولية اليوم.

ولعل مجتمع الهند يأتي في مقدمة تلك المجتمعات؛ نظرًا لطبيعة العلاقات التاريخية البحرية والتجارية بين البلدين، وقد استوعب المجتمع العماني الثقافات التي اكتسبها عن طريق الاحتكاك، وطورها بما يتماشى مع النسق العام لعاداته ومعتقداته، دونما تفريط أو إفراط.

ولعل أهم ما يميز الثقافة الاجتماعية لكل من المجتمعين؛ بعاطفتها وقدرتها على التعبير عن الممارسات اليومية، بحيث جعلت من تلك التجارب الإنسانية عادات وتقاليد، يعتقد بها أفراد المجتمع ويؤمنون بصحتها، وأن ثمة تجليات متبادلة بين المرأة العمانية والمرأة الهندية في مناحي عدة، بينما ركزت الورقة البحثية عنه ما يخص(الملابس والزينة).

وهذا ما حاولت محاور الورقة البحثية أن تخدمه ؛ كمحاولة منها لتبرهن على أن هناك حوار إيجابيا وتبادلاً محمودا، وتزاوجا ثقافيا وفنيا رائعاً، وليس بالضرورة التسليم بوصم العلاقة بين الحضارات بمصطلح (صراع طبيعي) كما قال هانتنجتون.

المنهج البحثي المستخدم :

وقد اتبعت في ورقتي البحثية: المنهج التاريخي الذي يهتم بالمصادر الأساسية، والمنهج الوصفي التحليلي لتفسير الظاهرة، أي أنه يتخطى رصد الظاهرة إلى النقد والتحليل، وهو منهج يرفض التجريد، ويتجاوز الحواجز بين الأفكار وانتظم السياسية، ويركز على دراسة الواقع، علاوة على المقابلات الشخصية التي قامت بها الباحثة مع هنود – وعمانيين أثناء وجودها بسلطنة عمان. كما اعتمدت الورقة على الصورة كمصدر تاريخي غير تقليدي.

وقد تضمنت الورقة جانبين مهمين من جوانب التأثير الحضاري بين المرأة العمانية والمرأة الهندية وهما :

أولاً : التأثيرات الحضارية فيما يخص الملابس

ثانياً التأثيرات الحضارية فيما يخص الزينة وأدواتها

أولاً : التأثيرات الحضارية فيما يخص الملابس

الملابس عند المرأة العمانية والمرأة الهندية :

يعرف الزي في اللغة بأنه: "اللباس والهيئة"، وأصله "زوى"، ويقال الزي: "الشارة والهيئة "، وكذا يقال: "تزيّ فلان بزي حسن "، والجمع أزياء "(١).

إذن الزي هو: ما يلبسه الإنسان ويتزين به، وقد أخذ الزي في عمان أنماطاً وأشكالاً عدة، وذلك بتعدد المجتمعات والعصور، وكما خضع لتغيرات مستمرة لأسباب معروفة: منها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والدينية، كما خضع تنوع الأزياء في عمان لاختلاف البيئات التي تتميز بها عمان، حيث لوحظ أن الأزياء في المنطقة الساحلية تتباين عن المنطقة الداخلية، حتى وإن كان التباين والاختلاف طفيفاً.

ومن الملاحظ أن هناك تنوعاً كبيراً في أشكال ملابس المرأة في عمان، ذلك للتنوع الناتج عن تنوع جغرافية عمان، لذا فقد حاولت الورقة البحثية أن تتناول بالتفصيل أنواع الأزياء التقليدية المشهورة في الفترة الزمنية موضوع الدراسة.

وتعد المرأة العمانية امرأة منتجة؛ شأنها شأن الرجل، فهي في الجبل ترعى الماشية، وتزرع في مواسم الزراعة، وتقوم بأعمال المنزل، لذلك لم يكن لديها الكثير من الوقت للاهتمام بالمظهر والشكليات.

ومع أواخر النصف الأول من القرن العشرين؛ بدأت المرأة تهتم بالملابس التي كانت قبل ذلك تمجرد الستر والحشمة، وفي الغالب لم يكن لديها أكثر من ثوبين على الأكثر.

وفي عمان تتعدد ملابس المرأة العمانية تبعًا للمناسبات والأوقات: فكان هناك ملابس خاصة بحفلات الزفاف، وأخرى خاصة بالختان، أما العروس وملابسها فكان لها أهمية كبرى، حيث كانت ترتدي العروس العمانية لباسًا مصنوعًا من قماش نيلي مستورد من الهند ؛ علاوة على ثياب أخرى تلبس في يوم(التقفين).

---

(١) ابن منظور: محمد بن مكرم المصري: "لسان العرب" دار صادر، بيروت، ط. ٣، ١٩٩٤م، مادة: "زيا"، والفيروزابادي : مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط: تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط. ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م، مادة " زيا ".

والجدير بالذكر أن الملابس الخاصة التي كانت ترتديها المرأة بعد الولادة، وطوال فترة الأربعين يوما، كانت تخضع لمعايير يمكن أن يكون فيها بعض التشدد الاجتماعي؛ الناجم عن الجهل بالأحكام الشرعية في هذا المجال.

والمرأة في فترة ما بعد الولادة كانت تلبس ثوبها – ولحافها القديم – ويحرم عليها لبس أي ثوب جديد لديها، وذلك لأن المرأة في تلك الفترة كانت تطلي جسمها وجسم طفلها بالكثير من المواد ذات الروائح والأصباغ،(التي كانت تجلب من الهند)

كما أنها في فترة النفاس تتوقف عن ممارسة الكثير من العبادات والشعائر، ولا تزال عادات لباس(النفساء) على حالها لم تدخل عليها تغييرات إلا في نطاق محدود.

ومن الأمور التي يجب الإشارة إليها: أنه كان هناك لباس خاص بالصلاة، وكان لابد ان يكون فضفاضا، ساترا لجسم المرأة حتى أخمص القدمين، كما كان هناك ملابس خاصة بفترة الحداد، فعندما وموت الزوج تقوم المرأة في العادة بالابتعاد عن لبس أي جديد أو جميل من الثياب، وبعد فترة " الحداد " ترمي الملابس التي كانت ترتديها فوق شجرة خضراء وتقول : " اللهم ارحم موتانا وأكثر جزاءنا، ولجعلها آخر أحزاننا "، وتغتسل المرأة وتلبس ملابس عادية[1].

ومن الملاحظ أن هناك تنوعا كبيرا في أشكال ملابس المرأة في عمان، ذلك التنوع الناتج عن تنوع جغرافية عمان، لذا فقد حاولت الورقة البحثية أن تتناول بالتفصيل بعض أنواع الأزياء التقليدية المشهورة في الفترة موضوع الدراسة، وهي كالتالي:

١. **ثوب أبو ذيل أو "الثوب الظفاري"**: ويعتبر ثوب "أبوذيل"، أو الثوب الظفاري، هو الثوب التقليدي العام، حيث تلبسه نساء الساحل الجنوبية، وكذلك نساء جبال

(١) علي بن عمر العبادي الرواس: "التقرير الختامي لمشروعات العادات والتقاليد المرتبطة بمرحلة الزواج"، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ٢٠٠١م، ص ص ١٨١– ١٨٣ بتصرف، وكذلك يمكن الرجوع إلى: سالم بن مستهيل شماس: التقرير النهائي لمشروع العادات والتقاليد المرتبطة بمرحلة الميلاد، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة، ٢٠٠٤م، ص

ظفار من أقصاها إلى أقصاها، كما تلبسه بعض نساء البادية، حيث يسمى عندهم بـ " المدارع "[1].

أما عن الأجزاء التي يتكون منها الثوب العماني التقليدي "بوذيل" فيشتمل على ما يلي:

- **الجزء الرئيسي في الثوب**: وهو عبارة عن قطعة قماش واحدة تناسب طول المرأة.
- **المساعد**: وهو عبارة عن قطعة قماش تضاف إلى الجزء الرئيسي لتكملة عرض الثوب، ويسمى بالمساعد نسبة إلى ساعد اليد، حيث يغطي هذا الجزء ساعد اليد اليسرى.
- **المقدمة والصفوف**: وهي اللحمة التي تجمع بين الجزئين الرئيسي والمساعد.
- **الخفر والردن**[2].

أما عن الأقمشة التي استخدمت في صناعة " ثوب بوذيل " فكانت كثيرة ومتنوعة أهمها: طاقة أو(الطاقة) وهو قماش قطني مصبوغ بالنيلة، وكانت تستورد مصبوغة من الهند.

كما استخدم أيضا قماش (المصون) وهو أيضا قماش خفيف مصبوغ بالنيلة، ولكن بكميات كبيرة من النيلة، كما استخدمت أقمشة مثل قماش (الجوخ) وخاصة النوع الأسود السادة، وكذلك قماش اليوبلين، وكذلك (الخاكي)، والذي اشتهر في فترة الخمسينات من القرن العشرين، وهو قماش أخضر اللون، ويعد

(١) المدارع يتميز هذا النوع من الثياب بأنه واسع، فضفاض، طوله كعرضه تقريبا، يتميز شكل العام للثوب بكونه مرتفع من الأمام حسب رغبة المرأة ويتدرج هذا الارتفاع من نهاية الكاحل إلى منتصف الساق تقريبا، أما من الخلف فهو طويل بمقدار كبير. للمزيد أنظر: أحمد بن محمد المغشي: " زينة وأزياء المرأة في سلطنة عمان"،وزارة التراث والثقافة، مسقط، ٢٠٠٨، ص ٢٩. وانظر ملحق رقم (١) شكل يوضح تقريبات الثوب العماني التقليدي " بوذيل".

(٢) الخفر :عبارة عن فتحة متوسطة أعلى الثوب، وتكون بسعة فتحة الرأس، ولها أشكال عدة فقد تكون على شكل مربع عادي أو مربع مائل، أو على شكل مستطيل أو دائريا، أما عن الردن : فهو كم الثوب، والذي يتميز بأنه شقان، يتناسبان مع بدانة المرأة أوضعفه بنيتها. للمزيد يمكن الرجوع إلى : ابن منظور : "لسان العرب"، مصدر سابق، مادة " ردن "، والفيروز :"القاموس المحيط" مصدر سابق، مادة " ردن ".

جاءت التسمية من الكلمة الأجنبية " كاكي "، حيث ساد هذا النوع من القماش أسواق الهند في تلك الفترة.

والجدير بالذكر أن أسعار الثياب كانت مرتفعة؛ بسبب ندرة النقد المتداول قبل سنوات النفط، وفي بعض الأحيان كان يقايض على الثوب ببقرة، فقد كان ثمن الثوب يعادل أربعة ريالات فضة " ريال ماريا تريزا"[١].

٢. الكندورة :

تعد الكندورة من الملابس التقليدية للمرأة العربية، وتنسب كلمة "كندورة" إلى قرية "كندر" قرب مدينة قزوين، وهي عبارة عن ثوب فضفاض يغطي الجسم كله، وله أكمام طويلة، وتتكون الكندورة من عدة أجزاء منها :

- البدن أو البدلة : هو الجزء الرئيسي للكندورة من الأمام والخلف.
- الأكمام : تتصف بالاتساع والانسياب، وتؤخذ على شكل قطعة مربعة الشكل.
- الإبط والعوتاج[٢]: وتسمى الكندورة بعدة مسميات، حيث يقال لها "المعترجة" والمكبونة، ويستخدم القماش المستورد للهند في صناعتها، حيث تصنع من قماش قطني مصبوغ بالنيلة، وليس للكندورة تطريز خاص، بل قليل ما كانت تطرز في القدم[٣].
- البورة: من أزياء المرأة المعروفة في مناطق عمان، وهي لربة الشبه، من الجلباب المعروف عند العرب، وتفصل من قماش قطني خفيف أو مخرم، وتلبس

(١) من الجدير بالذكر أن تفصيل الثوب العماني يوثيل من أهم المميزات الهامة التي تميزه؛ إذ يمكن لأي امرأة أن تفصل ثوبها بنفسها، ولكن في الغالب يقوم بعملية تفصيل" الوقتي" الهنود الذين سكنوا عمان، واحترفوا فن التطريز. للمزيد يمكن الرجوع إلى : أحمد بن محاد المعشني: أزياء المرأة في عمان"، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٢) يقصد بالعوتاج : قطعة القماش التي تقص بأحجام متساوية في الطول والعرض، وتخاط على الأكتاف بعد الانتهاء من التفصيل، وقد تطرز بنفس الشكل أو تستخدم بدون تطريز. للمزيد يمكن الرجوع إلى: فاطمة ماجد المري :"زينة أزياء المرأة الخليجية"، مجلة الصدى الإماراتية، العدد ١٧٧، ٢٠٠٢/٨/١٨، ص ٩٧.

(٣) أحمد المعشني: أزياء المرأة في عمان، مرجع سابق، ص ٣٨. وانظر الملحق رقم (٢) شكل يوضح الكندورة.

على الكندورة في المناسبات المهمة، وتليورة جزء زائد في طرفها الأيمن، لغطاء الرأس فوق الشيلة، وتعتبر من مكملات زينة المرأة[١].

٣- السراويل: السروال لباس فضفاض من أعلى، ويبدأ في الضيق من مكان الفخذ إلى أسفل الساق، ويثبت السروال على الخصر، بخيط مطاط، وفي بعض مناطق عمان يثبت بخيط مجدول يسمى "الحباكة"، ولم يكن للسروال منتشراً قديمًا، ولكنه انتشر في الوقت الحاضر، وأصبح لبسه مصاحبًا ومكملاً للثوب التقليدي "بوذيل" للستر والزينة[٢].

٤- غطاء الرأس : يعتبر غطاء الرأس بأشكاله وأنواعه المختلفة جزءًا لا يتجزأ من لباس المرأة العمانية؛ إذ إنه مكمل لملابسها وزينتها، وهناك أنواع كثيرة من أغطية الرأس المستخدمة في عمان، التي تلبس بشكل مستقل : النقبة، الليسو، الشيلة، الفرقوش.

- النقبة: لحاف قطني خفيف وشفاف طوله حوالي متر ونصف.
- والليسو: لحاف قطني على شكل مستطيل طوله نحو متر ونصف وعرضه متر.
- الشيلة : يطلق اسم الشيلة على غطاء رأس مصنوع من القماش الخفيف غير المصبوغ، وهي على شكل مستطيل طولها نحو متر ونصف وعرضها أقل من المتر.
- والفرقوش: هو غطاء الرأس والخاص بالبنات والصبايا، وهو إما سادة أو مزركش بالألوان الزاهية[٣].

(١) فاطمة ماجد المري : زينة أزياء المرأة الخليجية، مرجع سابق، ص ٩١٨. وانظر الملحق رقم (٣) شكل يوضح نماذج للأزياء التقليدية الهندية – العمانية.

(٢) أمنة راشد الحمدان وآخرون :"زينة وأزياء المرأة القطرية، التشابه والاختلاف، مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، الدوحة، ١٩٩٧، ص ٥٢. وانظر الملحق رقم(٤) شكل يوضح السروال العماني.

(٣) أمنة راشد الحمدان: مرجع سابق، ص ٥٢. وانظر الملحق رقم (٥) شكل يوضح للمرأة قعمانية بالنحاف والبرقع، وانظر الملحق رقم(٦) شكل يوضح الفرقوش العماني.

أما عن المكملات الهامة للزي العماني؛ فيعد البرقع من المكملات الهامة، فقد كانت المرأة العمانية لا تخلع البرقع إلا في المناسبات، ويجب الإشارة إلى أن أقمشة البراقع كانت تستورد من الهند، وكان هناك العديد من الأشكال المتنوعة[١].

أما عن الملابس في الهند فكان الأمر مختلفاً، حيث عرف عن الهنود اهتمامهم بزينتهم وخاصة الملابس ذات الألوان المميزة، والنقوش الجميلة، والتي تصربت الى الملابس العمانية البسيطة وأثرت فيها أيما تأثير.

ولا يمكن ونحن بصدد الحديث عن الملابس في الهند أن نشير إلى أن الهنود أيضا كان لديهم لكل مناسبة زي معين، ولكن عند المرأة كان الساري هو أساس الزي، وإن كان هناك اختلاف في التصميم واللون والتطريز.

ونظرًا لأهمية الملابس وأدوات الزينة كجزء من التأثيرات الحضارية المتبادلة بين عمان والهند – والتي ظهر فيهما وبوضوح التأثير الهندي على الزي العماني، وخاصة في نوع القماش وألوانه وتطريزه– الحقت بالورقة البحثية ملاحق تفصيلية تعرض للملابس والزينة في كل جانب على حدة، ليتسنى استنتاج التأثير المتبادل الذي جاء في كثير من الأمور يحمل الصبغة الهندية، مستعينة على تأكيد ذلك بكثير من صور للأزياء والزينة عند كلا البلدين.

ثانياً: التأثيرات الحضارية فيما يخص الزينة وأدواتها

أدوات الزينة والحلي للمرأة العمانية والهندية :

يعد لبس المصوغات[٢] من أكثر الأمور التي تميزت بها عمان، حيث كان هذا التميز مصدر ثراء وغنى للثقافة العمانية، وذلك نظرًا لما تمتع به من الخصوصية والتنوع، ولقد تعددت أصناف الحلي العماني، واختلفت حسب الفئة العمرية، فكان هناك حلي خاصة بالبنات، والتي كانت تختلف عن حلي المتزوجات.

---

(١) من المعلوم أن هناك العديد من البراقع منها البرقع الحضرمي، البرقع الدائري، برقع موسف، وكذلك برقع مرى. للمزيد يمكن الرجوع إلى: توماس بيرتريدم: " البلاد العديدة "، ترجمة: محمد أمين عبد الله، مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨١م، ص ص ١٣٧– ١٣٨.

(٢) قال أهل اللغة: " الحلي: هو كل ما تزين به من مصوغات سواء معدنيات أو أحجار، والحلية كالحلي، والجمع حُلِيّ، والحلي كل ما حليت بها امرأة أو سيفًا ونحوه، والجمع حُلِي "، راجع: ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، مادة حلية.

وكانت أغلب الحلي العمانية تصاغ محليًا، وفق ذوق أهل المنطقة أو الولاية، ووفقًا لمهارة الصائغ، كما كان أغلب الحلي العمانية ويطلق عليها أسماء على حسب اللهجات المحلية.

والجدير بالذكر أن هناك تأثيرات خارجية متبادلة في هذا الشأن، وقد أتى معظم تلك التأثيرات من شرق إفريقيا والهند، بفعل عدة عوامل منها: الرحلات التجارية، وتجارة الرقيق وغيرها، حيث لوحظ تشابه واضح بين قطع الحلي المستخدمة في عمان، والتي جلبت أثناء الرحلات التجارية من الهند، كما سيتبين لنا من التطابق الواضح في شكل الحلي.

وقد لوحظ أن الطلب على الحلي كان يتوقف على الحالة الاقتصادية للأسرة، والذي تغير تغيرًا ملحوظًا، وخاصة ما بعد النفط[١].

أما عن أنواع الحلي فهي، كما سبق وأشرنا، متعددة وأهمها :

١. الحلي المزينة للرأس والشعر.

٢. الحلي المزينة للجبين.

٣. الحلي المزينة للأنف.

٤. الحلي المزينة للأذن.

٥. الحلي المزينة لليد والقدم.

**** نماذج لبعض أنواع الحلي المزينة للرأس والشعر :**

لقد ابتكرت المرأة العمانية العديد من أنواع الحلي التي تضفي على الرأس والشعر المزيد من الجمال والرونق، وكذلك المرأة الهندية، والتي اشتركت معها في الاهتمام بمثل هذا الأمر، وكانت الهند مصدرًا للاقتباس، وخاصة في أدوات الزينة المتعلقة بالرأس والشعر.

وعلى الرغم من اختلاف مسميات قطع الحلي ؛ إلا أن التشابه يبقى واضحًا.

---

(١) روث مولي: "الصناعات الفضية في عمان"، وزارة التراث القومي، مسقط، ١٩٨٢، ص ٧١.

جدول يوضح أهم أنواع الحلي المستخدمة لتزيين الرأس والشعر[١]:

اسم قطعة الحلي	وصفها	أماكن وضعها على الرأس والشعر	ملاحظات
الخرقة	قطعة من القماش المزين بأشكال من الذهب والفضة طولها نحو ٩ سم وعرضها حوالي ٥سم	تغطي الجزء الأوسط من أعلى الرأس	تلبس في المناسبات وخاصة حفلات الزواج ومن الممكن أن تلبس الفتاة الخرقة إلا بعد الزواج- ولا توجد في قطع حلي الهند ما يماثلها.
الشرابس[٢]	مجموعة من الضفائر الفضية والخرز، تثبت جميع أجزائها على شريط من القماش عرضه أقل من الإصبع، وطوله بقارب الإصبع	يثبت أعلى الصدغين	كان لابد من تسريح المرأة وتجديل شعرها بطريقة مخصوصة وذلك كان مستخدمها تلازا، ويخص المرأة دون البنت
الدروز	عبارة عن قطعتين مربعتي الشكل، يتدلى في أحد أطرافها أزرار، كانت تصنع من الفضة وتطعم بالذهب.	توضع مباشرة على الشعر، حيث كان يسرح بطريقة خاصة ليقسم إلى نصفين متساويين ويضفر كل قسم خمس ضفائر وتوضع الدروز على أطراف ضفائر	يعرف في الهند وتكثر بوضع في مفرق الرأس بدون تضفير
السلوس[٣]	عبارة عن سلاسل فضية أو ذهبية طويلة تصنع يدويا تربط في أعلاها قطعة مثلثة بها ثقوب تثبتي بقرافين	يمتد فوق الضفائر وخلفه الأذنين وموخرة الرأس	يستخدم في المناسبات الكبيرة الهامة وتهيئه المرأة والبنت كمستقبل نظمن الشكل والتصميم في الهند غيضاً
الدارة والعصايب	حلية فضية تتألف من عدة قطع منفصلة تثبت بواسطة مادة صمغية أما العصايب فهي عبارة عن سلسلة طويلة يعلق فيها قراقر	تثبت الدارة في وسط الرأس في الخلف، بينما تمتد العصايب فوق الضفائر من الأعلى إلى الجبهة	يستخدمها البنات وأحيانا ما تستخدم المرأة المتزوجة للعصايب. وتعرف تلك القطعة في الهند وتستعمل بشكل واسع وخاصة في مناسبات الزواج

الخشاكيل[١]	عبارة عن سلاسل فضية تعلق في شكل العذق وفي مخروط مجوف وزنها السفلي عبارة عن سلاسل	تربط في نهاية الضفائر الإحدى الصدغ	تزين المرأة بعشرخشاكيل لما قلت فالبس من عشرة إلى خمس خاكيل- ويوجد أيضاً في الهند مثل تلك القطع ويستعمل بأعداد كبيرة

ويتحليل بيانات الجدول السابق يمكن ملاحظة الآتي :

- تنوع قطع الحلي المستخدمة في تزيين الرأس والشعر في الهند وعمان .
- هناك استخدام للفضة أكثر من الذهب، وذلك نظرا لغلائه وندرته في تلك الفترة، علاوة على أن هناك بعض الاعتقادات الشائعة عند العمانيين والهنود عن قدرة الفضة في طرد الحسود، ودره الأرواح الشريرة.
- حددت الفئة العمرية نوع الحلي الذي تتزين به المرأة، حيث كان هناك قطع حلي خاصة بالمرأة المتزوجة، لا يجب أن تلبسها الفتاة قبل الزواج.
- ارتبط الحلي وخاصة الحلي الذي يوضع في نصف الرأس بالمعتقدات الشعبية أكثر منه بالزينة، حيث كانت العمانيات تضعن الدروز على أنها تميمة، تفيد في الشفاء من بعض الأمراض وتدفع البلايا.

** الحلي المزينة للجبين :

اتخذت المرأة العمانية العديد من القطع لتزيين جبينها والتي أخذت في الغالب من قطع الحلي الهندية التي زينت بها المرأة الهندية جبهتها، منها:الحرف، الشكة، العصابة، التاج.

(١) فاطمة بنت مجلد سالم قطن: "الحلي العماني"، سلسلة إبداعات عمانية، وزارة التراث القومي والثقافة، ٢٠٠٨م، ص ص١٣-١٧. وانظر الملاحق: ملحق رقم : (٧) صورة توضح نماذج لقطع حلي الرأس والشعرفي الهند وعمان

(٢) الشرابس : الشرصتان، ناحيتا الناصية، وهي لزقها شعرا، ومنها تبدو الفزعة عند الصدغ، والجمع شرصة وشراص، وراجع : ابن منظور : "لسان العرب " مصدر سابق،، مادة شرص.

(٣) السلوس : السلس: هو الخيط الذي ينظم فيه الخرز، وجمعة سلوس : " لسان العرب"، فمصدر السابق، مادة جلد.

(١) الخشاكيل : المشاكل أو المشكول الحذق : هو كل ما خلق في عين أو صوف، فتذؤب في الهواء، ابن منظور : لسان العرب، مادة مشكل.

ويوضح الجدول أهم قطع الحلي الخاصة بتزيين الجبين[1]:

اسم القطعة	وصفها وأماكن وضعها	ملاحظات
الحرف	يتكون من مائتين : الأول شروط من القماش بعرض إصبع ونصف تقريبا له عروة يخاط عليها نوع من الحلي سواء قطع من الذهب أو الفضة أو الخرز أو المرجان الأحمر	يوضع الحرف بين مفرق الشعر ويتدلى على الجبين وهي حلية تختص بها البنات دون المرأة المتزوجة يستخدم في قريته الهندية بنفس الوضع
الشكة[2]	قطع متنوعة من اللآلئ بالمرجان توضع على قماش مربع يأخذ طولها على امتداد الجبهة وعرضها أقل بقليل من عرض الجبهة	تستخدم الشكة مع قدارة والسمنجاب بتشاكيل وهي خاصة بالبنت دون المرأة تتزين بها المرأة الهندية
العصابة	عبارة عن قطع متنوعة تثبت بعضها فوق بعض بواسطة حلقات وسلاسل ذهبية ونادرا ما استخدمت الفضة فيها	قطعة حلية خاصة بالمرأة المتزوجة ومن العيب أن تتزين بها البنت ويقتصر استخدامها في الهند وتعد ضرورة قسمياً للزينة في الزفاف الهندي.

ومن الجدول يتضح ما يلي :

- الحرف أكثر قطع الحلي التي تشابه استخدامه في الهند وعمان، ولا يعرف تحديدا متى بدأ استخدامها، إلا أن المعلوم أنه كان يطلق على الحرف الذي يتزين فوق الرأس: بالحرف الهندي.
- أهمية اللؤلؤ في تلك الفترة، ودخوله في تصنيع وصياغة وترصيع كثير من قطع الحلي.

(١) فاطمة بنت عيسى معلم : زينة المرأة في ظفار، وزارة التراث والثقافة، مسقط، د. ت. ص ص ٥٢ – ٥٣.

(٢) الشكة: جاء اسم الشكة من شك، أي نظم الشيء بعضه إلى بعض، لسان العرب، مرجع سابق، مادة شك. وانظر الملاحق : ملحق رقم : (٨) صورة توضح نماذج لقطع حلي الجبين في الهند وعمان.

** الحلي التي تستخدم في تزيين الأذن والأنف :

تعد حلية الأذن من أكثر الضروريات التي تحرص النساء في مختلف الأعصار على التزين بها، بل من العيب أن تبقى الأذن بدون حلية، وقد جرت العادة أن تثقب الأذن أربع ثقوب، ويسمى الثقب في الحربية الدارجة " الخشفة "، وكان لكل خشفة " ثقب " الحلي الخاصة به والذي تشابه الكثير منها في الهند وعمان.

وفيما يلي جدول يوضح الحلي الخاصة بتزيين الأذن[1] :

اسم قطعة الحلي	وصفها	أماكن وضعها في الأذن	ملاحظات
معاجل	عبارة عن حلقة دائرية تتشكل من الذهب أو الفضة تصفها سلك والآخر شريط مزين بفتوش بنهايتي بفتحة يثبت فيها سلك الإغلاق	خشفة الفرضة	في الثقب الذي يقع في وسط صوان الأذن
حلقة المرجقة وملحقاتها	حلقة ذهبية أو فضية يشبه شكلها الخزامة	في الخشفة العليا وتعلق المرأة فيها قرط احترام للبنت فتعلق فيها قراطا	
تراكي	حلية فضية الجزء الأعلى منها شبه مثلث وفيها عروة وفتحة لتعليقها في الحلقة والجزء الآخر عبارة عن متوازي مستطيلات محوف به خمس حلق صغيرة	في خشفة شحمة الأذن	
غلاميات	تشبه الأقراط ولكن حجمها أكبر وشكلها بيضاوي وتتلوش فيها واضحة	تلبس في شحمة الأذن	تستخدم بكثرة في كل من الشرقية وظفار، تصنع من الفضة وتزين بالذهب

(١) روث هولي: " الصاغات الفضية في عمان"مرجع سابق، ص ص ٧٥-٧٦= وراجع أحمد المعشني "زينة أزياء المرأة " مرجع سابق، ص١٦١، وانظر الملاحق: ملحق رقم: (٨)صورة توضح نماذج لقطع حلي الأذن والأنف في الهند وعمان.

اسم قطعة الحلي	وصفها	أماكن وضعها في الأذن	ملاحظات
شنبات	مجموعة متنوعة من القطع (فضية وذهبية ومرجان) تشبك معا بأسلاك فضية بطريقة عرضية منظمة	تعلق من طرفيها في حلقة القلابات الموجودة في الأذن بحيث تتدلى أسفل ذقن المرأة	تستخدمها المرأة والبنت حتى أربعينات القرن العشرين
الخزامة	حلق نصف دائري في النصف وتليها عبارة عن سلك مستقيم مزين بقطع ذهبية بتوسطها خرزة حمراء من المرجان	تعبر في ثقب أعلى أربطة الأنف، وتخرج حلقتها من الفتحة اليمنى للأرنب	
البدالة	عبارة عن قرص صغير من الذهب وهو من أكثر الأشكال شيوعا، وتعتبر البدالة من الحلي الدخيلة على المجتمع الظفاري وكان استخدامها محصورا في النساء من أصل زنجي		من قطع الحلي الشهيرة في الهند وتصاغ بنفس التصميم التي تصاغ فيه في عمان

ومن أكثر الأمور التي تتضح فيها التأثيرات الخاصة بالزينة هي حلي اليد، حيث تتشابهت تشابهًا ملحوظًا عند كل من الهند وعمان.

وفيما يلي جدول يوضح الحلي المستخدمة لليد في عمان[1]:

القطعة	وصفها	ملاحظات
الجوابرا	وتسمى ثعبيرا أيضا، وهو عبارة عن خاتم فضي عريض له نقوش واضحة، شكله الخارجي عبارة عن أربع مربعات تفصلها نقوش طويلة بارزة	يستخدمه الهنود ويطلق عليه نفس الاسم ويصنع في الهند من الذهب أيضا
شواهد	وتسمى الخاتم بهذا الاسم نسبة إلى إصبع الشاهد "السبابة" التي يلبس فيها	
خواتم الخنصر والبنصر	خواتم الخنصر والبنصر المتشابه في الشكل والاختلاف فقط في النقش ويصاغ جميعها من الفضة وهي أقل عرقًا من الجوابرا	

(١) فاطمة ماجد السري: زينة المرأة في الخارج، مجلة الصدى، العدد ١٧٧، ٢٠٠٢م، ص ٩٧.
وانظر الملاحق، ملحق رقم (٤٦) شكل يوضح أهم القطع المستخدمة كحلي لليد.

إضافة الى الحلي المستخدمة في تزيين الارجل، كالحبوس والخلخيل والقطول، فضلاً عن قطع الحلي الخاصة بأصابع القدم، والتي اتضح فيها التأثير الحضاري للمتبادل بين الهند وعمان، فقد عرف العمانيون حلي أصابع القدم، وخاصة الخنصر والبنصر مثل (الزمر والكيرك والمثاني والمردف العادية وذات الفراقير)[1].

ومما سبق يمكن أن نلاحظ ان الزينة (الحلي) التي استخدمت في كل من الهند وعمان تتشابه لدرجه لايمكن التفريق بين أي قطعه منهما تنتمي الى الهند وأيها تنتمي إلى عمان، وخاصة قطع الحلي المستخدمة في تزيين الأيدي والأرجل والشعر، والتي تشابهت في التصميم وفي المادة المصنعة منها (الذهب – الفضة) وإن كانت الهند أدخلت مواد خام أخرى مثل: النحاس، والبلاستك، والجلد الذي اعتمدت عليه ايضاً عمان في تصنيع الكثير من قطع الحلي فيها.

(١) وانظر الملاحق، ملحق رقم (٩) شكل يوضح أهم القطع المستخدمة في تزيين الارجل في الهند وعمان.

الخاتمـــة والتوصيات

من العرض السابق يتضح أن ثمه تجليات أفرزتها الحضارة الهندية وتأثرت بها الحضارة العمانية حيث أدي احتكاك الطرفين معاً في مجتمع واحد، هو المجتمع العماني، (نظراً لتواجد جماعات هندية كبيرة للعمل والتجارة) لقول أدي هذا الأحتكاك الي تأثيرات عديدة منها الملابس والزينة، فضلاً عن تأثير متبادل في مناحي أخري مثل: اللغه بألفاظها، والأدب بفروعه سواء أكان شعرا – قصة – رواية، فضلاً عن تأثيرات في مناحي أخري مثل الفنون (الفنون الشعبية) وفن العمارة.

بقي أن نشير الي بعض التوصيات التي توصل اليها البحث وهي :

- ضرورة التعمق في دراسة نتاج التأثيرات الحضارية المتبادلة بين الحضارات وخاصة بين الشق الآسيوي العربي ونظيره الآسيوي غير العربي للوقوف علي الظواهر التاريخية والاجتماعية ، ومعرفة العوامل التي تتحكم في مسيرة هذه الظواهر ، والتنبؤ بمستقبل التطور الاجتماعي والسياسي والحضاري؛ اعتماداً علي ربط الواقع بجذوره ومستقبله، وتفعيل الدور الأكاديمي لمعهد البحوث والدراسات الآسيوية، وغيره من المراكز والمعاهد البحثية المنوط بها دراسة قارة آسيا، كما هو الحال في مراكز دعم اتخاذ القرار في الدول الكبري
- إعادة النظر في بعض المعلومات التي تقدمها كتب الرحالة الاجانب ، وذلك لأن كثيرا من تلك المعلومات يحتاج الي وقفة تصحيحية.
- إعادة طباعة الكتب المترجمة للرحالة، بعد تنقيحها وإعادة كتابتها وفق ما تكشف من حقائق، بعيدا عن وجهة نظر كانت محملة برؤية استعمارية مغرضة.

بقي أن نشير إلي أن الهند دولة ذات تجربة فريدة، وتلك المكانه المرموقة التي تشغلها بين دول العالم، وخاصة فيما يتعلق بالصناعات الصغيرة، لذا يجب علي عمان – التي ارتبطت بها منذ أقدم العصور بعلاقات متنوعة – أن تحاول الاستفادة من تلك التجربة، وخاصة أن عمان تمتلك المقومات المادية والبشرية التي تؤهلها لذالك، فضلا علي ما تمتلكه من رصيد ضخم من التراث الإنساني.

الملاحق

ملحق (33) صورة عروس هندية في ليلة الحناء ونموذج الحناء الهندية

نموذج الحناء الهندية

ملحق (٣٤) شكل يوضح انواع الازياء العصرية التقليدية (الفرنفوش - الشقة - الفنطة)

ملحق (١٥) شكل يوضح السروال للعماني

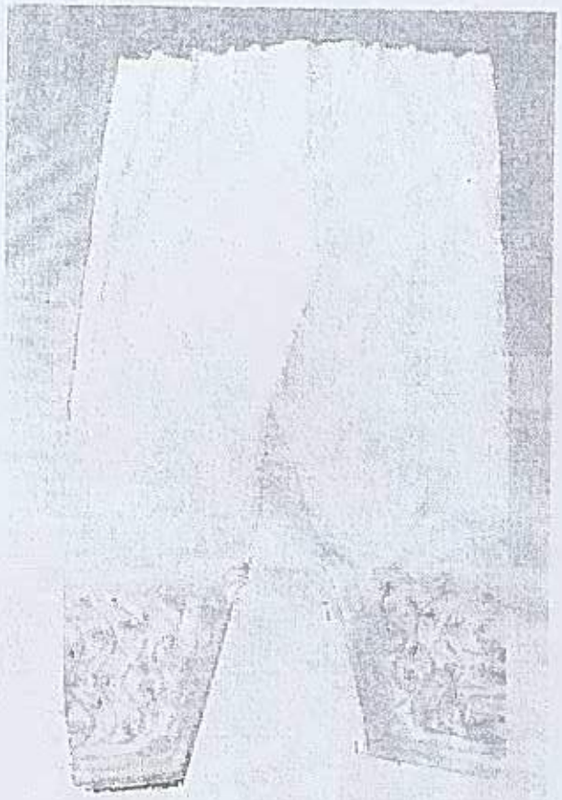

ملحق (١٤) شكل يوضح حلي الشعر والرأس للمرأة العمانية

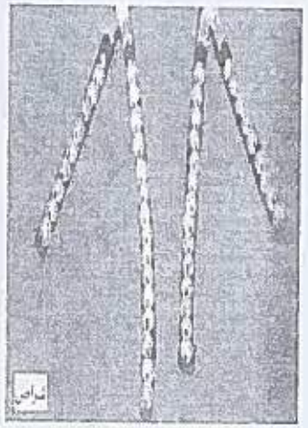

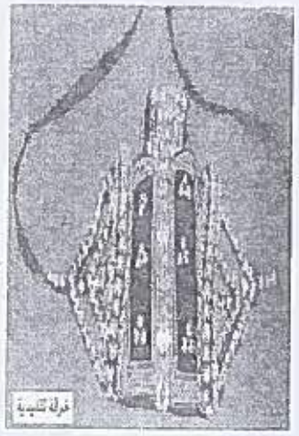

ملحق: 48 : شكل يوضح المرأة بالثوب واللحاف " الملسيه والبرقع

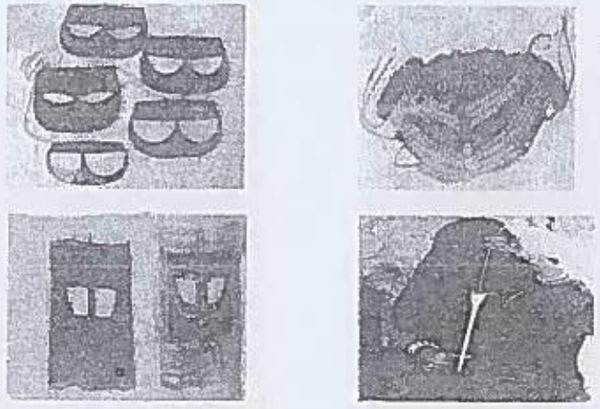

نماذج من البراقع العمانية

تابع ملحق (48: شكل يوضح حلي الشعر والرأس للمرأة العمانية

ملحق (48) يوضح لوجه التشابة بين حلى الجبين في عمان والهند

الهند

عمان

ملحق (48) يوضح لوجه التشابة بين حلى اليد في عمان والهند

الهند

خاتم شفر
Sapphire Ring

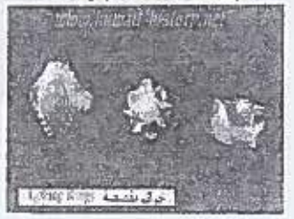

عمان

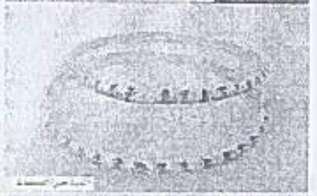

ملحق (46) يوضح اوجه التشابة بين حلى اليد في عمان والهند

الهند

عمان

ملحق (47) يوضح اوجه التشابة بين حلى القدم في عمان والهند

الهند

عمان

العلاقات التجارية بين سلطنة مقديشو الإسلامية وشبة الجزيرة العربية

٤٩٥ – ٩٠٥ هـ / ١١٠١ – ١٥٠٠ م

د. محمد عبد العظيم الدواي
باحث حاصل على درجة الدكتوراة ومدير عام بمجلس النواب المصري

العلاقات التجاري بين سلطنة مقديشو الإسلامية وشبة الجزيرة العربية؛ كانت في مقدمة الدوافع التي دفعت العرب للخروج من شبة الجزيرة العربية للساحل الشرقي القارة الإفريقية، وأدت هذه العلاقات إلي استقرار جماعات عربية على هذا الساحل، وأقاموا العديد من المدن والإمارات العربية هناك، ومن هذه المدن سلطنة مقديشو الإسلامية.

نشأة سلطنة مقديشو الإسلامية.

ظهرت سلطنة مقديشو الإسلامية كمدينة نتيجة لهجرة قوم من بني الحارث العرب الذين أتوا من منطقة الإحساء، وكانت هذه الهجرة من شبة الجزيرة العربية إلي ساحل بنادر بالصومال، لأسباب عديدة، أدت إلي انتشار الإسلام في هذه المنطقة من القارة الإفريقية[١].

---

(١) ليس معني ذلك أن بني الحارث هم أول من عرفوا هذه البقعة من ساحل بنادر، وإنما سبقهم إليها عرب آخرون بعضهم أتي في القرن الأول للهجرة، وآخرون وخاصة الهجرة الزيدية، وصلوا إليها بعد عام ١٢٢هـ/ ٧٤٠م، ومنهم من وصل إلي ساحل بنادر في عام ١٤٩هـ / ٧٦٦م. (جبان (ريان سلطنة، عاش في القرن السادس عشر الميلادي): وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية، كتبه عام ١٨٥٦م ونقله إلي العربية الأمير يوسف كمال ، القاهرة، ط١ سنة ١٩٢٧م، ص ٨٤، ١٨٥ – حمدي السيد سالم: الصومال قديما وحديثا، ج ١، مقديشو ١٩٦٥ م، ص ٣٥٠): ١ – ويشير الشريف الجدروس إلي تسعة وثلاثين قبيلة وصلت إلي هذا الساحل من حضرموت واليمن والعراق وغيرها في تلك الفتاريخ. ومعني ذلك أن ساحل بنادر كان يعرفه العرب، واعتنق كثير من أهله الإسلام بطبيعة الحال علي أيديهم ، بل إن هذا الساحل عرفه العرب قبل ظهور الإسلام نفسه. إذن فالعلاقات والصلات قديمة بين العرب وبين هذا المكان، بل بينهم وبين أفريقيا الشرقية بصفة عامة. (الجدروس (عيدروس بن علي الجدروس): بغية الآمال في تاريخ الصومال، مقديشو، سنة ١٩٥٥ م، ص ٤٢ – ص ٤٢ = ٤٤ – حمدي السيد سالم: الصومال قديما وحديثا، ج ١ ، ص ٣٥٦ – أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج ٦، مكتبة النهضة المصرية، ط ٤ سنة ١٩٨٣م، ص ١٦٥): ١ – وقد جاء بني الحارث لهذه المنطقة في

ومقديشو كلمة مكونة من مقطعين هما: "مقد" التي يرجح أنها مختزلة من كلمة (مقعد) العربية، و(شو) التي تعني منك، وتعني "مقعد شيخ" أو مقعد الشيوخ[1]، بدليل ما ذكره ابن بطوطة أن سلطان مقديشو يقال له في الصومال "الشيخ"[2].

ونتيجة للنمو العمراني أصبحت مقديشو أعظم المدن الساحلية، فقد وصفها ابن بطوطة عندما زارها في عام ٧٣١هـ / ١٣٣١م بقوله إنها "مدينة متناهية في الكبر"[3]، ووصفها ابن سعيد المغربي المتوفى عام ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م بأنها "مدينة الإسلام المشهورة في ذلك الصقع والمتردد للتجار على ألسن المعمافرين"[4].

ثلاث سفن ضخمة ومعهم أولادهم ونساؤهم وأهلوهم وأتباعهم واستقروا في منطقة على ساحل بنادر وبنوا فيها أول مدينة إسلامية النشأة وهي مدينة مقديشو وذلك في عام ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م، لم يكتف بنو الحارث ببناء مقديشو، وإنما بنوا مدنا أخرى مثل مدينة برلوة عام ٣١٥ هـ / ٩٢٥ م، ومدينة مركة وقرفارة، والنجا، وبذونه، وماندا في جزيرة ماندا، وأعوزي، وشاكة، قرب دلتا نهر تانا، كما ظهرت في عهدهم مدن أخرى مثل مدينة جليب، وكندر شيخ، ووار شيخ، وقد حكم العرب هذه المدن بعد أن كونوا منها فيما بعد سلطنة إسلامية كانت مقديشو عاصمة لها. (جبان: وثائق تاريخية وجغرافية، ص ٨٥ ، ٩٤ ؛ ١٩٨٤ – آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٧ م، ج ٢، ص ٤٣٤٩ – حسن أحمد محمود: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٤ م، ص ٢٩٨ – ؛ Reusch: History of East Africa, Stuttgart, 1954, p.5)

(1) زين العابدين السراج: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدن الساحل الصومالي فيما بين القرنين ٦ ، ٨هـ/ ١٢ ، ١٤م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، سنة ١٩٨٦ م، ص ٤٩.

(2) ابن بطوطة (أبو عبد الله بن عبد الله، ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تهذيب وضبط أحمد الهواري ومحمد أحمد جاد المولى بك، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة ١٩٣٨ م، ص ١٩٦ – وقد شكل العنصر العربي الطبقة الأرستقراطية الحاكمة، لأن معظم التجار كانوا منهم، وغلبت الصبغة العربية على كل سكان مقديشو، وما كاد القرن الرابع للهجرة ينتهي إلا وكانت مقديشو مدينة عربية تماما، ثم توالت هجرات العرب إليها وسكنتها عناصر عديدة بجانب بني الحارث، إذ وفد إليها عرب من اليمن وعمان، وعجم من نيسابور وشيراز، وبعض التجار الهنود. (زين العابدين السراج: الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص ٥٦ ، ٥٧.

(3) ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٨.

(4) ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى المغربي، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م): الجغرافيا، تحقيق [illegible]، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٧٠م، ص ٨٢.

واعتبرت مقديشو العاصمة الثقافية لساحل الزنج كله[1]، ومركزه الديني والثقافي نتيجة لما وصلت إليه من قوة ونفوذ، ولما قامت به من دور هام في نشر العروبة والإسلام[2].

لذلك توافد العرب وغير العرب من المسلمين، وخاصة الفرس، إلى مقديشو، فازدحمت بهم، ومارسوا التجارة حيث وفر لهم موقع وميناء مقديشو فرصة واسعة للاتصال بالعالم الخارجي، حتى وصل هذا النشاط التجاري إلى الهند والصين[3]. ومن ثم ازداد ثراء أهلها، وكان من الضروري أن ينشئوا نظاما سياسياً ينظم الحياة فيها، ويوفر الأمن لأهلها وللكثير من التجار والغرباء الوافدين عليها[4].

الأسباب التي أدت إلى قيام العلاقات التجارية بين سلطنة مقديشو الإسلامية وشبه الجزيرة العربية:

---

(1) وصفها البعض بأنها لؤلؤة المحيط الهندي نظراً لجمال مبانيها العتيقة على الطراز الإسلامي البديع والتي كانت مطلية باللون الأبيض الناصع الذي أعطاها طابعاً مميزاً. (محمد محمود أحمد محمدين: علاقة الجزيرة العربية بشرق إفريقية، مجلة الدارة، العدد ٤، دارة الملك عبد العزيز، الرياض ١٩٧٨م، ص ١٢٠).

(2) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وآخرون، القاهرة ١٩٧٠م، ص ٣٧٨؛ Gideon & Derek: East Africa through a thousand years, Kenya, 1973, p. 21. – لم تصل سلطنة مقديشو إلى هذه المكانة السامية إلا بعد أن تحولت من مركز تجاري أو مدينة ساحلية إلى سلطنة كبيرة وفدت إليها قبائل صومالية عديدة أو أسلمت بها هذه القبائل، واختلطت بسكانها من العرب، وصارت هذه القبائل تنتسب إلى العرب وتعتنق الإسلام وتوالت على المنطقة هجرات عربية عديدة، مما زاد من انتشار الإسلام في هذه السلطنة إلى حد كبير. (جبان: وثائق تاريخية، ص ١٨٤ ، ٤٨٥ – رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزنج ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار النهضة العربية سنة ١٩٨٥ م. ص ٤٦٨ – محمد عبد الله النقيرة: انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ للنشر، الرياض، سنة ١٩٨٢ م، ص ١٨٤).

(3) محمد عبد الله النقيرة: انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا، ص ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٤٩٠.

(4) وتعتبر هذه السلطنة بفترة طويلة من الأمن والهدوء والسلام، ثم تتعرض كما تعرضت ممالك الطراز الإسلامي وعلى رأسها سلطنة فوتات ثم عدل من عدوان حبشي منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر تقريباً. (رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية من ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٩م، ص٢٦٠).

العلاقات التجارية بين شبة الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، بصفة عامة، وسلطنة مقديشو الإسلامية بصفة خاصة، بدأت في وقت مبكر يفرض التجارة، وكان لسكان شبة الجزيرة العربية، وخاصة العمانيون والحضارمة، مصالحهم في الساحل الشرقي لإفريقيا، فهو امتداد لتجارتهم في الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي[1].

لذلك أخذوا يتسللون إلى الساحل الشرقي لإفريقيا، بصفة عامة، وسلطنة مقديشو بصفة خاصة، في مجموعات صغيرة انتشرت، في البداية، في بعض الجزر الساحلية في المحيط الهندي، ثم ما لبثوا أن استقروا فيها، واستطاعت هذه المجموعات أن تطبع مناطق واسعة من شرق أفريقيا بلغتها وحضارتها، وأن تندمج مع السكان الأصليين، وأصبحت هذه الجزر مراكز تجارية هامة على الساحل الشرقي لإفريقيا[2].

وساعدت الطبيعة المناخية العرب والأفارقة على الإبحار للملاحة من وإلى شبة الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ونقصد بالطبيعة المناخية: حركة الرياح الموسمية التي تهب على منطقة المحيط الهندي، والتي مكنت السفن العربية الشراعية من القيام برحلتين منتظمتين في السنة بأقل مجهود. وفي شهر تشرين الثاني، من كل سنة، تبدأ هذه الرياح بالهبوب من الشمال والشمال الشرقي، ولمدة أربعة أشهر، فتنطلق السفن العربية معها، من شبة الجزيرة العربية، إلى مدن وإمارات الساحل الشرقي لإفريقيا، أما في شهر نيسان من كل سنة فتنعكس العملية، حيث تبدأ هذه الرياح بالهبوب من الجنوب والجنوب الغربي، لمدة أربعة أشهر أخرى، فيخرج العرب بسفنهم التجارية معها من الساحل الشرقي لإفريقيا للعودة إلى أوطانهم[3].

---

(1) كانت التجارة من أهم الأسباب التي دفعت العرب إلى الإبحار لشرق أفريقيا حاملين معهم المواد التي يرغب بها سكان شبة الجزيرة العربية، فراحوا يبدلاً لها من منتجات الشرق الأفريقي. (سبنسر ترمنجهام: الإسلام في شرق أفريقيا، ترجمة أحمد عاطف قنواتي، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٧٢م، ص٣٥).

(2) محمد صفي الدين: أفريقيا بين الدول العربية، القاهرة ١٩٥٩ م، ص٥٢، ٦٧.

(3) كانت الرياح الموسمية هذه سراً من الأسرار التي احتفظ بها التجار العرب لأنفسهم، والتي مكنتهم من السيطرة على التجارة مع مدن وإمارات الساحل الشرقي لإفريقيا. (المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق مفيدة قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م، ج١، ص ١١٤٥ - محمد عبد الغني سعودي: الاتصالات العربية

ومن الأسباب الرئيسية التي دفعت سكان شبة الجزيرة العربية للخروج منها، وخاصة العمانيون والحضارمة، إلى الساحل الشرقي لإفريقيا، أنهم نشأوا في بيئة بحرية مثالية في جنوب الجزيرة العربية، فهيرها طارد، فكان طبيعيا أن يتسللوا إلى شرق أفريقيا في مجموعات صغيرة، انتشرت في البداية على الساحل الإفريقي، إلى أن استطاعت أن تطبع مناطق واسعة من الساحل الشرقي بلغتها وحضارتها، وأن يندمجوا مع السكان الأصليين[1].

كما إن السفن التي تنقل البضائع، من وإلى الساحل الشرقي لإفريقيا، كانت لسفنا يمتلكها عرب الجزيرة العربية[2]، وهذا ما أكده الإدريسي بقوله "وليس لزنج مراكب يسافرون فيها وإنما تدخل إليهم المراكب من عمان وغيرها.. فيبيعون هناك متاعهم ويشترون متاع الزنج"[3].

الإفريقية في العصور القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة، د.ت)، ص٢٤ - ١٢٦ - جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في ساحل شرق أفريقيا، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد العاشر، القاهرة ١٩٦٧م، ص٢٨١).

(1) صفي الدين محمد: أفريقيا بين الدول الأوروبية، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٥٢.

(2) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١١٠٧ - الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٥٣.

(3) أكد الإدريسي على العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين شبة الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا والتي أولاها كل اهتمامه، وذلك على الرغم من أن الإدريسي لم يرحل إلى الساحل الشرقي لإفريقيا إلا أنه من المؤكد أنه قد سمع وقرأ كثيراً عنها، لاسيما أنه كان تحت يده مادة كثيرة، لذا فقد جاء وصفه لهذه المنطقة وعلاقاتها التجارية غاية في الأهمية. واهتم الإدريسي اهتماما خاصا بتجارة الحديد التي كانت سائدة في مدن الساحل الشرقي لإفريقيا، في حين لا نجد لديه معلومات مهمة عن تجارة الذهب وتجاج المشهورة. (الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز، ت ٥٤٦ هـ / ١١٦٥ م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، لندن ١٨٦٦م، ص ٥٣ ، ٦٠) - ويعد الإدريسي أول من تحدث عن مدن الساحل الأفريقي الشرقي وجزره وعن النشاط التجاري الذي تتميز به، ولعل ذلك لأن البلد التي ألف الإدريسي فيها كتابه كانت مزدهرة ازدهاراً كبيراً لتجارة العرب مع الساحل الشرقي لإفريقيا. (كراتشكوفسكي (اغناطيوس يوليانوفتش): تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية ١٩٥٧م، ج١، ص ٢٨٧) - وكان يقود هذه السفن بحارة عرب متخصصون بالسفر إلى الساحل الشرقي لإفريقيا نظراً لطبيعة بحر الزنج وأحواله. (المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٠٨).

وقد أشار الرحالة العرب إلى ازدهار الحركة التجارية بين شرق إفريقيا وشبه الجزيرة العربية، وشكلت معلومات المسعودي[1] البدايات الأولى والأصلية لدراسة العلاقات العربية الإفريقية[2]، لاسيما التجارية منها، بين الساحل الشرقي لإفريقيا وشبه الجزيرة العربية[3].

وكانت معلومات البكري عن الساحل الشرقي لإفريقيا قيّمة ومقتضبة، إذا ما قورنت بمعلوماته عن غرب أفريقيا، ولعل السبب يعود في قلة اهتمام التجار والرحالة الأندلسيين بمناطق شرق أفريقيا لبعدهم عنها[4].

---

(1) رحل المسعودي مع البحارة من عمان وسيراف عدة مرات، وأقام في ساحل إفريقيا الشرقي زمنا، وحاول أن يتخطى الساحل إلى الداخل ولكنه لم يصل إلى أبعد كثيرة. وأشار إلى أصل الزنج وأماكن استقرارهم، ووصف نظمهم الاجتماعية من طراز اللباس وقبائل. وذكر منتجات الشرق الإفريقي المتنوعة، فهي جذبت للسفن من شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الشرقي لإفريقيا. وأعطى تقريراً مهماً عن طبيعة الرحلة التجارية بين الساحل الشرقي لإفريقيا وشبه الجزيرة العربية، ولاسيما فيما يتعلق بالطريق التجاري في مراحله ومخاطره والمدن التي تعدّ للسفن بالانطلاق منها أو الإرساء فيها. (المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١، ص ١٠٨).

(2) تعدّ مؤلفات المسعودي، التي جاءت في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، المكانة الأولى بين البلدانيين العرب في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولاسيما جمع أكثر ما كتبه عن طريق المشاهدة والاختبار والأسفار.(كراتشكوفسكي: أغناطيوس يوليانوفتش): تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية ١٩٥٧م، ج ١، ص ١٨٣).

(3) Trimingham. J. S.: The Arab Geographers and East African Coast in: East Africa and the orient. ed. By Chittcis and Rorberg, NewYork. 1975. pp. 120–30

(4) انحصرت معلومات البكري عن الساحل الشرقي لإفريقيا في وصفه لحدود هذه البلاد وذكر سكانها الزنوج من حيث أصولهم وتواجدهم في بلاد الزنج وأسماء ملوكهم، وهو ينقل هذه المعلومات عن الذين سبقوه من الكتاب ولاسيما المسعودي. كما يتطرق إلى ذكر منتجات بلاد الزنج ولاسيما التجارية منها والتي تحمل إلى شبه الجزيرة العربية والشرق الأقصى، وذلك لأنه جمع معلوماته عن الساحل الشرقي لإفريقيا عن طريق التجار والرحالة الذين التقى بهم في الأندلس، إلى جانب المدونات والمؤلفات العربية الكثيرة التي كانت تحت تصرفه في مدينة قرطبة والتي أغناها دراسة وتحليلاً. (البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد، ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م): المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م، ص ٤٨٧).

أما ياقوت الحموي[1] فيذكر النشاط التجاري لمقديشو، وارتحال التجار إليها لجلب المتاع منها، ولاسيما الخشب والعاج، متوقفاً عند هذا الحد[2].

وزيارة ابن بطوطة[3] للساحل الشرقي لإفريقيا تدل على الطريق المعروف، آنذاك، عند التجار الذين يمارسون عبره نشاطاتهم التجارية بين منطقتي الساحل الشرقي لإفريقيا وشبه الجزيرة العربية. كما احتوت الرحلة على معلومات مهمة عن النشاط التجاري من مدن الساحل الشرقي لإفريقيا، ونتائج هذا الاتصال الطويل الذي أثرى بصورة واضحة أيام ابن بطوطة، حيث يسجل لنا استخدام اللغة العربية كلغة رسمية في مدينة مقديشو، واتباع نظام الحكم ذات المنحى العربي، ووجود المدارس الفقهية في مجال الدين، وكذلك يسجل لنا التأثير العربي، ولا سيما تأثير سكان شبه الجزيرة العربية في طراز البناء في شرق إفريقية، وفي هذا كله تأكيد على صلات شبة جزيرة العرب بشرق إفريقيا [4].

---

(1) اعتبر مصنف ياقوت الحموي " معجم البلدان" من خيرة الكتب الجغرافية في العصر الوسيط فهو يبحث في هذا المعجم أصل الموقع الجغرافي ونشأته والظروف التي أحاطت بذلك ومن سكنه من العلماء والفقهاء، والدور التاريخي الذي لعبه، وبذلك فإن مادة ياقوت متنوعة للغاية (كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج ١، ص ٣٣٩.

(2) أهمل ياقوت ذكر الكثير من مدن شرق إفريقيا التي كان لها نشاط تجاري متميز في أيامه. (ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م): معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت، ١٩٥٥م، ج ٥، ص ١٧٣).

(3) يقول كراتشكوفسكي عن ابن بطوطة: إنه مهما اختلفت الآراء فيه فإنه من المستحيل إنكار أنه كان آخر جغرافي عظيم من القلعية العظمية، ونقل ذلك يرجع إلى كونه قد حصل على معلوماته عن طريق أسفاره إلى مختلف البلاد وأنه لم ينقلها عن غيره، وكان ابن بطوطة قد عزم على السفر لتأدية فريضة الحج، لكن عصا التّرحال ألحّت عليه إلى مختلف الأقطار ولم يعد إلى مدينة طنجة إلا بعد أكثر من ربع قرن. (كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ج ١، ص ٤٢١).

(4) زيارة ابن بطوطة للساحل الشرقي لإفريقيا تمت عام ٧٣٢هـ / ١٣٣١م، حيث تحول من عدن إلى زيلع (في الصومال) متجهاً إلى مدن ساحل الزنج مثل مقديشو (في الصومال) ومومباسا (في كينيا) وكلوه (في تنزانيا)، ثم عاد إلى اليمن ومنها إلى عمان ومدخل الخليج العربي ووصل إلى البحرين والقطيف. (ابن بطوطة: الرحلة، ج١، ص ١٩٨ ، ١٩٩).

النشاط التجاري لسلطنة مقدشو الإسلامية وشبة الجزيرة العربية[1].

توافرت لسلطنة مقدشو الإسلامية فرصة النمو والازدهار في هدوء، طوال العصور الوسطي، حتي جاء البرتغاليون في أوائل القرن السادس عشر، واحتلوا المدن الساحلية التجارية في أفريقيا الشرقية، واحتكروا التجارة في المحيط الهندي، وحاولوا ضرب مقدشو واحتلالها، لكنهم لم يتمكنوا، ومع ذلك فقد أصيب تجار مقدشو بضربات قاصمة، ومن هنا بدأت هذه السلطنة تسير في طريق الضعف والانهيار. أما قبل ظهور هؤلاء البرتغاليين، فالشواهد كثيرة علي ازدهار الحياة والحضارة في سلطنة مقدشو في العصور الوسطى[2].

ففي مجال الحياة السياسية أشار ابن بطوطة إلي نظم تلحكم راقية، وإلي حياة إسلامية قوية، لا تكاد تختلف عن غيرها في البلاد الإسلامية الأخري، إلا في أنها تعطينا انطباع الأفريقي والصورة الأفريقية للحياة الإسلامية، كما تحدث ابن بطوطة عن أن الحكم كان في يد سلطان يلقب بلقب الشيخ، وأن الناس هناك كان من عادتهم أن يلقبوه بهذا اللقب[3].

---

(1) عند الحديث عن النشاط التجاري بين سلطنة مقدشو الإسلامية وشبة الجزيرة العربية لابد من الإشارة إلي أن السفن التي كانت تنقل البضائع من الساحل الشرقي لإفريقيا وإليه كانت مراكب يمتلكها عرب شبة الجزيرة العربية، وهذا ما أكده الإدريسي الذي يشير إلي ذلك بقوله "وليس للزنج مراكب يسافرون فيها وإنما تحمل إليهم المراكب من عمان وغيرها، فيبيعون هناك متاعهم ويشترون متاع الزنج". (الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٥٣).

(2) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص ٢٦٠.

(3) كان لهذا الشيخ أو لهذا السلطان وزراؤه وقضاته وموظفوه، وكانت له مواكبه الرائعة التي تجمع بين الشكل الإسلامي والطابع الأفريقي، فقد كان يخرج للصلاة أيام الأعياد وأيام الجمعة في موكب مهيب وقد رفعت فوق رأسه أربع قباب من الحرير المنون، يطير كلا منها طائر مصنوع من الذهب الخالص، بينما تضرب الطبول والأبواق والأنفار (جمع نفير) بين يديه، ويحتشد حوله أمراء الأجناد والقواد والقاضي والفقهاء والأشراف والصالحون، ويسير الموكب علي هذا النحو المنظم غاية التنظيم حتي يصل إلي المسجد فيؤدون الصلاة، ثم يخرج السلطان ومن معه علي هذا النظام وتلك الهيئة ويسير حتي يدخل مشوره (دار الشورى)، فيقف الوزراء والأمراء ووجوه الأجناد من القواد في سفيفة هناك، ويفرش للقاضي بساط لا يجلس معه عليه غيره، والفقهاء والشرفاء جلوس مع السلطان، ويظلون كذلك حتي صلاة العصر فيؤدونها مع الشيخ (السلطان) الذي يؤديها في مقصورة

وفي مجال العمران: أشار المؤرخون إلي ازدهار العمران في سلطنة مقدشو ونموه لدرجة كبيرة[1]. فقد قام بنو الحارث ببناء العديد من المدن؛ التي يأتي علي رأسها مدينة مقدشو عاصمة السلطنة. وساعدهم علي ذلك أن تجار مقدشو كانوا أول من وصلوا بسفنهم إلي سفالة التي تقع جنوب نهر الزمبيزي في موزنبيق، للحصول علي الذهب الذي كان يؤتي به من متاجمه في المناطق الداخلية[2]، مما در عليهم أموالا كثيرة استفادوا منها في تطوير مقدشو، فحلت المنازل المشيدة بالحجارة، علي الطراز العربي، محل المباني الخشبية والمساكن المتخذة من القش المغطي بجلود الحيوانات، وأنشئ كانت

والوزراء ووجوه الأجناد ويسلمون عليه ، وعادتهم في السلام تعادة أهل اليمن ، يضع الواحد منهم سبابته في الأرض ثم يجعلها علي رأسه ويقول للسلطان: أدام الله عزك. ثم تضرب الطبول والأبواق إيذانا بخروج السلطان ومسيره إلي داره، وعند ضربها لا يتحرك أحد ولا يتزحزح من مكانه، حتي من كان ماشيا توقف عن المشي فلا يتحرك لا إلي أمام ولا إلي خلف. فإذا انتهي ضرب الطبلخانة (أي الموسيقي العسكرية) سلم الجميع علي السلطان علي النحو السابق وانصرفوا وانصرف السلطان إلي داره، تلك كانت عادة السلطان كل يوم جمعة، أما يوم السبت فكان يوما مخصصا للفصل في المظالم والشكاوي أو الالتماسات التي يقدمها الأهالي الذين كانوا يأتون في هذا اليوم ويجتمعون في مقاعد مخصصة لهم خارج دار السلطان، بينما كان القاضي والفقهاء والأشراف والصالحون والمشايخ والحجاج يجلسون في دار أخري تسمي المشور الثاني. أما المشور الأول فقد كان السلطان يجلس فيه ويبعث إلي القاضي يعلمه عن يأسره، ويقعد كبار الفقهاء بين يديه، ثم يدخل الأمراء والوزراء والأشراف فيسلمون ويأخذ كل منهم مكانه، ويؤتي بالطعام فيأكلون مع السلطان ويأكل سائر الناس بعد الطعام، ثم ينصرف السلطان إلي داره بينما يظل القاضي والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الأمراء في مجلسهم تفصل بين الناس، فما كان متعلقا بالأحكام الشرعية حكم فيه القاضي، وما سوي ذلك من قضايا حكم فيه أهل الشوري وهم الأمراء والوزراء، أما ما كان مفتقرا إلي مشورة السلطان فكان يرفع إليه حيث يبدي رأيه، ويعود الرد عني ظهر البطاقة أو الورقة التي كانوا قد رفعوها فيه.(ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٧).

(1) من تلك الآثار مسجد قديم يسمي مسجد فخر الدين، ولهذا المسجد قبلة تحتوي علي لوحة رخامية تحيط بها كتابة باسم "الحاج بن محمد بن عبد الله" وهو علي ما يبدو اسم الصانع الذي قام بصنعها أو البناء الذي قام ببنائها أو بناء المسجد كله، وينتسب هذا المسجد إلي سلطان مقدشو أبو بكر فخر الدين الذي تولي الحكم في عام ٤٩٥هـ/١٠٩١م. وقد بني هذا المسجد في حي حمرين وتظل واجهته الرئيسية ناحية الشرق، وله ثلاثة أبواب [ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٨]

(2) رجب عبد الحليم- العمانيون والملاحة ص ٢٧١.

من عمل المهاجرين السابقين من الزيديين[1]، وقد تعددت طوابق المنازل التي بناها بنو الحارث حتي اصبحت أربعا أو خمسا في عام ٨٦٧هـ / ١٤٣٣م[2]. وعبر ابن بطوطة عن هذا التطور العمراني لمقديشو فقال: إنها "مدينة متناهية في الكبر"[3].

ولم يكن هذا الازدهار، سواء في المجال السياسي أو العمراني، إلا نتيجة للنشاط الإقتصادي، وخاصة التجاري منه، إذ كانت مدن مقديشو مزدحمة بسكانها، سواء المقيمين أو التجار المحليين، أو التجار الغرباء، الذين كانت تحيطهم بكل رعاية واهتمام. فقد قال ياقوت الحموي عن أهل مقديشو إنهم " إذا قصدهم التاجر لابد له من أن ينزل علي واحد منهم ويستجير به فيقوم بأمره"، ويبين ياقوت المنتجات التي يحصل عليها هذا التاجر الأجنبي؛ مثل الصندل والأبنوس والعنبر والعاج، وغير ذلك من السلع الأخري التي يمكن أن تكون مجلوبة إليها[4].

أما ابن بطوطة؛ فقد فاض في ذكر اهتمام سلاطين مقديشو وأهلها بالتجار الغرباء، فقال عن السلطان إن "من عوائده انه متي وصل مركب بصعد إليه صنبوق السلطان وهو قارب صغير، فيسأل عن المركب من أين قدم ومن صاحبه، ومن ربانه، وهو الرئيس، وما بسقه، ومن قدم فيه من التجار وغيرهم، فيعرف بذلك كله ويعرضه علي السلطان فمن استحق أن ينزل عنده أنزله"[5].

---

(1) جبان: وثائق تاريخية، ص ٨٨ – أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ٦ ص ٣٩٥.

(2) جبان: وثائق تاريخية، ص ١٨٣.

(3) جبان: نفسه، ص ٢٥٨.

(4) لعمدروس: بغية الآمال في تاريخ الصومال، ص ٨٥.

(5) كان ينزل عند السلطان بعض التجار وخاصة كبارهم وأثرياؤهم بطبيعة الحال، وهذا يعني أن السلطان كان يشارك في النشاط التجاري بنفسه أو بواسطة رجاله. كما كان يشارك فيه أهل مقديشو الذين كانت عنايتهم واهتمامهم بالتجار لا تقل عن عناية واهتمام السلطان فقد قال في ذلك ابن بطوطة إنه " من عادة أهل هذه المدينة انه متي وصل مركب إلي المرسي تصعد الصلغيق، وهي القوارب الصغار إليه، ويكون في كل صنبوق جماعة من شبان أهلها، فيأتي كل واحد منهم بطبق مغطي فيه طعام ، فيقدمه للتاجر من تجار المركب ويقول: هذا نزيلي، وكذلك يفعل كل واحد منهم، ولا ينزل التاجر من المركب إلا إلي دار نزيله من هؤلاء الشبان، إلا من كان كثير التردد إلي البلد وحصلت له معرفة بأهله، فإنه ينزل حيث شاء، فإذا نزل عند نزيله باع له ما عنده واشتري له، ومن اشتري منه بيخس أو باع منه بغير حضور نزيله، فذلك البيع مردود عندهم، وليهم منفعة في ذلك"، والمنزول عنده الذي أشار إليه ابن بطوطة هو ما يعرف اليوم بالسمسار فهو يشتري للناس ويبيع

ونتج عن ذلك أن ازداد النشاط التجاري في سلطنة مقديشو، مما أثار انتباه ابن بطوطة فقال: إن "أهلها تجار أقوياء". كما أثار انتباهه أيضا تلك المصنوعات المحلية أو المستوردة، يفهم ذلك من قوله إن مقديشو " تصنع بها الثياب المنسوبة إليها التي لا نظير لها ومنها تحمل إلي ديار مصر وغيرها"[1]. كما أشار إلي ثروتها الحيوانية التي كانت تصدر أيضا بقوله " وأهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها المئات في كل يوم ولهم أغنام كثيرة"[2]، وتحر المئات من الجمال في مدينة مقديشو وحدها دلالة علي كثرة سكانها، كما أن كثرة هذه الماشية من جمال وأغنام ترجح أنهم كانوا يصدرونها إلي البلدان المجاورة، وربما وصلت إلي مصر، خاصة وأنهم كانوا يجلبون منها بعض السلع، يتبين ذلك من قول ابن بطوطة: إن الطلبة وأحد وزراء الشيخ (السلطان) والقاضي جاءوه بكسوة تكريماً له، منها دراعة (جبة) من المقطع المصري معلمة، وهو ضرب من النسيج أو الأقمشة التي تصنع في مصر، وعمامة مصرية مطمة[3]. ويتبين من قوله "أن لباس سلطان مقديشو حينما خرج لصلاة الجمعة يتكون من فرجية مقدسي أخضر، وتحتها من ثياب مصر وطروحاتها" أي ما يطرح علي الأكتاف[4]. والفرجية المقدسي هي نوع من الأقمشة كانت تصنع في القدس، وقد أهدي منها لابن بطوطة، مما يدل علي أن تجار مقديشو كانوا يتعاملون مع القدس وبلاد الشام، إذ يقول: إن أحد الفتيان، في دار سلطان مقديشو، كان يسكب ماء انورد الدمشقي عليه وعلي القاضي[5].

ويذكر المسعودي، في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد، أن سفن العمانيين كانت تصل إلي خليج الصومالي وتمر وتعبر بحر بربري وبلاد حقوني الصومالية، وساحل شاطئ الصومال الجنوبي حتي تصل إلي ميناء سفالة الذي يقع في

لهم نظير مبلغ معين يأخذه من كلا الطرفين البائع والمشتري. وهذا معني قول ابن بطوطة " وليهم منفعة في ذلك". (ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٧ – ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٥ ص ٢٧٣).

(1) ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٦ ، ١٩٧.

(2) نفس المصدر السابق والصفحة.

(3) ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٦ ، ١٩٧.

(4) نفس المصدر السابق، ص ١٩٨.

(5) نفس المصدر السابق والصفحة.

تنزانيا الآن، وكذلك إلى جزيرة قنبلو في بحر الزنج [١] والتي من المرجح أنها جزيرة مدغشقر. ومعنى ذلك أن سفر عمان وكذلك سفن سيراف الفارسية كانت في تجارة منتظمة مع مقديشو وموانئ شرق أفريقيا الأخرى في ذلك الوقت[٢] ولم ينقطع هذا التواصل التجاري بين مقديشو وهذه البلدان إلا حين وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي، في مستهل القرن السادس عشر للميلاد، فقد كان التجار العرب يشاهدون في كل مكان على ساحل أفريقيا الشرقي، وكان البحارة اليمنيون أكثر من غيرهم في استخدام الطريق الملاحي إلى شرق أفريقيا، وكانوا يبحرون بسفنهم من سيراف وعدن إلى زيلع وعيذاب وسواكن وبربرة وزنجبار[٣].

الطرق التجارية لسلطنة مقديشو الإسلامية وشبه الجزيرة العربية.

الطرق التجارية لسلطنة مقديشو الإسلامية مثلت الركن الأساسي والرئيسي الذي ارتكز عليه اقتصادها منذ نشأتها، وهيأ لها موقعها المتميز، على ساحل المحيط الهندي، أن تصبح واحدة من أهم وأشهر المراكز التجارية بهذا المحيط، كما جعلها من أهم محطاته، ومراكزه التي تركزت بها أعظم وأنشط الحركات والعمليات التجارية على الساحل الشرقي لإفريقيا، في العصور الوسطى[٤].

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٩٧ – للمزيد عن جزيرة قنبلو أنظر: كرم الصاوي بازة: الوكالات التجارية حلقة وصل بين مجلسعات البحر الأحمر ومدغشقر وجزر القمر في الفترة من ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠ – ١٥١٧م، بحث مقدم في ندوة البحر الأحمر عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ٢٠٠٣ م.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٠٦، ١٠٧.

(٣) جورج فضل حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨ م، ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٤) كان لموقع مقديشو على ساحل المحيط الهندي الغربي، وكونها واحدة من أشهر محطاته أثر كبير في أن تستقبل الكثير من المسافرين والتجار، إضافة إلى أنها كانت محط كثير من الهجرات العربية، كل ذلك أثر في أن تأخذ مقديشو صورة العديلة التجارية سواء من حيث طبيعة النشاط الاقتصادي، أو من حيث طبيعة التركيب السكاني. (ابن سعيد: الجغرافيا، ص ٨٢ – ص ٢١٣؛ القزويني (زكريا بن محمد بن محمود، ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٩٦٩ م، ص ٦٢؛ – ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٨؛ – شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في

ووفدت إلى سلطنة مقديشو الإسلامية السفن التجارية، عن طريق شبه الجزيرة العربية، وبلاد الهند والصين ومصر، فضلا عما ورد إليها من سلع وبضائع الحبشة، وسلع مدن الساحل الشرقي لإفريقيا، سواء أكان ذلك من خلال الطرق البحرية، أم من خلال الدروب، والممرات والطرق البرية[١].

وقد أطلق البلدانيون العرب أسم "بحر الزنج" على الجانب الغربي من المحيط الهندي؛ الذي يطلق عليه الساحل الشرقي لإفريقيا، كما سموا الشاطئ المطل على هذا البحر باسم "بلاد الزنج"[٢]. وحددوا الإقليم الجغرافي الذي تقع فيه بلاد الزنج، وقسموه على أربعة أقسام وهذه الأقسام هي:

القسم الأول: بربرا: يقول المسعودي "وله (البحر الحبشي) خليج متصل بأرض الحبشة يمتد إلى ناحية بربري من بلاد الزنج والحبشة ويسمى الخليج البربري، وطوله خمسمائة ميل، وعرض طرفيه مائة ميل، وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قنبلو من بحر الزنج وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الأزد[٣]. وإن أرباب المراكب العمانيين يعرفون هذا البحر ويعرفون أمواجه العظيمة[٤].

عصر السيادة الإسلامية (٤١ – ٩٠٤ هـ / ٦٦١ – ١٤٩٨ م)، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٥٤، الكويت ١٩٩٠ م، ص ١٦٦).

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٤٧٣ – ابن سعيد: الجغرافيا، ص١٨٢ – ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٨، ١٩٩؛ – المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١م): الإلمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الإسلام، القاهرة ١٨٩٥ م، ص ١٠٤.

Coupland, R.: East African and its invaders. Oxford, 1938. p. 307.

Trimingham, J.S.: The Influence of Islam upon Africa. Beirut, 1968, p. 22-31.

(2) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ١١١٠ – الأصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي، ت ٣٤٩ هـ / ٩٥٧ م): مسالك الممالك، القاهرة ١٩٦١ م، ص ٤٩ – ابن حوقل (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م): المسالك والممالك، ليدن ١٨٧٣م، ص ٤٩؛ – البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ١٨٧، ١٨٨ .

(3) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٠٧.

(4) المسعودي: نفسه، ج ١، ص ١٠٧.

ويحدد ابن سعيد بلاد بربرا بقوله "إن نيل مقديشو هو آخر حد بلاد بربرة، وأول بلاد الزنج"، ولكنه لم يحدد امتداد منطقة بربرا شمالاً[1]. أما ياقوت فيذكر أن بربرا تقع بين الحبشة وأرض الزنج[2].

القسم الثاني: بلاد الزنج: وتمتد من مقديشو التي اعتبرت أول بلاد الزنج[3]، إلى سفالة[4]، يقول المسعودي "ومساكن الزنج من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل إلى بلاد سفالة والواق واق، ومقدار مسافة مساكنهم واتصال مقاطنهم في الطول والعرض نحو مسيرة سفالة فرسخ أودية وجبال ورمال[5]. كما يضيف المسعودي "أن القبيلة كثيرة في أرض الزنج ومنها يتجهز التجار بالعاج الذي يحمل إلى مناطق الخليج والشرق الأقصى[6].

أما الإدريسي فيقول: مدن بلاد الزنج، فيذكر مقدشو بأنها مدينة على الساحل "هي مدينة كبيرة وأهلها يحترفون الصيد براً وبحراً فيصيدون في البر الفهود والثعالب ويصيدون في البحر ضروبا من الحيتان. وعندهم معدن حديد يحفرونه ويعملون وهو جل مكسبهم وتجارتهم[7]. معنى ذلك أن حركة التجارة في هذه المدينة كانت تقوم على تجارة الحديد. كما يشير إلى احتراف أهل مدينة مومباسا استخراج الحديد، ويقول "إنها مدينة على البحر وعلى ضفة خور كبير تدخله المراكب مسير يومين وليس عليه شيئ من العمارة وفي هذه المدينة سكني ملك الزنج وأجناده[8]. أما آخر بلاد الزنج فيحددها الأدريسي بقوله: "ومن

(1) ابن سعيد: الجغرافيا، ص ١٨٢ – الدمشقي (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي طالب الأنصاري الصوفي، ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٨ م ، ص ١١٤.

(2) ويمكن القول بأن بلاد بربرا تضم السواحل الشمالية والشرقية من الصومال (وتعرف بساحل بنادر) وإن التجار العرب من الخليج ولاسيما العمانيين كانوا يمارسون التجارة مع هذه المنطقة. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٠٦).

(3) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ١٧٣ – القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٦٢.

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٢٤ – المسعودي: مروج الذهب ، ج٢، ص ٦.

(5) المسعودي: مروج الذهب ، ج ٢، ص ٦.

(6) المسعودي: نفسه، ج ٢، ص ٦.

(7) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٥٢.

(8) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٥٢.

منبسة إلى قرية البابص ستة أيام في البر والبحر. وقرية البابص قرية جامعة آهلة بالناس.. وهي آخر عمالة الزنج ويتصل بها أرض سفالة)[1].

القسم الثالث: سفالة: ويشار إلى بلاد سفالة باسم "سفالة الزنج" أيضا[2]، كما سميت بأرض الذهب "أو التبر"[3]، وكانت مقصد أصحاب المراكب الخليجية[4] من أجل الحصول على الذهب. ويشير البلدانيون العرب إلى بعض مدن سفالة مثل بتينة[5]، وصوفالة التي كانت مقر ملك سفالة، ويبدو أنها كانت مركزاً تجارياً، حيث يتاجر أهلها بالذهب والفضة، وهي آخر عمائر بلاد سفالة[6].

القسم الرابع: الواق واق: تكمل هذه المنطقة صورة بلاد الزنج، ومع هذا فقد وصفت بشكل غامض، حيث قيل بأن أرضها تمتد إلى جنوب منطقة سفالة. ولم يذكر المسعودي اي شئ عن الواق واق. أما الإدريسي فيشير إلى وجود "مدينتين حقيرتين (في الواق واق) وسكانها قليل لضيق عيشها وتكدر رزقها، وليس بأرض هؤلاء القوم شئ من الذهب، ولا يخرج من عندهم تجارة ولا مراكب ولا دواب"[7]. ويدل هذا على أن هذه المنطقة لم تكن محط أنظار التجار العرب، ولم تسهم في حركة النشاط التجاري في شرق أفريقيا، بسبب عدم وفرة المنتجات التي ينشدها التجار.

لقد شهد الساحل الشرقي لإفريقيا نشاطاً تجاريا عربياً واسعا، وكان هذا النشاط الركيزة الرئيسية في قيام العلاقات العربية الإفريقية في العصر الوسيط. ونستطيع، من خلال كتب البلدانيين العرب، رسم الطريق التجاري الذي يربط بين سلطنة مقديشو الإسلامية الواقعة على الساحل الشرقي الإفريقي، وشبة الجزيرة العربية. وذلك على الرغم من أن كتب البلدانيين للعرب الأوائل، لا تحتوي على تفاصيل لجميع مراحل السير في بحر الزنج، الذي يصل بين الساحل الشرقي الإفريقي وشبة الجزيرة العربية. وإنما اكتفوا بالإشارة إلى وجود طريق بحري ما بين شبة الجزيرة العربية، ومر بعمان وعدن، إلى بلاد

(1) الإدريسي: نفسه، ص ٥٣.

(2) الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ١١٤.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٧٠.

(4) المسعودي: مروج الذهب ، ج ١، ص ١٠٧.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٥٢ – ابن سعيد: الجغرافيا، ص ٨٣.

(6) ابن سعيد: الجغرافيا، ص ٨٣.

(7) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٧٠.

الزنج، ويعزي ذلك إلي قلة النشاط التجاري، بين سلطنة مقديشو الإسلامية، وشبة الجزيرة العربية، في القرون الإسلامية الأولي[1].

لقد سجلت تجارة الجزيرة العربية – ما بين القرن الثاني إلي القرن الخامس الهجريين/ الثامن . الحادي عشر الميلاديين – تطوراً كبيراً مع الشرق الأقصي، حيث جذبت منتجاته التجار العرب. ولكن في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي؛ بدأت القلاقل والاضطرابات السياسية، في الجزيرة العربية، تؤثر علي هذه التجارة فأضعفتها، فتحول نشاط تجار العرب إلي البحر الأحمر وشواطئ بلاد الزنج، بعد إنهيار الدولة العباسية[2]، ومن ثم بدأت تجارة الجزيرة العربية مع الشرق الأقصي بالضعف، كما أشار المسعودي إلي ذلك بالتفصيل[3]، منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بعد الاضطرابات التي حلت بالصين. وتأثرت هذه التجارة أيضا، كما يشير ابن حوقل، بالاضطراب السياسي والفوضى التي وقعت في البحرين (بسبب سيطرة القرامطة)، مما شجع القبائل البدوية علي أن تفرض سيطرتها علي الطرق التجارية التي لم تعد آمنة[4].

ومنذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، نجد تفاصيل دقيقة عن الطريق التجاري الذي يربط الساحل الشرقي الإفريقي وشبة الجزيرة العربية. إذ كانت الرحلة إلي شرق إفريقيا تبدأ من منطقة البصرة (في الابلة) ثم إلي القطيف (في الإحساء)، ثم إلي البحرين وجزائر قطر، ثم إلي بلاد عمان فبلاد المهرة، ثم إلي أرض الشحر (حضرموت) حتي تصل المراكب إلي عدن، ومن هناك إما أن تذهب السفن شمالا إلي سواحل جزيرة

(1) ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر بن رسته): الأعلاق النفيسة ، ليدن، بريل، ١٨٩٢، ص ٨٦ – ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني): مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٣٠٢، ص ١١.

(2) نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت، ١٩٦٢ م، ص ١٢٢٤ – عبد الجبار ناجي: العلاقات التجارية بين البحرين والعراق خلال العصر الوسيط، مجلة الوثيقة (البحرينية) العدد السادس، السنة الثالثة، يناير ١٩٨٥م، ص ١٠٨.

(3) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٣٠٨.

(4) ابن حوقل: المسالك والممالك، ص ٤٧؛ عبد الجبار ناجي: العلاقات التجارية بين البحرين، ص ١١٧.

العرب الغربية، أو إلي شواطئ افريقية المطلة علي البحر الأحمر، أو أن تذهب جنوبا إلي بحر الزنج، حيث شواطئ إفريقيا الشرقية[1].

فالبكري بعد أن يصف مراحل المسير التي تبدأ من منطقة البصرة إلي "القطيف والبحرين وعمان، ثم بعد متخذاً الشمال علي ساحل البحر حتي يأتي علي عدن، وعدن منتهي العنق الذي يخرج من البحر، ثم ينحاف هذا العنق من عدن فيمضي منعطفاً علي جزيرة العرب مستقبلاً الشمال، فعن يمين الذاهب منه إلي جزيرة العرب، وإلي يساره بلاد السودان[2].

ويمكن أن نسمي هذه المرحلة الأولي، في الطريق التجاري، بين الساحل الشرقي الإفريقي وشبة الجزيرة العربية، تتبعها المرحلة الثانية، والتي تبدأ من منطقة الشحر بين عمان وعدن (في حضرموت)، وتنتهي بمقابلة الزنج آخر منطقة تصلها السفن العربية[3].

تبدأ الرحلة من الشحر باتجاه جنوبي غربي مارة (برأس جوبه قوي) إلي جزيرة سوقطرة، ومن هذه الجزيرة تبحر السفن إلي أول مرفأ إفريقي هو رأس حافوني (يعرف اليوم رأس حافون علي الساحل الصومالي)، ومنه جنوباً إلي مقديشو أول بلاد الزنج[4]، ثم إلي المدن الساحلية الواحدة تلو الأخري، حيث تبحر السفن إلي بربرة ثم تدخل مدينتي بانا ولامو، وبعدها تتجه المراكب جنوبا إلي مالندي وممباسا، وهي من المراكز التجارية المهمة في الساحل. وحين تبحر المراكب من ممباسا تلتزم الطريق المحاذي للساحل الافريقي، إلي أن تتمكن من عبور قناة زنجبار، ثم تدخل جزيرة زنجبار، وقد تزور السفن قبل زنجبار جزيرة يمبا، وإلي الجنوب من زنجبار تتجه المراكب إلي مدينة كلوة المركز

(1) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١١١٠ – ابن حوقل: المسالك والممالك، ص ٤١٦ – البكري: المسالك والممالك ، ج ١، ص ٦٧، ص ٦١٥ .

(2) ابن حوقل: المسالك والممالك، ج ١، ص ٦٧.

(3) ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م): المسالك والممالك، ليدن، ١٨٨٩م، ص ٦٠ . ٦١ – الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٥٠٣ – ابن الفداء (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عمر، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م): تقويم البلدان، تحقيق البارون ماك كوكين دبمسلان، باريس ١٨٤٠ م، ص ١٥١ . ٥٢.

(4) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٠٧؛ – ابن سعيد: الجغرافيا، ص ١٨١ – ابن بطوطة، الرحلة، ج ١، ص ١٩٨.

التجاري المهم[1]. وقد تسير بعض المراكب من مومباسا مباشرة باتجاه الجنوب، حتى تصل إلى آخر قرية في بلاد الزنج وهي البايص، وبعدها تدخل إلى أرض سفالة، فتمر على أهم مدنها التي هي آخر قواعد بلاد سفالة، وقد تبحر السفن من بلاد سفالة إلى جزر القمر[2]، كما قد تزور بعض السفن جزيرة مدغشقر أيضا.

ويصف البلدانيون العرب الطريق التجاري، بين مقديشو وشبه الجزيرة العربية، توضيحا وتأكيداً للمراحل التي تقطعها السفن، في المرحلة الثانية، من رحلتها من الجزيرة العربية إلى مقديشو. إذ يذكر "ابن خرداذبة" أن عدن هي مركز لتجميع البضائع القادمة من الخليج، ولا سيما البصرة، والقادمة من بلاد الزنج والحبشة وغيرها[3].

وكان المسعودي على علم بالطريق البحري بين الساحل الشرقي الإفريقي وشبة الجزيرة العربية، فقد تحدث عن رحلات تجار الخليج، ولاسيما عرب عمان من الأزد، إلى بلاد الزنج، وكان هو نفسه قد أبحر عدة مرات مع السفن من عمان إلى أفريقيا الشرقية، حتى وصل إلى جزيرة قنبلو، فيقول "وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج (خليج بربري) إلى جزيرة قنبلو في بحر الزنج، وفي هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزنج، والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربري، وهم يعرفونه ببحر بربري، وبلاد جنوني (حافون)، أكثر مساحة مما ذكرنا (قدرها المسعودي بطول خمسمائة ميل وعرض مائة ميل) وموجه عظيم كالجبال الشواهق.. وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الأزد. وينتهي هؤلاء في بحر الزنج إلى جزيرة قنبلو على ما ذكرنا، وإلى بلاد سفالة والواق واق في أقاصي أرض الزنج والامائل في بحرهم.. وقد ركبت أنا هذا البحر في مدينة سنجار من بلاد عمان (وسنجار قمة بلاد عمان) مع جماعة من نواخذة السيرافيين وهم أرباب المراكب.. وآخر مرة ركبت فيه سنة أربع وثلاثمائة من جزيرة قنبلو إلى مدينة عمان.."[4].

(1) وزارة التراث القومي والثقافة: عمان في أعمالها البحرية، عدد ٨، سلطنة عمان، ١٩٨٠م، ص ٦٨ ـ ٧٠.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٥٢، ٦٠، ٧٠.

(3) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ٦٠، ٦١.

(4) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٠٧.

ويضيف المسعودي واصفا قنبلو بقوله "إنها جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين إلا أن لغتهم زنجية. غلبوا على هذه الجزيرة.. ومنها إلى عمان في البحر نحواً من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حزراً منهم لذلك، لا عن طريق التحصيل والمساحة"[1].

لقد حاول ترمنجهام، عرض نصوص الجغرافيين العرب التي تصف جزيرة قنبلو، وكل ما يتصل بها، مبتدئاً بالمسعودي، ثم ابن حوقل، وبزرك بن شهريار، والبيروني، وكذلك يورد معلومات الإدريسي وياقوت وابن سعيد. وبعد دراسته لهذه النصوص يقول: "كما هو واضح من الخرائط الخاصة بأوائل الجغرافيين وروايات الرحالة إلى شرق أفريقيا، فإن قنبلو من الممكن أن تكون مستقراً للقادمين الأجانب على جزيرة في ذلك الساحل (ساحل إفريقيا الشرقي) كأن تكون بمبا أو زنجبار او مافيا، وليست مدغشقر"[2].

أن المعلومات الخاصة بالطريق التجاري الذي يربط بين سلطنة مقديشو، الواقعة على الساحل الشرقي الإفريقي والجزيرة العربية – نجدها في مدونات البلدانيين العرب الذين كتبوا بعد المسعودي. الذين يقدمون وصفا للمدن الساحلية في أفريقيا الشرقية ونشاطها التجاري.

ويذكر الإدريسي مدن الساحل الإفريقي الشرقي بصورة متتالية، فكأنما يسير على الساحل، وينتقل من مدينة إلى أخرى، محدداً المسافات بينها، ثم يشير للجزر المقابلة للساحل؛ مؤكداً في ذلك على النشاط التجاري لهذه المدن والجزر، وبعد أن يتكلم عن منطقة بربرة (بربرا) ينتقل إلى أرض الزنج، حيث يبدأ بوصف ملندة فيقول: "مدينة ملندة من بلاد الزنج ثلاثة أيام في البحر بلياليها، وملندة على ضفة البحر على خور ماء عذب وهي مدينة كبيرة، وعندهم معدن حديد يحترفونه ويعملونه وهو جل مكسبهم وتجارتهم. ومن هذه المدينة إلى ممبسة على الساحل مسافة يومين وهي مدينة صغيرة للزنج وأهلها محترفون باستخراج الحديد من معدنه والصيد للعنبر. وهذه المدينة على البحر وعلى ضفة خور كبير تدخله المراكب مسيرة يومين ومن ملندة إلى قرية البايص ستة في البر ومجر أو نصف في البحر. وهي آخر عمالة الزنج وتتصل بها أرض سفالة"[3].

(1) المسعودي: نفسه، ج ١، ص ٩٨.

(2) Trimingham. The Arab Geographers and the East African Coast.P. 129.

(3) يصف الإدريسي مناطق سفالة ويذكر من مدنها مدينتين حيث يقول "جنطة وبندمة وهي على ضفة البحر وهما صغيرتان وأهلهما في ذاتهم قلة وفي أنفسهم ذلة وليس بأيديهم شئ يتصرفون به

والمعلومات التي أوردها الأدريسي، عن مدن الساحل الإفريقي، يؤكدها ابن سعيد بقوله: "مدينة مقدشو أول بلاد الزنج، مشيراً إلي كونها "مدينة الإسلام المشهورة في ذلك الصقع المتعددة الذكر على ألسن المسافرين"[1]. ثم يذكر ابن سعيد مدن الزنج المشهورة، مثل ملندة وممنبسة، وكونها مراكز لحط السفن، ثم ينتقل إلي منطقة سفالة، مشيراً إلي مدينة بتينة "وهي على ذيل جرف عظيم يدخل في البحر"، ثم يتكلم عن عمائر السفالبين.. وأكثر معائشهم من الذهب والحديد ونياسهم جلود النمور". ثم ينتهي إلي مدينة ليرانة التي يقول عنها "إنها للمسلمين كمقديشو وأهلها مجتمعون من الأقطار، وهي بلد حط وإقلاع"، أما مدينة دغوطة، فهي آخر مدن سفالة وآخر العمارة في البر التي تتصل بهذا البحر"[2].

وبذلك تكون مدينة دغوطة آخر المدن التي تصلها سفن العرب المسلمين حيث تجد بعدها بلاد الواق الواق التي لم تسهم بأي نشاط تجاري عربي، حيث يقول الإدريسي "ويتصل بأرض سفالة أرض الواق واق وبها مدينتان حقيرتان وسكانها قليل لضيق عيشها وتكدر رزقها وليس بأرض هؤلاء القوم شئ من الذهب ولا يخرج من عندهم تجارة ولا مراكز ولا دواب"[3].

المراكز التجارية في الساحل الشرقي لإفريقيا وشبة الجزيرة العربية.

اكتسبت سلطنة مقدشو الإسلامية شهرتها من عمل أهلها بالتجارة مع جميع الأقطار، وخاصة مع شبة الجزيرة العربية، وذلك لوقوعها على الساحل الشرقي لإفريقيا،

ويعشرون منه إلا الحديد، وذلك أن في بلاد سفالة يوجد في جبالها معادن الحديد الكثير وأهل جزاير الزابج وغيرهم من سكاني الجزائر المحيطة بهم يدخلون إليهم ويخرجون من عندهم إلي سائر بلاد الهند وجزائره ويبيعونه بالثمن الجيد لأن بلاد الهند أكثر تصرفهم وتجارتهم بالحديد وبين جنطمة ومقدمة مجريان في قبحر، ومقدمة هذه آخر قواعد سفالة ويتصل بأرض سفالة ثلاثة مدن إحداهما تسمي حيونة لأهيل عندهم وهذه المدينة على خور تدخله المراكب المسافرة إليها ومنها إلي مدينة بوخة على الساحل.. ومن مدينة بوخة إلي مدينة جنطمة في البحر وبها معادن للنبر وفي بلاد سفالة أجمع يوجد النبر". (الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٥٢، ٥٣).

(1) ابن سعيد: الجغرافيا، ص ٨٢.

(2) ابن سعيد: نفسه، ص ٨١، ٨٣.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٧٠.

فكانت مركزاً تجارياً هاماً ومتميزاً بالحركة الدائبة للتجار، لذلك وصفها ابن سعيد بأنها "بلد حط ورحال"[1]، وقال ابن بطوطة عن أهلها المعروفين بنشاطهم التجاري "أنهم كانوا تجاراً أغنياء"[2] ووصفها بأنها مدينة متناهية الكبر، وأن المراكب تصل إلي مرساها باستمرار ومن مختلف الأقطار، وأن حكام هذه المدينة وسكانها كانوا دائما مستفيدين لاستقبال السفن التجارية وما تحمله من بضائع وسلع، ولهم في ذلك تقاليد خاصة[3]، كما كانت مركزاً من مراكز تجارة الرقيق في أفريقيا الشرقية[4].

يمكن تحديد المراكز التجارية ومعالم حركة التجارة، بين سلطنة مقدشو الإسلامية وشبة الجزيرة العربية، طبقاً لما أورد البلدانيين العرب من معلومات، فقد ذكر ابن بطوطة بأنه ركب البحر من مقدشو متوجها إلي بلاد الزنج[5]، ومرت السفينة التي امتلأ شراعها بالرياح الموسمية الشمالية الشرقية، بموانئ متوالية أنشأها المهاجرون العرب من شبه الجزيرة العربية على الساحل الشرقي لأفريقيا[6].

وهذه المراكز التجارية أسهمت في تحقيق الازدهار لسلطنة مقدشو الإسلامية خاصة، ولجميع المدن الواقعة على هذا الساحل عامة، ومن أهم هذه المراكز: ممبسة[7]، وماليندي[8]، وزيلع التي استخدمت كمركز لتوزيع الرقيق الحبشي[9]، وكانت ميناء هاما

---

(1) ابن سعيد: الجغرافيا، ص ٨٤.

(2) ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٦.

(3) ابن بطوطة: الرحلة، ج ١، ص ١٩٧.

(4) حسن أحمد محمود: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، ص ٢٩٨.

(5) ابن بطوطة: الرحلة ، ص ١٩٦.

(6) ريتشارد هول: إمبراطوريات الرياح الموسمية، ترجمة كامل يوسف حسين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي ١٩٩٩ م، ص ٩٨.

(7) تتميز الحركة التجارية بممبسة بالنشاط والتنوع حيث اشتهرت بوجود طائفة من الصناع العاهرين للمعادن الذين قاموا بسك عملات نحاسية وفضية. وكانت أيضا مصدرا للحديد الجيد الذي تحتاجه الهند. (الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٣٢).

(8) ويزاول أهل ماليندي تجارة واسعة في مجال الأقمشة والذهب والعاج والزيلع والكثير من صنوف السلع والبضائع الأخرى. وهي تجارة دائرة بين كل من أهل ماليندي ومملكة بمباي بالهند، وكانوا يأتون إلي ماليندي بسفن محملة بالمنسوجات التي يستبدلون بها الذهب والعاج والشمع. وعلاوة على ذلك كانت ماليندي تستورد من بمباي بعض الحبوب كالأرز والقمح والدخن Barbrosa, A.: Description Of The Coasts Of The East Africa & Malbar In The

نه معاملات خاصة مع بلاد اليمن والحجاز والحبشة، وكانت منفذاً هاماً من منافذ بلاد الزيلع والحبشة على البحر الأحمر الذي كان يربطها بشبه الجزيرة العربية[1]. كما استخدمت مدينة بربرة[2] كمركز لتجارة الرقيق الذي عرف بأنه رقيق جيد[3].

أما سفالة التي تقع في أقصى بلاد الزنج، فكانت مركزاً لتصدير الذهب لشبه الجزيرة العربية والصين والهند[4]، وقد سماها العرب باسم "سفالة الذهب" نسبة إلى أهم إنتاجها الذهب[5].

Beginning Of 16 th. Century U. S. A. 1977, P.P. 12 – 13. – وقد هاجر إليها كثير من العمانيين الذين استقروا بها ، وكانت وظيفتهم فرنسية هي الاشتغال بالتجارة. ويبدو أنهم كانوا من الكثرة بدرجة أن أطلق عليها حينا (عمان الصغيرة). (المقبري (سعيد علي المقبري، ت ١٣٩٤ هـ): جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر، مصر ١٩٧٩ م، ص ٨٦).

(1) ابن سعيد: الجغرافيا، ص ١٩٩ – والدليل على المكانة التجارية لزيلع هو أن المراكب القادمة إليها كانت تعود محملة بالرقيق والذهب والفضة، وخاصة إلى اليمن ، فقد استخدم الرقيق الحبشي في اليمن في البيوت وزراعة الأرض والتجارة لحساب سادتهم، كما قاموا بأحياء حفلات الغناء والطرب. (الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري، ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٥م، ص ١٢٨٢ – السيوطي (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي، ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م): ازهار العروش في أخبار الحبوش، دراسة وتحقيق عبد الله محمد عيسى الغزالي، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ١٩٩٥ م، ص ٢٥ ؛ – عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: اليمن في ظل الاسلام، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨١ م، ص ٢٣٨)

(2) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١١٦ – الأصطخري: مسالك الممالك، ص ٣٦ – ابن حوقل: المسالك والممالك، ص ٥٦.

(3) عرفها الإدريسي بأنها ما يتصل بأرض قزيلع على البحر . (الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٤٧ ، ٥٠).

(4) فقد ذكر ابن سعيد قائلاً " رقيقهم ممتحسن".(ابن سعيد: الجغرافيا، ص ٨١).

(5) المسعودي: مروج الذهب، ج ١ ، ص ٢١٠٨ – بزرك بن شهريار: عجائب الهند ، بر و بحر وجزايره ، تحقيق يوسف خشاروني ورياض الريس، ١٩٨٩ م، ص ٥٠ – ٦٠.

(6) سفالة الذهب بكل ما لمستطيع مراكبهم أن تحمل من عاج أو ذهب، لما تميزت به بكثرة قليلة وبكثرة مناجمها التي تمتد في الداخل. كما كان يأتي إلى سفالة التجار العرب من كلوه أو معبسة

ولعبت كلوة دور الوسيط التجاري بين المنتجات الإفريقية التي تأتي من داخل القارة، الى المراكز التجارية المتناثرة على طول الساحل الشرقي لإفريقيا، التي كانت تقع تحت نفوذ كلوه، وبين التجار الوافدين إليها، وكانت مركزاً لتجارة العاج والذهب[1] والنحاس والحديد، وعدد من الرقيق، ومنتجات من الفضة والنوبة والقير، والعسك والروائح العطرية، والقرن الخرتيت وأصداف السلاحف وجوز الهند[2].

وازدهرت وجزيرة قنبلو (مدغشقر)[3] وجزر القمر[4]، كمراكز تجارية هامة على الساحل الشرقي لأفريقيا[5].

وضمت شبه الجزيرة العربية العديد من المراكز التجارية ومن أهمها: زيلع[1]، والبرابرة[2]، وقرمز[3]، والمخا[4]، وصحار[5]، وعمان[6] التي تعد من أهم المراكز التجارية

Freeman, G: The Medieval History of The Coast Of Tanganika, London 1962. P. 127.

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١ ، ص ٦٨.

(2) محمد احمد مشهور الحداد: حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في إفريقية، القاهرة ١٩٧٣ م، ص ١٠٤.

(3) أطلق عليها المؤرخون العرب جزيرة قنبلو، وقد استخدمت هذه الجزيرة كمركز تجاري هام وهي مقابلة لساحل شبة الجزيرة العربية، وقد تردد عليها التجار اليمنيون وغيرهم من العرب. (الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٤٩ – كرم الصاوي باز: الوكالات التجارية، ص ١٠).

(4) تتكون جزر القمر من أربعة جزر وهي نجازيجا (انجويجه) وانجوان ورماويت وموهيلي، وتقع هذه الجزر في منتصف المسافة بين كلوه ومدغشقر، وقد سكنها قوم عرب من عمان وحضرموت واليمن، وتعرف أهل جزر القمر بالتجارة حيث كانوا يرحلون إلى خارجها من أجل المال للبضائع والبيع والشراء. (رجب محمد عبد الحليم: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الاسلام منذ ظهوره إلى القرن البرتغاليين، مسقط ١٩٨٩م، ص ٢٦٤، ٢٦٥ – كرم الصاوي باز: الوكالات التجارية، ص ١١).

(5) رجب محمد عبد الحليم: تاريخ المسلمين في إفريقيا جنوب الصحراء، شركة مايو، القاهرة ١٩٩٧ م، ص ٨٠.

(6) مدينة زيلع وصفها الاصطخري "انها قرضة للعبور إلى أرض الحجاز واليمن".(الأصطخري: المسالك والممالك، ص ٣٢).

التجارية الواقعة على ساحل الخليج العربي، وساهمت بالنصيب الأكبر في تزويد الساحل الشرقي لإفريقيا بكل ما يحتاج إليه من الجزيرة العربية، لانها من أقرب المراكز التجارية

---

(1) أشار ابن بطوطة أن لها سوق عظيمة، وكانت طريق لمسافرين إلى اليمن لقرب المسافة بينهما لأن بينها وبين عدن من اليمن في البحر ثلاث ليال. (ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٥)؛ – وقال عنها ابن سعيد إنها "في محل حط وترحال" حيث أن أهلها كانوا يخترون الحج والترحال الدائم إلى ساحل عدن وزبيد من بلاد اليمن، طلبا للتجارة والحكم في مدارس اليمن الكثيرة في ذلك الوقت. (ابن سعيد: الجغرافيا، ص ٩٩).

(2) كانت هرمز مركز لإلتقاء القوافل التجارية الآتية من الساحل الشرقي لإفريقيا ومن بلاد الهند والصين، كما انها تحكم في المدخل الجنوبي للمضيق.(الاصطخري: المسالك والممالك، ص ٩٩).

(3) حدد ياقوت مكان هرمز قائلاً "في موضع بالبحرين بين زبيد وعدن بساحل البحر". (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٠٠)؛ – وهو ميناء يقع على ساحل البحر الأحمر وكان مختصا بتصدير البن اليمني. (رجب محمد عبد العليم: العلاقات السياسية، ص ١٢٦)؛ – استخدم في الصراع بين البرتغاليين وبين بني طاهر. (محمد عبد العال: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، الإسكندرية ١٩٨٤ م، ص ١٢٩).

(4) كانت ملتقى السفن التجارية، حيث تتجمع فيها السفن في طريق عودتها من الساحل الشرقي لإفريقيا إلى الخليج، لتفرغ جزءاً من حمولتها في هذا المركز التجاري جنوب شبه الجزيرة العربية. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٩٤؛ – المقدسي (أبو عبد الله بن أحمد المقدسي البشاري، ت ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن ١٩٠٩ م، ص ٩٢ – المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٩٤٩ – محمد مندور: خليج العربي، القاهرة ١٩٧٠ م، ص ٣٠٩).

(5) تشكل عمان الركن الجنوبي الشرقي من شبة الجزيرة العربية ويحدها المحيط الهندي من ناحيتين والصحراء العربية من الداخل، أي أنها تتحكم في مدخل الخليج العربي عند مضيق هرمز ذي الأهمية الإستراتيجية لكونه معبرا هاما للتجارة بين الشرق والغرب. (رجب محمد عبد العليم: العالمون والملاحة، ص ٤٤ ، ٤٥)؛ – وهذا الموقع جعل من عمان مفتاحا وسطا بين منطقة القرن الإفريقي والساحل الشرقي لإفريقيا من ناحية، وبلاد الهند وما خلفها من ناحية أخرى، وبذلك أصبحت عمان مركزا للتبادل التجاري بين هاتين المنطقتين، كما أن امتداد عمان في الخليج العربي وعلى بحر العرب أعطاها ميزة أخرى وهي التمتع بسواحل طويلة تطل عليها، وهي سواحل سهلة بطبيعتها لقيام الموانئ البحرية، إذ أنها سواحل صخرية ورملية كثيرة التعاريج، تحف بها جبال تحميها من الرياح القوية كما أن مياهها عميقة، لذلك قامت على هذه السواحل موانئ محمية طبيعيا منذ القدم. (محمد أبو العلا محمد: موقع عمان الجغرافي وعلاقاتها التقليدية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٥م، ص ٩ – ١٧).

له[1]، ومثلت البحرين[2]، والبصرة[3]، وعدن[4] الموانئ الرئيسية المهمة لشبة الجزيرة العربية، وذلك لعمل أهل البحرين في الملاحة وفي صناعة السفن[5]، ولوقوع البصرة على رأس الخليج الشمالية، ووقوع عدن على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر[6].

---

(1) عرفت عمان بخصوصيتها في النشاط التجاري بين الخليج العربي والساحل الشرقي لإفريقيا، باعتبارها قاعدة الخليج التي تستقبل السفن القادمة إليه والذاهبة منه إلى مختلف الأقطار، وقد تكلم معظم البلدانيين العرب عن نشاط عمان التجاري، باعتبارها تتمتع بموقع استراتيجي بجعلها محطة تجارية في التجارة الذاهبة والقادمة من شرق افريقيا. (المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٦ ، ٧؛ – المقدسي: احسن التقاسيم، ص ٩٢؛ – الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ١٥٥ – ابن بطوطة: الرحلة، ج ١، ص ٢١٤؛ – رجب محمد عبد الحليم: العمانيون والملاحة والتجارة، ص ١٦٦).

(2) الاصطخري: المسالك والممالك، ص ٩٩.

(3) اعتبرها ياقوت "مدينة الدنيا ومعدن تجارتها وأموالها"، أما المقدسي فيصفها بانها "قرضة البحر ومطرح البحر". (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ص ٣٤٣؛ – المقدسي: احسن التقاسيم، ص ١٢٨).

(4) وصفها ابن بطوطة بقوله "هي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن"، وتلك تميزت عن باقي مينائها الاستراتيجية والتجارية، كما أن مناخها يتميز بارتفاع درجة الحرارة، وفي ذلك يقول ابن بطوطة" أنها شديدة الحرارة خاصة في فصل الصيف". (ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٤)؛ – وتبلغ هذه الحرارة ذروتها في شهور يونيه ويوليو وأغسطس إذ تكون الشمس فيها لاهية جدا، حتى إن أسواقها كانت تغلق تماما بسبب شدة الحرارة، كما أن شتاءها يتصف بشدة البرودة. (نعوم زكي فهمي: طرق التجارية الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م، ص ١٣٧؛ – محمد كريم إبراهيم: عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية (٩٤٦هـ / ١٨٠٣م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، شعبة الدراسات الاجتماعية، جامعة البصرة، العراق، ١٩٨٥م، ص ٥٩)؛ – ووصف الإدريسي وابن بطوطة بأن بها جبلا دائرا من قبحر إلى البحر، وله نقب من طرفين كالبابين يدخل منها ويخرج عليها"، وبالتالي الجبال تحف بها ولا مدخل إليها إلا من جانب واحد، والمسافة بينها وبين قرية ابين اثنا عشر ميلاً، وهي على البحر (الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص ١٥٥ – ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٥).

(5) أطلق العرب اسم البحرين على الاقليم الممتد على ساحل الخليج العربي غرب شبة الجزيرة العربية، بين البصرة وعمان، وكانت أشهر السفن المصنعة في البحرين لا تقل شهرة عن صيتهم في صيد اللؤلؤ والمرجان وتجارتهم. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٦).

(6) ذكرت عدن في المصادر على أنها مرسى هام، بل من أعظم المراسي.(العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص ١٥٥؛ – صلاح مهران راشد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة الأئمة الزيدية باليمن ، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا ١٩٨٧ م، ص

أما زبيد[1] فكانت مخصصة لتجارة الرقيق ومحطة ترانزيت هامة لهذه التجارة[2]، حيث يتجمع فيها الرقيق القادم من الحبشة ليوزع على الأماكن الراغبة فيه والمحتاجة إليه، ليستخدم في البيوت والمزارع، وكان لها دور هام في العلاقات التجارية والثقافية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا[3]، وكانت محطة واستراحة للقادم من مكة إلى الساحل، لذلك اكتسبت زبيد أهميتها التجارية التي أعطتها هذه الميزة[4]. واعتبرت جزيرة سقطرة[5] مكاناً لتموين السفن التجارية القادمة من المحيط، نظراً لموقعها على الطريق التجاري المؤدي إلى الهند[6].

---

٣٨٢)؛ – كانت مجلة تصل إليها المراكب من العدن والهند والصين، وإليها يجلب متاع الصين مثل الحديد والمسك والعودة المروج والفرنفل وأثواب الليلة، وغيرها من السلع الضرورية. (الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٥٤)؛ – وابن بطوطة يقول "مدينة عدن مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الأعظم" وقسم أهلها إلى ثلاث أقسام، ما بين تجار وحمالين، وصيادين لسمك. (ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٤ ، ١٩٥).

(1) وصفها ابن بطوطة "أنها مدينة عظيمة كبيرة، ورغم أنها قريبة من ساحل البحر إلا أنها برية لا شطرة". (ابن بطوطة: الرحلة، ص ٦١٥).

(2) أشار ابن المجاور أن الدخول إلى البحر من زبيد يكون عن طريق أبوابها الأربعة ومنها باب "يسمى غلافقة لأنه ينفذ إليها وإلى الأبواب على ساحل البحر". عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني الزبيدي، ت٩٤٤ هـ): قرة العيون أخبار اليمن الميمون، تحقيق الأكوع، ب ت، ص ٣٣١، ٣٣٦.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٥٣)؛ –

(4) جمال عبد الوهاب إبراهيم: العلاقات بين اليمن وإفريقيا الشرقية منذ بداية القرن الخامس إلى نهاية القرن التاسع الهجري / الحادي عشر إلى الخامس عشر الميلادي، رسالة ماجيستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة ١٩٩٨م ، ص ١٤٧.

(5) ذكرها المسعودي والإدريسي وابن المجاور، وأطلقوا عليها اسم سقطرة، وفيها يقول المسعودي "وفي هذا البحر (المحيط الهندي) معا يلي عدن جزيرة تعرف بسقطرة" بينما يحددها الإدريسي قائلاً "ويقابلها من بلاد اليمن مدينة مرباط وحاسك"، وتعتبر هذه الجزيرة واسعة المساحة إذا ما قورنت بغيرها من الجزر، كما يؤكد ذلك ابن المجاور قائلا "وليس في جميع هذه البحار أكبر منها جزيرة، ولها معالم معروفة للمسافرين عبر البحر، وهي أن كل من اقترب منها شاهد سبعة طيور في وسط البحر فعلم أنه مقابل جزيرة سقطرة، لكان هذا دليلا يهتدي به من أراد السفر إليها. (المسعودي: مروج الذهب، ج ٢ ، ص ٤١٩؛ – الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٤٤٩؛ – ابن المجاور (جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب، ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م): صفة بلاد اليمن ومكة وبعض

استقبال سلطنة مقديشو الإسلامية وشبة الجزيرة العربية للتجار والسفن التجارية:

الموانىء التجارية في المحيط الهندي كان لها أسلوب معين، ونظام خاص، تجاه ما يرد إليها من تجار ومن سفن تجارية، وقد تغيرت هذه النظم والأساليب سلباً وإيجاباً، وارتبط ذلك بمدى تشجيع الحكام للتجارة والتجار، ومدى اقتناعهم بأهمية التجارة بالنسبة لمدنهم وموانيهم[1].

ففي سلطنة مقديشو الإسلامية وجد نظام معين اتبعوه تجاه ما يرد إلى موانئهم من تجار وسفن تجارية، وقد أورد لنا ابن بطوطة، بكل دقة، هذا الأسلوب حيث يقول: "ومن عادتهم متى وصل مركب إلى الميناء، يصعد إليه أولا صنبوق، من قبل السلطان أو الشيخ، ويقوم صاحب صنبوق السلطان بتدوين بعض البيانات الخاصة بهذا المركب ومنها اسم الربان (قائد المركب)، والجهة التي قدم منها، وما فيه من البضائع، ومن هم التجار الموجودون على ظهر المركب وغيرهم من الركاب، ثم يأخذ هذه البيانات ويعرضها على السلطان، فإذا وجد السلطان أن أحداً من هؤلاء التجار يستحق أن يكون نزيله استضافه"[2].

وبعد ذلك يصعد أهل الميناء إلى المركب بصنابقهم، ويكل منها جماعة من أهل الميناء، ومع كل واحد منهم طبق مغطى فيه العديد من أنواع الطعام، ويقدمها لتاجر من تجار المركب، ويقول هذا نزيلي، وكذلك يفعل كل واحد منهم، وينتزم التاجر بذلك، ولا ينزل

الحجاز والمسماة تاريخ المستنصر، تحقيق أوسكر لوفغرين، شركة فنتوبر للطباعة والنشر ١٩٨٦ م، ، ص ٢٦٦، ٢٦٧).

(1) تقع على ساحل المحيط الهندي بمحاذاة الساحل الشرقي لإفريقيا وخليج عدن، وهي تبعد نحو ١٥٠ ميلاً من جوردافوي و٥٠٠ ميل من عدن، وهذه الجزيرة تقع على الطريق التجاري إلى الهند للقادمين عن طريق البحر الأحمر. (رجب محمد عبد الحليم: العلاقات، ص ١٦٩، ص ١٧١).

(2) ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٨ ، ١٩٩؛ – السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية ، ص ١٦٣.

(3) ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٨؛ – عبد المنعم عامر: عمان وتاريخها البحري، عمان، ١٩٧٩م، ص ١٣١، ١٤٦؛ – السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية ، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

إلا عند من قدم له الطعام، وبذلك يصبح ضيفاً عليه، ولا يستثني من ذلك إلا من سبق له التردد علي الميناء وعرف أهله فإنه ينزل حيثما يشاء[1].

وقد أطلق علي هذه الجماعة من أهل مقديشو وغيرهم – ممن يستقبلون السفن التجارية، ويرافقون التجار أثناء تجوالهم – اسم "الأدلاء" وعرفت مهنتهم باسم "الإبانة"[2]. وكان علي صاحب هذه المهنة أن يكون مصدر ثقة واحترام، وأن يكون من قبيلة قوية ومهابة، ويجب أن تكون أسرته معروفة ومحترمة تحسب لها القبائل حساباً، وكل هذه الصفات تجعل صاحب هذه المهنة مبعث الرضا والاطمئنان؛ وقد كانت لدي هذه الطائفة، من أهل مقديشو، خبرة كبيرة بحركة السفن وأوقات وصولها.

ومن أول مهام صاحب الإبانة أن يقدم للتاجر، أثناء تنقله لترويج وبيع سلعته، إرشادات كثيرة ومهمة، كأن يرشده إلي الطريق الآمن والمختصر، ويدله علي مصادر المياه والآبار الصالحة للشرب، وعليه حماية نزيله من التجار من أي أذي أو شر محتمل قد يلحق به، ويقدم له من الإرشادات والنصائح التي بها يضمن التاجر سلامته وسلامة تجارته، ومقابل ذلك كان الدليل يأخذ من التاجر قدراً معيناً من المال متفق عليه مسبقاً، وعلي التاجر أن يلتزم بتعاليم هذا الدليل الذي نزل عنده، ولا يتصرف في بيع ولا شراء إلا بمعرفته، وإذا حدث وباع التاجر شيئاً، في غياب نزيله، أصبح هذا البيع باطلاً ومردوداً[3].

أما في شبه الجزيرة العربية، وخاصة في مدينة عدن – التي كانت مدينة تجارية كبيرة وتميز أهلها عن غيرهم في حركة التجارة – فقد وصف ابن المجاور[4] طريقة

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٧٣؛ – ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٧.

(2) الإبانة: من أبان وأوضح الشيء أظهره وفصله. (وزارة التربية والتعليم: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر، ١٩٩٠م، ص ٧٠)؛ – وأطلق علي القائم بهذه المهمة أحياناً اسم "القبان"، "وقبّ تعني رئيس القوم. (المنجد في الأعلام، ص ٦٠٤).

(3) القلقشندي: صبح الأعشي، ج ٥، ص ١٦١؛ – ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٧٣؛ – ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٩٧ – ١٩٩؛ – للعيدروس: بغية الآمال في تاريخ الصومال، ص ١٦٥ – زين العابدين فسراج: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدن الساحل الصومالي، ص ١٢٦، ١٢٧.

(4) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ، ص ١٣٨.

استقبالهم للمراكب القادمة إليهم، بقوله: عندما يرون وصولها "فيصعد الناطور[1] علي قمة الجبل، وينادي بأعلي صوته بنداء مميز ولغة خاصة وهو" هريا[2]، وترديد هذا النداء مرات ثلاثة دليل علي تأكيد قدوم المراكب، فيصعد عامة الناس الجبال المحيطة بعدن[3].

وعند اقتراب المركب من ثغر عدن يركب هؤلاء المبشرون (المنادون) ويسلمون علي الناخوذة ويسألونه من أين وصل، وهو بدوره يسألهم عن البلد وعن الوالي وسعر البضائع ويقوم الكراني (الكاتب) بكتابة اسم الناخوذة وأسماء التجار وجميع ما في بطن المركب فإذا وصل المركب وأرسي تقدم إليه نائب السلطان، ويصعد المفتش[4] يفتش رجلا بعد رجل[5] كما تقوم امرأة عجوز بتفتيش النساء، وبعد ثلاثة أيام تنزل الأقمشة والبضائع إلي الفرضة[6] وتعد عداً دقيقاً.

السلع التجارية المتبادلة بين سلطنة مقديشو الإسلامية وشبه الجزيرة العربية

(1) الناطور هو الرجل المكلف بمتابعة ورصد حركة المراكب القادمة في البحر، ويكون متدربا تدريبا جيداً ويكون مزوداً بعود، وغالبا ما يكون اختياره لممارسة عمله في وقت طلوع الشمس أو غروبها حتي تساعده أشعة الشمس المنعكسة علي هذا العود فيعرف إن كان القادم طيرا أم مركبا، فإن كان طيرا يراه الناطور متحركا يميناً أو شمالاً وإن كان مركبا يكون بطيء الحركة، وإذا كان الناطور صادقا يعطيه كل مركب ديناراً ملكياً، أما إذا كان كاذبا يضرب عشرة عصي، ويوجد مع الناطور مساعد له يعرف باسم الجراب وهو الذي يقوم بدوره بإعلام وإلي البلد.(ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص ١٣٨).

(2) لم يرد في المصادر معني لهذه الكلمة، ويبدو أنها كلمة معروفة لديهم في ذلك الوقت وأداة للنداء والإعلان عن وصول المركب.

(3) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ، ص ١٣٨.

(4) المفتش هي مهنة في تلك الوقت تعادل رجل الجمارك في العصر الحديث.

(5) كانت طريقة تفتيش الراكب تتم بدقة حيث يصل التفتيش إلي العمامة والشعر والكفين، والسراويل وتحت الإبط، ويشتم رشحة الراكب. (ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ، ص ١٣١) – وهذه الطريقة يبدو أنها للتأكد من عدم وجود أسلحة أو ممنوعات كالمخدرات وأعواد الغمامة والخمر. (عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٥٦).

(6) الفرضة: هي المكان الذي كان يتم فيه فرض البضائع الواردة وتقدير العشور. (محمد عبد العال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر، ص ٣٨٦).

النشاط التجاري عبر المحيط الهندي لم يكن قاصراً على التبادل التجاري فيما بين موانيه المختلفة، فقد انتقلت تجارة المحيط الهندي إلى مختلف بلدان العالم، كما أن تجارات العالم المعروف حينذاك، خصوصاً تجارة مصر وأوروبا، كانت تصب في المحيط الهندي، وهو ما يعني أن النشاط التجاري في المحيط الهندي اكتسب صبغة عالمية، ولم ينحصر في انطاق المحلي وحده، بل كان مسموحاً للسلع العالمية بالتداول فيه، مع الأخذ في الاعتبار أن سلع المحيط الهندي كانت هي الأكثر أثراً في مجال التجارة الدولية حينذاك[1].

وعندما نتعرض للتبادل التجاري في سلطنة مقديشو الإسلامية، وفي غيرها من الدول والموانئ الواقعة على سواحل المحيط الهندي وأهم السلع التجارية بها - فإننا لا يمكن التحدث عن سلطنة مقديشو الإسلامية بمفردها، بل لا يمكن أن نقصر ذلك على منطقة المحيط الهندي نفسه، وعزلها عما يحيط بها من مناطق تداركت وأسهمت في ذلك النشاط[2].

فسلطنة مقديشو الإسلامية تمتعت بموقع جغرافي فريد؛ جعلها تلعب دوراً حيوياً ومحورياً في النشاط التجاري، في فترة العصور الوسطى، وكانت من المراكز التجارية الهامة بساحل المحيط الهندي الغربي، وكانت محط رسو وإقلاع لمعظم السفن التجارية العابرة لمياه المحيط الهندي؛ سواء القادمة من دوله أم القادمة من مصر، وكل ذلك جعل الأسواق في سلطنة مقديشو الإسلامية تتكدس بمئات الأنواع من السلع والبضائع التي أتتها من مختلف بلدان العالم، وذلك تمهيداً لإعادة تصديرها مرة أخرى[3].

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٩ - ١١٢ - ابن جبير: رحلته، ص ٤٦، ٣٠٠ - شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي، ص ٣٠٥ - سعيد عبد الفتاح عاشور: بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة، ٩٨، ٩٩.

(2) ابن جبير: رحلته، ص ٤٥، ٤٦٣ - ظافور، بيرو: رحلة ظافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة وتقديم حسن حبشي، مكتبة ثقافة دينية، بورسعيد: القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٩٧ - شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي، ص ٢٠٥.

(3) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ١٧٣ - شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي، ص ١٦٥.

ومن أهم السلع التجارية التي اجتذبت العرب من شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الشرقي لإفريقيا: العاج[1] الذي كان يجلب من الداخل إلى الساحل، حيث مراكز التجمع، ومن هناك كان يتم تصديره إلى العديد من دول العالم، ولقد اشتهرت مقديشو كمركز عالمي لتصدير العاج، الذي كان يجلب إلى مقديشو من الداخل بواسطة التجار من القبائل المحلية؛ والذين حملوا عاج الداخل إلى مقديشو؛ مقابل حصولهم على بعض المصنوعات الجديدة مثل: الفؤوس الصغيرة، والخناجر، والسكاكين[2].

والأصداف[3]، والرقيق[4] الذي كان له أسواق كثيرة، منها أسواق شبة الجزيرة العربية[5]، والحديد[6]، والذهب[7] الذي توفر نتيجة لاستخدام أهل سفالة النحاس في

---

(1) عاج ناب الفيل: اشتهرت سلطنة مقديشو وكل منطقة ساحل شرق إفريقيا بوجود كميات كبيرة من الأفيال، والتي كثر تواجدها في المناطق الداخلية، ولكن لم يتم ترويض هذه الأفيال من أجل الاستفادة منها في أية أعمال، فقد انحصرت الاستفادة منها فقط في صيدها من أجل الحصول على أنيابها. (المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٦، ١١٥ - البكري: المسالك والممالك، ج ١، ص ٤٤٣ - القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٣، ٣٤٠ - القزويني: عجائب المخلوقات، ص ٤٣١٥ - الحيمي: سيرة الحبشة، ص ٣٦ - ريتشارد هول: امبراطورية الرياح الموسمية، ص ١٠٠، ١٠١ - زاهر رياض: الإسلام في إثيوبيا، ص ١١٠).

(2) وصل عاج مقديشو إلى شبه الجزيرة العربية من خلال الحبشة، فقد حمل تجار مقديشو العديد من السلع التجارية ومنها العاج إلى الحبشة مقابل بعض السلع الموجودة بأسواق الحبشة مثل القماش، والتمر، والحديد، والأسلحة؛ ومن الحبشة كان يعاد تصدير عاج مقديشو إلى أسواق شبه الجزيرة العربية. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٧٣ - عبد المنعم عامر: عمان في أمجادها البحرية، وزارة التراث، مسقط ١٩٨٠ م، ص ٤٢٦ - مجدي نصيف: ثورة الصومال، القاهرة، ١٩٧٤ م، ص ٢٨ - Lewis, I M.: A Modrn History of Somali, Nation and Stat In the Horn of Africa, London, 1965, p. 2.)

(3) لعبت أصداف الودع (الخوري) دوراً في عملية التبادل كنقود في المعاملات التجارية، وهذا ما تؤكده عمليات الحفائر الارخيولوجية حتى داخل قارة الإفريقية. (Chittick H. n:(1965), the Shirazi colonization of East Africa, J A H, 6, 3, p 275. - كرم العلوي بك: الوثائق التجارية، ص ١٣).

(4) الرقيق مصادر متعددة ومختلفة، فهم إما أن يكونوا أسرى حرب يتم توزيعهم على المقاتلين، وإما أن يتم شراؤهم من أسواق النخاسة التي انتشرت بصورة ملحوظة في معظم دول العالم في فترة العصور الوسطى . (الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٣١ - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدولة العباسية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ١٩٧٨م، ص ١٤٤).

الحلي، لعدم معرفتهم بقيمة الذهب، وفي ذلك يقول الإدريسي "إنهم يفضلون النحاس على الذهب، ومنه حليهم"[٤]، والعنبر[١] الذي كان يقطع إلى أحجام صغيرة منتظمة الشكل،

---

(١) وتعددت أسواق الرقيق بأنحائهم ما وراء النهر، والتي كان من أشهرها سوق سمرقند، فرغانة، لمند، لشروسنة، وقد وجدت لتجارة الرقيق أسواق كبيرة في القسطنطينية. (القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٣٥، ٢٤٠ - السيوطي (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي، ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٥ م، ص ٢٤١؛ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢٣٣)؛ - وبعض مدن أوروبا مثل: البندقية، مرسيليا، لوردان، بالرمو، وكاتدي إضافة إلى انتشار أسواق الرقيق في بلاد الهند والصين. (ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٨٣ - ٢٩٠؛ - الحميري (الحسن بن أحمد): سيرة الحبشة، تحقيق مراد كامل، القاهرة، ١٩٧٢ م، ص ٩١؛ - حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٢ م، ص ٣٣٦؛ - شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي، ص ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١ - صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: زنجبار، القاهرة ١٩٥٩ م، ص ٩).

(٢) ليدل ت. ماسلو و هنري و. مونورو: ساحلا افريقيا الشرقي وجزر القمر، بحث منشور، تاريخ افريقيا العام، م ٣، منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اليونسكو ١٩٩٤ م، ص ٦٧٦؛ - عرف أهل افريقيا الشرقية الحديد الذي وجد لديهم بكثرة حتى إنهم كانوا يتخذونه للزينة، وقد أشار المسعودي إلى ذلك قائلاً "إنما يتحلى الزنج بالحديد بدلا من الذهب والفضة". (المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٥)؛ - واشتهر أهل مدينة ممبسة باستخراج هذا المعدن، كما ذكر الإدريسي الذي قال عنها "وأهلها محترفون باستخراج الحديد من معدنه". (الإدريسي: نزهة المشتاق: ج ١، ص ٥٩).

(3) أول من أشار من المؤرخين إلى ذهب افريقيا الشرقية هو المسعودي حيث ذكر وجود الذهب بكثرة في إقليم النوبة قائلاً "وفي أرضهم معادن الذهب وهو قنبر، ومعادن فازمرد". (المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٨)؛ - ويتبعه الإدريسي الذي يفهم من كلامه أن الذهب وجد بكميات كبيرة في منطقة سفالة فواقعة جنوب كلوة على الساحل الشرقي لإفريقيا وقد أرتبط اسمها بالذهب حيث أطلق عليها الإدريسي "أرض سفالة الذهب"، وأن الذهب موجود في كل مكان بأرض سفالة قائلاً "وبجميع بلاد سفالة يوجد النبر الذي لا يعدله شئ من التبر في الطيب والكثرة والعظم، وهذا التبر الموجود في أرض سفالة كثير المقدار يشف على غيره". (الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٦٨).

(4) لم تثبت لنا المصادر أن أهل سفالة تزينوا بالذهب الا في حالة واحدة عندما ذكر الإدريسي أن ملكة أحد جزر سفالة وهي "دمهرة" كانت تلبس حالة الذهب المنسوج على رأسها تاج الذهب مما يدل

تمهيداً لنقله إلى المراكز التجارية، لتصديره وبيعه، وقد نالت سلطنة مقديشو الإسلامية شهرة كبيرة كمركز لتصدير العنبر إلى العديد من دول العالم، ولقد وصلت كميات كبيرة من العنبر من مقديشو وغيرها من مدن ساحل شرق إفريقيا إلى العديد من دول العالم[٢]. وغيرها من السلع التي اجتذبت العرب من شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الشرقي لإفريقيا.

وفي المقابل كان هناك الكثير من السلع المتنوعة تأتي لسلطنة مقديشو منها: التمر[٣]، واللؤلؤ[٤]، والعقيق[٥] الذي وجد بكثرة في الجزيرة العربية[٦]، وكان وجوده بين الحجارة في المناطق الصحراوية، وكان أكثر استخدام العقيق في مقابض السيوف

على أن الأسر الحاكمة فقط هي التي عرفت قيمة هذا المعدن. (الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٦٩ - المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٥).

(١) لتعدد عدة بحري شهير، واختلفت الأقوال حول مصدر العنبر، فهناك من يقول إن البحر يقذفه إلى الساحل إذا هاج في فصل الشتاء، وهناك من يقول أنه روث حيوان مائي يقذفه البحر إلى الساحل، وذكر القزويني أن بحر الزنج في بعض الأوقات يقذف قطعا كبيرة من العنبر قد تصل إلى مائة مثقال. (القزويني: عجائب المخلوقات، ص ٢١٥ - العمري: مسالك الابصار، ص ٢٩٣ - الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر وقبحر، ص ٨٢ - مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، ص ٤٣٦).

(٢) نعيم زكي: طرق التجارة الدولية، ص ٢٣١

(٣) يقول العمري " أنه كان للعرب في قلوب الزنج (سكان ساحل شرق افريقيا)، رهب عظيم وهيبة، فلذلك متى عاينوا رجلاً من العرب تاجراً أو مسافراً سجدوا له وعظموا شأنه، وقالوا له بكلامهم هنيئاً لكم يا أهل بلاد الذكر.(العمري: شهاب الدين أحمد بن فضل العمري، ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م): مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق عبد الله بن يحيى السريحي، المجمع الثقافي، ابو ظبي ٢٠٠٣ م، ص ٥١٩).

(٤) وجد اللؤلؤ في مياه الخليج العربي، وقد برع أهل البحرين وعمان في الغوص تحت الماء لاستخراج اللؤلؤ.(ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢١٤؛ - المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١، ص ١١٠، ١٥١، ١٥٤؛ -البكري: المسالك والممالك، ج ١، ص ١٤٧).

(5) عرفت صنعاء جنوب الجزيرة العربية بصناعة العقيق حيث يقطع ويسوى على النار في دوائر محاطة بالرمل. (ناصر خسرو: أبي معين الدين ناصر خسرو، ت ٤٨١ هـ/ ١٠٨٨ م): سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣ م، ص ١٤٤، ١٤٣).

(6) الأصطخري: المسالك والممالك، ص ٢٩.

والخناجر والرماح، وقد حمله العرب إلى المراكز التجارية على الساحل الشرقي لأفريقيا[1]. كل ذلك إلى جانب الرماح والخناجر والسيوف والأوانى المصنوعة من معادن الحديد والنحاس، والبطور والتمر من شبة الجزيرة العربية[2].

(1) المسعودي: مروج الذهب، ج ١ ، ص ١١١؛ - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: اليمن في ظل الاسلام، ص ٢٤٧.

(2) زين العابدين عبد الحميد قنديل: الحياة الاجتماعية، ص ١٢٤.

الخاتمـــــة:

أدى النشاط التجاري الكبير لسلطنة مقدشو الإسلامية إلى الازدهار الاقتصادي لها، ويرجع ذلك إلى كثرة السفن التجارية والتي جاءتها من أقصى البلدان عبر الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الأحمر، من الحجاز واليمن وعمان والبحرين ومن الهند والصين، ومصر[1].

وأدت الهجرات من شبة الجزيرة العربية، إلى شرق أفريقيا، إلى ازدهار حركة التجارة بين الجزيرة العربية وشرق إفريقيا، واستقرار كثير من العرب هناك، وترتب على ذلك قيام تجمعات سكانية، لم تلبث أن نمت وأدت إلى قيام عدد من المدن الهامة، وقد قامت هذه المدن في البداية كمراكز تجارية لخدمة التبادل التجاري[2].

ونتج عن الازدهار التجاري، في سلطنة مقدشو الإسلامية، ازدياد النشاط الزراعي بها[3]، حيث كان الأهالي يزرعون مرتين على مياه نهر الويبي شبيلي ونهر جوبا وعلى مياه المطر[4]، فتنوعت المحاصيل الزراعية فكانت كالديار المصرية في السكر والموز، وكالهند في الفلفل والزنجبيل والوقل[5].

ونتج عن النشاط الاقتصادي، من تجارة وزراعة، ثراء كبير لدى حكام وأهالي سلطنة مقدشو الإسلامية؛ فقد أشار ابن بطوطة إلى ما كان سلاطين مقدشو ينعمون به من وفور الثراء، حتى إنهم بنوا القصور والدور، وكانت لهم مواكب رائعة تجلت فيها مظاهر البذخ والترف، كما كانت لهم مجالس ومآدب يستطيع أن ينال منها كل من وصل إلى دار السلطان مهما كان عددهم، كما كانت لهم مظاهر حياتهم الاجتماعية الراقية، وهداياهم القيمة لرجال العلم والأشراف والضيوف، وكانت لهم مظاهر تنم عن قدرة وعظمة وقوة

(1) نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ، ص ٨١ ، ٨٥؛ - أنور عبد العظيم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص ٧٣.

(2) حسن أحمد محمود: الاسلام والثقافة العربية، ص ٤٢٩.

(3) أشار ابن بطوطة إلى هذه العاصلات وزاد عليها ذكر النيل والأرز والبقول والليمون المصير، أي شديد الحموضة، والفلفل والزنجبيل والقنا التي تشبه التفاح، ثم ذكر الدجاج والحوت أي السمك، واللحم، ونتج عن التنوع وكثرة المحاصيل الزراعية أن قام الاهالي بتصدير الكثير منها إلى خارج مقدشو. (ابن بطوطة: رحلة ، ص ١٩٧ - ١٩٩).

(4) جبان: وثائق تاريخية، ص ٣٢٢.

(5) ابن سعيد: الجغرافيا، ص ٨٢.

وهيبة، هذا عدا المؤسسات السياسية والقضائية التي كانت موجودة وقتذاك، والتي تتمثل في دار الشوري أو المشور، حسب لفظ ابن بطوطة، والجند الوفير والآلات السلطانية والمساجد العديدة، مما جعل من هذه السلطنة عاصمة، ليس لساحل بنادر فقط، بل لجميع الأقاليم المجاورة، كما أنها اعتبرت العاصمة الثقافية لساحل الزنج كله، وسيدة على كل عرب الساحل الشرقي لإفريقيا، نتيجة لما وصلت إليه من قوة ونفوذ وعظمة وهيبة وازدهار[1].

أما الأهالي فازداد ثرائهم، إذ كان تجارهم تجارا أقوياء جابوا الأقطار والبحار، وكان صناعهم صناعاً مهرة، صنعوا الثياب الرائعة التي كانت تصدر إلي مصر ذات الشهرة في المنسوجات والملابس الديبقية والديباج؛ ومنهم من كانوا مربي ماشية تعد بالآلاف تاجروا فيها وتغذو علي منتجاتها؛ كما كان بعض الأهالي يعملون بالزراعة وكانوا يستخدمون مياه الأنهار لزراعة مختلفة أنواع المحاصيل والفواكه. ولذلك توافر لديهم المال حتي كنزوا الذهب والفضة، واتخذوا لها مخابئ تحت الأرض[2].

ونتج عن ازدهار النشاط التجاري الاهتمام بمجال التعلم والثقافة، فقد اهتمت سلطنة مقدشو الإسلامية، اهتماما كبيرا، بالعلوم الدينية، لذلك حرصوا علي تعليم أولادهم في مراكز ومعاهد التعليم المختلفة، فكانت البداية في الكتاتيب التي تعتبر المؤسسات التعليمية الأولي، وبعد ذلك ينتقلون إلي المسجد حيث يتلقون علوم الدين علي أيدي الفقهاء والعلماء[3].

ومن هنا نستطيع القول إنه نتيجة للعلاقات التجارية لسلطنة مقدشو الإسلامية ازداد ثراء التجار والأهالي، لذلك كان هناك إقبال كبير علي طلب العلم والتعليم أدي إلي ازدهار الحركة العلمية في سلطنة مقدشو الإسلامية، لذلك اعتبرت العاصمة الثقافية

(1) ابن بطوطة: رحلة ، ص ١١٩٩ – العيدروس: بغية الآمال في تاريخ الصومال، ص ٨٤ ، ٨٥.

(2) ابن بطوطة: الرحلة، ص ١١٩٩ – جيان: وثائق تاريخية، ص ١٨٤ ، ١١٨٥ – توماس أرنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص ٣٧٨.

(3) العيدروس: بغية الآمال في تاريخ الصومال، ص ١٨٣ – زين العابدين المراج: الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص ٢١٧ ، ٢٢٦؛ – محمد عبد المنعم يونس: الصومال وطناً وشعباً، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٢ م، ص ١٠٨.

لساحل الزنج كله[1]، لدورها البارز في نشر العروبة والإسلام في الساحل الشرقي لإفريقيا[2].

(1) ابن سعيد: الجغرافيا: ص ٨٢.

(2) توماس أرنولد: الدعوة إلي الإسلام: ص ٣٧٨.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية.

١. الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز، ت ٥٤٦ هـ / ١١٦٥ م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن ١٨٦٦م .

٢. الإصطخري (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي، ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م): مسالك الممالك، القاهرة ١٩٦١ م .

٣. ابن رسته (أبي علي أحمد بن عمر بن رسته): الأعلاق النفسية، ليدن، بريل، ١٨٩٢.

٤. بزرك بن شهريار: عجائب الهند ، بره وبحره وجزائره ، تحقيق يوسف الشاروني ورياض قزمر، ١٨٨٩م .

٥. ابن بطوطة (أبو عبد الله بن عبد الله، ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تهذيب وضبط أحمد الهواري ومحمد أحمد جاد المولى بك، مطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة ١٩٣٨ م.

٦. البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد، ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م): المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م

٧. جيان (ريمان سفينة، عاش في القرن السادس عشر الميلادي): وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية، كتبه عام ١٨٥٦م ونقله إلى العربية الأمير يوسف كمال ، القاهرة، ط١ سنة ١٩٢٧م.

٨. الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري، ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٥ م .

٩. ابن حوقل (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م): المسالك والممالك، ليدن ١٨٧٣م .

١٠. الحيمي (الحسن بن أحمد): سيرة الحبشة، تحقيق مرزا كامل، القاهرة، ١٩٧٢ م.

١١. ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م): المسالك والممالك، ليدن، ١٨٨٩ م .

١٢. الدمشقي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي، ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٨ م .

١٣. ابن الديبع (عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني الزبيدي، ت ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م): قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق الأكوع، بدت .

١٤. ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى المغربي، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م): الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٧٠م .

١٥. السيوطي (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي، ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م): إزهار العروش في أخبار الحبوس، دراسة وتحقيق عبد الله محمد عيسى الغزالي، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ١٩٩٥ م .

١٦. السيوطي (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي، ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م): تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٥ م.

١٧. طاكن، بيرو: رحلة طاكور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة وتقديم حسن حبشي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، القاهرة، ٢٠٠٢م .

١٨. العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل العمري، ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م): مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق عبد الله بن يحيى السريحي، المجمع الثقافي، ابو ظبي ٢٠٠٣ م.

١٩. العيدروس (عيدروس بن علي العيدروس): بغية الآمال في تاريخ الصومال، مقديشو، سنة ١٩٥٥م.

٢٠. ابن الفداء (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عمر، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م): تقويم البلدان، تحقيق البارون ماك كوكين دسلان، باريس ١٨٤٠ م .

٢١. القزويني (زكريا بن محمد بن محمود، ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٩٦٩ م.

٢٢. ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني): مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٣٠٢

٢٣. ابن المجاور (جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب، ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م): صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز والمسماة تاريخ المستنصر، تحقيق أوسكر لوفغرين، شركة التنوير للطباعة والنشر ١٩٨٦ م .

٢٤. المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق مفيدة قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.

٢٥. المقبري (سعيد علي المقبري، ت ١٣٢٤ هـ): بهجة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر، مصر ١٩٧٩ م.

٢٦. المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م): الإلمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الإسلام، القاهرة ١٨٩٥ م.

٢٧. المقدسي (أبو عبد الله بن أحمد المقدسي البشاري، ت ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن ١٩٠٩ م.

٢٨. ناصر خسرو (أبي معين الدين ناصر خسرو، ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م): سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣ م .

٢٩. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م): معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت، ١٩٥٥م .

ثانيا: المراجع العربية والمعربة.

٣٠. أحمد فتحي: العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى ولاسيما تلك في بعض الجوانب الحضارية في العصور الوسطى، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٨ م.

٣١. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج ٦، مكتبة النهضة المصرية، ط ٤ سنة ١٩٨٣م.

٣٢. آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٧ م.

٣٣. توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن ابراهيم وآخرون، القاهرة ١٩٧٠م.

٣٤. جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في ساحل شرق افريقيا، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد العاشر، القاهرة ١٩٦٧م.

٣٥. جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨ م.

٣٦. حمدي السيد سالم: الصومال قديما وحديثا، ج ١، مقديشو ١٩٦٥ م

٣٧. حسن أحمد محمود: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة ١٩٨٤م.

٣٨. ----------: الاسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٢ م.

٣٩. رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار النهضة العربية سنة ١٩٨٥ م.

٤٠. ----------: العربية والإسلام في إفريقيا الشرقية من ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٩م.

٤١. ----------: تاريخ المسلمين في افريقيا جنوب الصحراء، شركة سفير، القاهرة ١٩٩٧ م.

٤٢. ----------: الصائدون والملاحة والتجارة ونشر الاسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، مسقط ١٩٨٩م.

٤٣. ريتشارد هول: إمبراطوريات الرياح الموسمية، ترجمةكامل يوسف حسين، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي ١٩٩٩ م.

٤٤. سبنسر تريمنجهام: الإسلام في شرق أفريقيا، ترجمة أحمد عاطف التواوي، مكتبة الانجلو، القاهرة ١٩٧٢م

٤٥. سليمان ابراهيم العسكري: التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، مؤسسة الشراع العربي، الكويت ١٩٨٨ م.

٤٦. شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١ – ٩٠٤ هـ / ٦٦١ – ١٤٩٨ م)، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٥١، الكويت ١٩٩٠م .

٤٧. صفي الدين محمد: أفريقيا بين الدول الاوروبية، القاهرة ١٩٥٨م.

٤٨. صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: زنجبار، القاهرة ١٩٥٩ م .

٤٩. عبد المنعم عامر: عمان وتاريخها البحري، عمان، ١٩٧٩م .

٥٠. ----------: عمان في امجادها البحرية، وزارة التراث، مسقط ١٩٨٠ م.

٥١. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: اليمن في ظل الاسلام، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨١ م .

٥٢. ----------: الدولة الرسولية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ١٩٧٨م.

٥٣. كراتشكوفسكي (اغناطيوس يوليانوفتش): تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية ١٩٥٧م.

٥٤. مجدي نصيف: ثورة الصومال، القاهرة، ١٩٧٤ م.

٥٥. محمد أبو العلا محمد: موقع عمان الجغرافي وتفاعلاتها السكانية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٥م .

٥٦. محمد أحمد مشهور الحداد: حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في إفريقية، القاهرة ١٩٧٣ م .

٥٧. محمد صفي الدين: أفريقيا بين الدول العربية، القاهرة ١٩٥٩ م.

٥٨. محمد عبد الله النفيرة: انتشار الإسلام في الوثني أفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ للنشر، الرياض، سنة ١٩٨٢ م.

٥٩. محمد عبد المنعم يونس: الصومال وطناً وشعباً، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٢م.

٦٠. محمد عبد العال: شبحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، الاسكندرية ١٩٨٩م.

٦١. ----------: بلو رسول وبلو طاهر، وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة العامة للكتاب، الاسكندرية ١٩٨٠ م .

٦٢. محمد عبد الغني سعودي: الاتصالات العربية الافريقية في العصور القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة، د.ت).

٦٣. نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م .

٦٤. نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت، ١٩٦٩ م.

٦٥. وزارة التربية والتعليم: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر ٢٠٠١ م .

٦٦. وزارة التراث القومي والثقافة: عمان في امجادها البحرية، عدد ٨، سلطنة عمان ١٩٨٠م.

ثالثا: الدوريات العربية.

٦٧. عبد الجبار ناجي: العلاقات التجارية بين البحرين والعراق خلال العصر الوسيط، بحث منشور في مجلة الوثيقة، العدد السادس، السنة الثالثة، البحرين، يناير ١٩٨٥م.

٦٨. فيدل ت. ماسفار و هنري د. مونرو: ساحل أفريقيا الشرقي وجزر القمر، بحث منشور، تاريخ أفريقيا العام، م ٣، منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، باريس ١٩٩٤ م.

٦٩. كرم الصاوي باز: الوكالات التجارية حلقة وصل بين مجتمعات البحر الاحمر ومدغشقر وجزر القمر في الفترة من ٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧ م، بحث مقدم في ندوة البحر الأحمر عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ٢٠٠٣ م.

٧٠. محمد محمود أحمد محسنين: علاقة الجزيرة العربية بشرق أفريقية، مجلة الدارة، العدد ٤، دارة الملك عبد العزيز، الرياض ١٩٧٨م

رابعا: الرسائل الجامعية.

٧١. جمال عبد الوهاب إبراهيم: العلاقات بين اليمن وأفريقيا الشرقية منذ بداية القرن الخامس إلى نهاية القرن التاسع الهجري / الحادي عشر إلى الخامس عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ١٩٩٨م .

٧٢. زين العابدين فتراج: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدن الساحل الصومالي فيما بين القرنين ٦ – ٨ هـ/ ١٢ – ١٤م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، سنة ١٩٨٦م.

٧٣. صلاح مهران راشد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة الأئمة الزيدية باليمن، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا ١٩٨٧ م.

٧٤. محمد كريم ابراهيم: عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية (١٧٦هـ / ١٨٠٣م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، شعبة الدراسات الاجتماعية، جامعة البصرة، العراق، ١٩٨٥م.

خامساً: المراجع الانجليزية.

75. Barbrosa, A.: Description Of The Coasts Of The East Africa & Malbar in The Beginning Of 16 th. Century U. S. A. 1977.
76. Coupland, R.: East African and its Invaders, Oxford, 1938.
77. Freeman, G: The Medieval History of The Coast Of Tanganika, London 1963.
78. Gideon & Derek: East Africa through a thousand years, Kenya, 1973.
79. Lewis, I.M.: A Modm History of Somali, Nation and Stat In the Horn of Africa, London, 1965
80. Reusch: History of East Africa, Stuttgart, 1954.
81. J.S Trimingham: The Arab Geographers and East African Coast in: East Africa and the orient, ed. By Chittick and Rorberg, NewYork, 1975.
82. Trimingham, J.S.: The Influence of Islam upon Africa, Beirut, 1968.